
Princeton University Library
32101 066367028





جبرائيل عساف مرعي مؤلف الكتاب

الاسكا وكلونديك

بلاد الذهب

تأليف

جبرائيل عساف مرعي

من

دوما « لبنان »

طبع بمطبعة الحضارة * بطرابلس الشام

سنة ١٩٠٩

المقدمة

قضيت في الولايات المتحدة الاميركية زمناً طويلاً حتى اصبت من لغة القوم نصيباً فكنت اقرأ كتبهم وجرائدهم واسمع احاديثهم في اجتماعاتهم واذا بمعظمها يدور على حال الاسكا وما كشف فيها من مناجم الذهب وما يكون لها من الشأن في مؤتنف الايام . متى عرف الناس شؤونها وادركوا انها ملأى بالمناجم الذهبية فيزدحمون عليها ويملأونها عمراناً فيكون ذهبها الوهاج جاذباً للناس اليها ثم يصيرون من اجتماعهم عليها جاذباً اخر لسواهم رأيت هذا وعلمت ان الاقليم لا يصلح للعمران نقلت في نفسي اختلفت الروايات وتضاربت الاحكام فالضرورة تقضي عليّ ان اذهب مع الذاهبين فارى بعيني ما تسمع به اذني

فلما تسنت لي الرحلة وعرفت من الشؤون والاحوال شيئاً كثيراً قلت في نفسي ان الواجب الوطني يقضي عليّ بان اطلع قراء العربية على ما رأيت لعلهم يجنون من كتابي فائدة يرتاحون اليها فكتبت هذا السفر جامعاً فيه كما خطرلي وواصفاً ما رأيت وناقلاً مما قرأت شيئاً يزيد البيان وضوحاً

وانما اقدمت على هذا التأليف رغبة في افادة ابناء قومي وهم لهذا العهد يملأون البلاد بجالياتهم النشيطة ويطرقون كل باب للعمل والكسب ويقتحمون الاخطار الهائلة في البر والبحر حتى اذا بلغوا المهاجر الجمة في مشارق الارض ومغاربها تباروا في الاعمال ومثل قومنا اعزهم الله لا بد ان يكونوا قد علموا

شيئاً عن الاسكا ولعل منهم من تحدثه نفسه بالذهاب اليها · فالواجب يقضي ان نقدم لهم هذا الكتاب فيروا فيه حسنات ذلك القطر وسيئاته ويبقى لهم الخيار في ما يعملون

عَلَى ان لقطر الاسكا مستقبلاً باهراً الان غناها الطبيعي وكثرة نتاج ارضها ومناجمها الذهبية وبقاء قسم غير قليل منها لا يعرف عنه حتى الآن شيء يذكر كل هذا يعقد الامال بان ستنال في المستقبل القريب مكانة تجذب اليها الانظار اكثر فاكثر

نعم ان كثيرين من الناس قصدوها الآن — وكثيرون من قصادها ذهبوا صفر اليدين فعادوا بالملايين — ولكن الخبوء للمستقبل اعظم مما كان في الماضي ومما هو في الحال والله سبحانه اعلم

الفصل الاول

(غنى الاسكا الطبيعي)

ان بحر بيرين BERING SEA واقع في شمالي نصف الكرة الغربي ومنه قطعة ضيقة من الماء عبارة عن بوغاز طبيعي يفصل اسيا عن شمالي اميركا وهذا الفاصل يستطاع اجتيازه عَلَى السفن صيفاً وفوق جمد الماء شتاء · ولذلك كان تجار الروس يحاولون التقدم من سيبيريا الى القارة الاميركية بحراً ولكنهم خابت مساعيهم الاولى تماماً حتى كانت سنة ١٧٤١ وقد طاف بحارة اوربا معظم البحار واستداروا الكرة الارضية وعرفوا مجاري البحار الجنوبية يومئذ تسنى لتجار الفرو من الروس ان يجسروا عَلَى السفر في البحار المجهولة فركبوا ما كان لهم من السفن عَلَى سوء عدتها وضعف جهازها واتوا سواحل اميركا الشمالية تحفهم

المصائب والاهوال فبلغوها ولكن بعد ان خسروا كثيراً من النفوس وعديداً من السفن وعادوا الى وطنهم ببشائر الظفر فتهافت المتجرون عَلَى ارتيادها ليلقوا من العناء والخسران مثل ما لقي المكتشفون

واذ كان زعيم هؤلاء الرواد المسمى فيتوس بيرين قد قضى نحبه يوم تحطمت سفينته عَلَى صخور البحر اطلق القوم عَلَى الموضع اسم الفقيد تخليداً لذكره فاصبح يعرف باسم بحر أو بوغاز بيرين . ولما نال الروس رغائب انفسهم باكتشاف هذا القطر اي الاسكا احتلوه ولكن احتلالهم لم يتجاوز الساحل وما عتم ان صاروا يحتاجون الى سفن توصل بينهم وبين الشاطئ السيبيري فجاءت السفن وشرعت تنقل اليهم ما يحتاجون من بضائع المتحضرين وتحمل عوضها الفرو الذي كانوا يأخذونه من جلود عجل البحر الذي كانوا يصطادونه عَلَى مقربة من مهاجرهم ولكن تلك العجول كانت اذا جاء الربيع رحلت اسراباً متجهة صوب الشمال فيعجز صيادوها عن اللحاق بها ولا يعرفون اين مقرها وظلوا عَلَى ذلك نحواً من اربعين سنة حتى تسنى لاحدهم ماكسيم بريبلوف ان يلحق بها سنة ١٧٨٦ الى مكامنها بعد ان احتال عَلَى ذلك كثيراً وقاسى شديداً واختباء ذات صباح بين الادغال فسمع خوار الالوف المؤلفة منها وعلم ان مكمنها عَلَى مقربة من مكانه وكان في جزيرة ذات سواحل ناتئة الصخور فاخذ يدنو من الشاطئ بالتؤدة والحكمة فرأى ثمت عديداً لا يحصى من العجول استهدى بها الى مقرها وعلم انها اذا جاء الشتاء بجليده وبرده اللاذع رحلت جنوباً

ومذ وقع الاكتشاف اطلق عَلَى هذه الجزائر اسم مكتشفها واصبح الروس يقتلون كل سنة الوفاً منها مستعينين بالوطنيين حتى كادوا يستأصلون نوعها

فوضعت لهم حكومتهم قانوناً تحظر فيه صيد الحيوان الا عدداً معيناً

ولما فاز الروس باكتشاف هذه الجزائر لم يجدوا فيها ساكناً بل كانت مسرحاً لتلك العجول تقيم فيها آمنة من الانسان فرأى القوم ان ينقلوا اليها بعض الاقوام الساكنين في الجزائر الاخرى فتم لهم نقل بعض مئات منهم وهنالك شادوا لهم بعض الاكواخ لايوائهم والاحرى ان يقال انهم نقروها في الصخر وجعلوا يطعمونهم ويكسونهم ويعلمونهم تعاليم المذهب الارثوذكسي فدانوا به الا انهم تركوهم في سائر الشؤون كالسائمة او كابناء جلدتهم المتبربرين لم يهدوهم الى وسائل الارتقاء فظلت حالهم تعيسة وزادهم اشتغالهم للروس وبالاً لانهم اصبحوا فيه كالارقاء المستعبدين — وظل هذا حالهم حتى سنة ١٨٦٧ وهم وسائر الاسكا على طاعة الدولة الروسية الا ان روسيا لم تكن تجني من هذه الاملاك الاميركية نفعاً عظيماً ولذلك باعتها للولايات المتحدة الاميركية في السنة المذكورة بسبعة ملايين ومئتي الف ريال اميركي

وكان القائم بهذا الشراء هو سيوارد ناظر خارجية الولايات المتحدة وقد عقدها صفقة لم يشهدها حاطب ومع ذلك فقد انكرها عليه بعض رجال السياسة الذين لا يريدون للجمهورية ان تتسع في ممتلكاتها ولحق بالمنددين جمهور من الناس الذين لا يفقهون فبخسوا الرجل الخبير حقه من بعد النظر ورموه بالسفه في الرأي وقالوا اي شيء لنا في متسع من الارض لا ينبت الا ركاماً من الثلج ولا ينتج الا نزراً قليلاً من الفراء المأخوذة من عجول البحر

ولكن ما عتم ان خاب فألهم وظهرت عليهم قلة خبرتهم وضعف نظرهم الى البعيد فان القطر المشترى من الروس اصبح بذاته مورد ثروة طائلة للخزينة

التي ادت ثمنه

اعتبر ذلك بما كان من مبلغ تجارة الاسكا في السنة المالية التي انتهت في آخر حزيران «يونيو» سنة ١٩٠٣ فان القيمة اربت على ثمانية وعشرين مليونا من الريالات الاميركية منها سبعة ملايين قيمة ما استخرج من الذهب

ولا يتوهمن القارئ ان السنين التي مرت من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٩٠٣ كانت خلواً من العمل لنزارة الحاصلات فقد قررت الحكومة ان الصادر من قطر الاسكا من الفرو والسمك والذهب في غضون تلك المدة بلغ مئة وخمسين مليوناً ريالاً · ذلك لان الاميركان منذ عرفوا ان القطر صار في حوزة حكومتهم انبرى رجال العمل والجد منهم الى استثماره واستخدموا في ذلك حتى سنة ١٩٠٣ خمسة وعشرين مليون ريالاً · وفوق هذا فقد قدرت الحكومة الاميركية ان البضائع التي ارسلت من الولايات المتحدة الى الاسكا حتى سنة ١٩٠٣ لا تقل عن مبلغ مئة مليون ريال على ان خزينة الولايات المتحدة لم تعدم الربح من الاسكا تواً فانها اشترت البلاد بسبعة ملايين وانفقت على ادارتها لحد سنة ١٩٠٣ نحو مليونين فبلغت جملة نفقاتها عليها نحو تسعة ملايين ولكنها استوفت من الضرائب عشرة ملايين فربحت مليوناً

ومن الغني عن البيان ان الحركة التجارية على صغرها بالنسبة للمتاجر العظمى في البلدان العامرة هي عظيمة بالنظر لقرب عهد الاسكا من العمل والنشاط ولكنها غير واقفة عند هذا الحد بل لا بد لها من التقدم العظيم يوماً فيوماً حتى تبلغ في المستقبل القريب مبلغاً هائلاً · غير ان قولي هذا لا يدل على ان الاعمال الحاضرة تكفي كثيرين من الناس اذا ازدحموا على

القطر دفعة واحدة ولم يكن ما يملك الواحد منهم الا قامته والعافيــة بل ثمت اعمال اخرى تحتاج الى شيء من المال وغيره

نعم لا ينكر ان العملة قليلون وان الاجرة اليومية قد تبلغ الخمسة ريالات في اليوم الا ان الطلب اصبح قليلاً لان الذين كانوا يحفرون عَلَى الذهب في رمال نوم NOME وليس لهم من الآلات الا المجرفــة ووعاء مجوف كأنه الصحفة كانوا يجدون من الذهب في يومهم ما يكفي اما وقد استنزف العاملون تلك التربة باقل الوسائل والاكلاف فان القوم اليوم يحتاجون الى وسائط اخرى اشد فعلاً في استخراج الذهب من مكامنه

عَلَى ان الرجل اذا كان صفر اليدين وممتعاً بالعافية وشدة القوى البدنية واراد العمل فان في ذلك القطر ما يشغله ماجوراً في المين والاساكل حيث تأتي البواخر والسفن لشحن تراب الذهب وسائر البضائع الصــادرة والواردة فيحتاج اصحابها الى ايدٍ عاملة تحملها من مستودعاتها الى البحر او من القوارب الى المستودعات ويعطى العامل اجرة عن كل ساعة ريالاً واحداً

الا ان الاسكالا يقتصر غناها عَلَى ذهبها كما قدمنا بل يوجد فيها الشيء الكثير من المعادن الاخرى ومن المياه المعدنية وثمت في مواضع منها احراج وغابات غضة ذات اشجار عظيمة الابدان يستطاع ان يقطع منها اخشاب من الطراز الاول وارضها وإن كانت تغطى بالثلوج زمناً طويلاً فانها اذا اهتم بها العارفون بالزراعة يعدون المزارع الخصيبة التي تدر خيراتها عَلَى حراثها وليس هذا بالامر المتعزز عَلَى الهمم وانما انصرفت اليه افكار الاميركان وحسبوه ميسوراً وذكروه في كتبهم وجرائدهم . حتى رُوي ان الحكومة ارسلت عالماً كبيراً اسمه الاستاذ

جورج جورجسون فطاف البلاد ودرس تربتها وقدم تقريراً قال فيه . ان في الاسكا ارضاً مساحتها مئة الف ميل مربع كلها تصلح للزراعة كل الصلاحية وما من ضلال اعظم من الظن الشائع بين الناس بان موقع الاسكا الجغرافي يجعلها ارضاً بلقعاً يغطيها الثلج — ومما لا ريب فيه ان الانسان يستطيع ان يسافر من احد اطراف يكون YUCON الى الطرف الاخر في زمن الصيف ولا يرى شيئاً من الثلج الا على رؤوس الجبال بل بعكس ذلك يرى متسعاً من الاخضرار والغابات الفسيحة والاشجار ذات الثمار اللذيذة ويشهد العشب في بعض المواضع نامياً نمواً عظيماً حتى انه قد يبلغ الى اكتافه اه

وبهذا المعنى كتب بزوز احد مهندسي فيلادلفيا وهو من رجال العلم والاختبار وقد طاف شمالي اوربا واسيا واميركا واستطلع الشؤون فيها جميعاً حتى اصبح قوله موثوقاً وهاك شيئاً مما كتب

ارى ان لجنة المجلس الاعلى الاميركي مقيمة الآن في داوسون « احدى مدن الاسكا » تبحث في امكان ادخال الاعمال الزراعية الى الاسكا وارى ان من الناس من يظنها تصرف الوقت ضياعاً اما انا فاني على ثقة من امكان زراعة البلاد لاني سحت في سيبيريا وامعنت النظر الدقيق في مشروعاتها الزراعية فوجدت الروس يستغلون الشعير وغيره من القطاني والحبوب في مواضع من ذلك القطر واقعة على درجة ٦٥ شمالاً اي هي اقرب الى القطب الشمالي من داوسون وثمت رأيت سائر البقول تنمو نمواً عظيماً يحاكي ما يزرع منها في كل اقطار العالم

والارض في الاسكا تبلغ الرطوبة فيها قدمان او ثلاثة تحت ظاهرها في زمن الصيف مع ان في بعض انحاء سيبيريا حيث تقدمت الزراعة كما قدمنا

لا تخترق الرطوبة من التربة عمقاً يزيد عن تسعة قراريط

ولقد اهتدى اهل سيبيريا الى اختيار احسن ما ينمو في تربتهم بالتجربة الطويلة مدى مدةٍ ربما ناهزت المئة سنة واعظم دليل عَلَى نجاح الزراعة عند السيبيريين ان غلال ارضهم تكفيهم مؤنة وهم يبلغون اثني عشر مليوناً من النفوس اي انهم ضعف عدد اهل كندا . ومن هذا تتضح للناس ان تلك البلاد ليست قفراً يباباً لا فائدة منه وانما هي اكبر من الولايات المتحدة مرتين في سعتها وسكانها متفرقون عَلَى ابعادٍ شاسعة ولكنها ذات مدن يسكنها من عشرين الى ستين الفاً من الناس اه

وثمت برهان آخر يقطع العدال في الامر وهو ان في الاقليم نفسه قطراً عظيم الشأن في الامبراطورية الروسية يماثل بلاد الاسكا في جوه وكثرة ثلوجه وشدة برده وهو قطر اركنجل عَلَى سعته وقلة ساكنه وفيه من الاهلين ثلاثمئة وخمسون الف نفس . كلهم ينصرفون الى العمل ويستغلون الارض وبعد ان يقتاتوا من نتاجها يصدرون من الفضلات مقداراً عظيماً من الحبوب والقنب والسمك والجلد والقطران

وانت خبير ايضاً ان تربية المواشي من جملة الاعمال التي يعتني بها ارباب الزراعة فترى كثيرين من رجال العمل قد بدأوا يهتمون بتجربة الاسكا والجزائر المحدقة بها ليروا ملائمة الظروف للغنم والماعز والبقر ولعلهم يفلحون

الفصل الثاني

« اهم المدن والمواقع في الاسكا »

نوم NOME فرضة الشمال الاميركي عَلَى بحر بيرين وعَلَى قيد اميال

من بوغازه الفاصل بين سيبيريا واميركا تبعد عن رأس البرنس اوف وايلس نحو مئة وعشرين ميلاً وهي قائمة على ريف البحر الشمالي معرضة للرياح العاصفة التي تجري اليها مسافة سبعمئة ميل فتزداد قوة وتصدمها بملء شدتها. ولو تدبر مخططو هذه البلده في امر موقعها لما اختاروه لخلوه من الذرائع الحسنة في ركوب البحر والنزول منه وانما نشأت بلدة لانها اقرب المواقع للذهب وقد وجد بين رمال شواطئها فاكتفى القوم به عن النظر في ملائمتها لما تصير اليه من الحركة التجارية فترى لهذا العهد البواخر والسفن تقصدها فتقف على بعد نحو ميل عنها لانها لا تستطيع الدنو من الماء الرقراق فتحمل القوارب والزوارق الركب والبضائع من البر واليه بل قد يقع في الاحايين ان يشتد النوء وتعصف الرياح الهائلة فلا تقوى القوارب الخفيفة على بلوغ مرسى البواخر وتضطر هذي ان تبرح الميناء بما حملت اليها ولو كان بريداً ويغلب في السفن التي يمنعها النوء عن العمل في نوم ان تقصد احدى الجزائر الصغرى على بعد ١٠ او ١٥ ميلاً عن نوم وثمت تلقى الميناء الامين الذي يقيها مغبة الرياح الهوج وتلبث فيه حتى يمن الله بالفرج والبلدة قائمة على شاطيء رملي يخلو من الاشجار وهي تمتد عليـه مسافة تقرب من الميل ومعظم دورها واطئة لانها ذات طبقتين الا انها لا تخلو من البناء الفخيم . اما هواؤها فصحيح بليل لانها واقعة على مقربة من الدرجة الخامسة والستين من العرض الشمالي وماؤها عذب يجري اليها من نهر يسمى الافعى SNAKE RIVER ينحدر من التلال القريبة ويمر في غربي البلدة الى البحر

اما سكانها فانهم يبلغون زمن الشتاء ثلاثة آلاف نسمة واما في الصيف فيأتيها كثيرون بعضهم للتنزه واخرون للعمل فيصبح عددهم من ستة الاف

الى العشرة ولا غروَ فنوم ميناء الداخلية واقرب البلدان للمواقع التي يؤخذ منها الذهب — ففيها يجب ان يزدحم طلابه واليها يذهب روّاد اخباره · وبما انها باب الداخلية والبحر فان هذا العدد لا يدل عَلَى الذين يدخلونها او يخرجون منها بل هو عدد سكانها المقيمين فيها

قلنا ان ميناء نوم غيرامين الان ذلك لا يؤخذ منه ان البحر الموصل اليها رهو او سهل الاجتياز عَلَى البواخر بل تجد تلك السفن تخترق العباب من مرافئ الولايات المتحدة في عرض البحر فلا تجد صعاباً وعسراً حتى تبلغ ارخبيل الجزائر الواقعة في ذيل شبه جزيرة الاسكا حوالى العرض من ٥٣ الى ٥٤ وهنالك تضطر ان تمر بين جزائر الارخبيل عند ممر اونيمارك UNIMARK PASS فاذا تجاوزته الى عرض البحر لقيت في طريقها ركام الثلوج التي متى اقتراب الصيف ذاب بعضها في مواقعها من اقصى الشمال فانفصلت قطعاً هائلة ثم حملها البحر وطاف بها ليبلو بها السفن بما لا يطاق

ومما يُحكى انه في اوائل حزيران (يونيو) من كل سنة يخرج من ميناء سيتل (في الولايات المتحدة) بواخر شتى محملة بضائع وناقلة ركاب فاذا اجتازت هذه البواخر مضيق اونيمارك ابتدأت مصاعبها لانها تلقى تلك القطع الهائلة من الثلج فتجاهد في سبيلها جهاداً يستنزف قواها ويظهر للملاء انها تستطيع بلوغ غرضها امنة مطمئنة وانها تحتمل العذاب وترى الموت اشكالاً

فان سارت البواخر آمنة من سيتل الى نوم واقتدرت عَلَى مغالبة الطبيعة وغلبتها فانها تبلغ البلدة في ستة ايام او سبعة · ولكن العبرة في مجانبة ركام الثلج والتخلص من وباله بالحكمة والتؤدة فقد تكون السفينة جارية بكل قواها

واذا هي بالثلج سداً في وجهها حصيناً وقد يحدث ان يحيط بها من كل جهاتها فلا تجد عنه منصرفاً الا بشق النفس او تضطر الى الوقوف في مكانها حتى يسهل الله لتلك الركام فتتكسر من احدى جهاتها وتفتح للباخرة السجينة باب الفرج ومما يحكى للدلالة علَى ما يلقى المسافرون في ذلك البحر المتجمد من العناء ان في سنة ١٨٩٨ كانت ثمان سفن صيادة قد خرجت من الولايات المتحدة واوغلت في البحر الشمالي طلباً للحيتان فما عتم ان احاطت بها الثلوج واكتنفتها من كل جهة وكانت بعيدة عن البر الواقع الى شمالي الاسكا وفي وسط الاوقيانوس المتجمد الشمالي فضغط الجليد علَى بعض السفن ضغطاً شديداً فتحطمت واما رجالها فاتخذوا العزيمة والحكمة واستعانوا بما لديهم من السفن السالمة حتى وصلوا الى موضع اسمه بوانية بارو. ولم يكن لديهم طعام يكفيهم الى اخر فصل الشتاء لانهم نكبوا في اوله . وباتوا يوجسون خوفاً من الموت جوعاً او دنقاً

وفي شهر كانون الاول « دسمبر » من تلك السنة عرفت الحكومة الاميركية بضياعهم وانكسار سفائنهم فارادت ان تمد اليهم يد المعونة بايصال الزاد اليهم ثم انقاذهم عند سنوح الفرصة واعدَّت لذلك بارجة شديدة الحول من بوارجها قطاعة الثلج وارادت ان تختار لها رباناً حكيماً مقتدراً لا يبالي بالاخطار فاعتاص عليها الامر لان الرجل الذي ارادته ابي مفارقة زوجته وهي علَى فراش المرض الشديد فحسب الناس تأني الحكومة في اختيار الربان قعوداً منها عن نصرة البحارة في كربهم فلغطوا واكثروا من اللوم والتنديد ولكن ما عتم ان انبرى للقبول رجل شجاع خبير بالشؤون البحرية يقال له جارفيس

وانحدر الى سيتل والباخرة قد تأهبت واعدّت لوازمها ثم اقلعت والناس يوأزرونها بالدعاء والابتهال وما زالت تمخر العباب وتضرب في البحر حتى بلغت بركبها الى سان ميكل وهي الى الجنوب من نوم وعلى بعد بضع مئات من الاميال عنها فركبوا الدراجات تجرها الكلاب واستعانوا ببعض الهنود الوطنيين من سكان البلاد وسافروا فوق الجمد المنتشر في عرض البر حتى بلغوا محطة كانت الحكومة قد جلبت اليها قطيعاً من الغزلان الناشئة في سيبيريا بقصد تربيتها والاكثار منها في الاسكا فاخذ جارفس منها بعضاً وتابع سيره ليجتاز الخمسمائة ميل التي تفصله عن الصيادين المسجونين بين الثلوج

وما زال يضرب في عرض ذلك البر مستعيناً بالهنود وكلابهم حتى يسر الله له الوصول الى حيث وجد اولئك المساكين منقطعين عن الناس في حال من اليأس كاد يرديهم حتفهم اما زادهم فقد قلّ كثيراً حتى انهم مع كل اقتصادهم فيه كانوا على وشك ان يعدموه بعد ايام قليلة ولكن الربان الهمام وجدهم ضعافاً يكادون لا يستطيعون الوقوف على اقدامهم لمرور الايام الطويلة عليهم وهم جلوس او نيام لا يروّضون ابدانهم مشياً وحراكاً فاستاء لذلك لانه يريدهم اشداء ليتمكنوا من اجتياز ذلك البعد الهائل فشرع يدربهم على الرياضة تدريجاً ويطعمهم مما حمل اليهم سيما من لحم الغزلان وما زال بهم حتى اشتدت اعصابهم وعاودتهم القوة الضائعة فرجع بهم فوق تلك الثلوج الكاسية وجه الارض حتى بلغ مرسى باخرته في شهر حزيران وقد ذاب الثلج عن الميناء فركبوا الباخرة واتجهوا صوب الولايات المتحدة فبلغوها في اوائل تموز «لوليه» سالمين معافين

ومما لاحظ الخبيرون ان ميناء نوم تجمد مياهها ولا تستطاع الحركة فيها في العشر الاول من ت ١ « اكتوبر » من كل سنة ويظل هذا الجمد ضارباً اطنابه حتى منتصف حزيران « يونيو » علَى ان القوم يفكرون باستخدام قطاعات الجليد التي اخترعها الروس لفتح ميناء كرونستادت في بحر البلطيك ولكن بعض الكتبة البارعين يرون ان لا بد لحكومة الولايات المتحدة من بذل قصارى جهدها لايجاد الوسائل الفعالة لابقاء الصلة مستمرة بين بلادها والاسكا ويرون ان وسائل النقل البرية تفي بالحاجة

اما نوم فيهم نزلاءها بالدرجة الاولى تحسين مينائهم وصيرورتها امينة تصلح لشحن البضائع وتفريغها في زمن الصيف . ولذلك اشاروا علَى اللجنة التي اوفدتها الحكومة الاميركية الى الاسكا وجعلت قوامها من اعضاء مجلس الشيوخ وامرتها ان تبحث في شؤون القطر . اشاروا عليها ان تحمل الحكومة علَى الشروع بالاعمال اللازمة لجعل مصب نهر الافعى صالحاً لدخول البواخر ومجراه كافياً لحملها الى موقع فيه يكون الميناء الامين للسفن . وقدروا ان النفقات اللازمة لذلك لا تزيد عن مئة وخمسين الف ريال علَى انا لا نخال الحكومة الاميركية تضن عليهم بهذه المنحة لما فيها من الفائدة للبلاد لان مقدار البضائع التي تحملها السفن الى نوم يبلغ في السنة زهاء الستين الفاً طن يستبضع منها نحو خمسة عشر الف نفس يسكنون القطر المجاور للبلدة ويعملون في استخراج مقدار من الذهب يزيد في قيمته عن نحو خمسة ملايين من الريال — قلنا خمسة ملايين لانه يستخرج من جوار نوم نحو ثلثي الذهب الذي يخرج من الاسكا . واذا كان هذا مبلغ تجارة تلك البلدة وهو آخذ بالازدياد فليس من

المحتمل ان تضن عليها حكومتها الراقية بذرائع الارتقاء غير انه لا ينكر ان في سبيل تحويل الميناء الى النهر مصاعب طبيعية ربما لا تتغلب عليها الهندسة

وعلَى ذكر تجارة هذه البلدة المهمة في الاسكا لا بد لنا من الالماع الى حالها المدهش ذلك ان شتأَها يطول ثمانية اشهر اي من تشرين اول الى حزيران ويبقى لصيفها اربعة اشهر من السنة ولسبب كثرة ثلوجها وتجمد المياه في ارباضها لا يكون لاهل العمل الا مدى قصير لاظهار اقتدارهم وتحصيل كسبهم الا ان هذه الاربعة اشهر تكفي المجتهد عن سنة يعملها في موضع اخر لان الباحث عن الذهب في مظانه قد يتوفق لاستحصال كمية منه تبلغ قيمتها في اليوم من مئة الى ثلاثمائة ريال اميركاني · ولا يخال ان التاجر لا تكون ارباحه وافرة تعوضه في مدى الاربعة شهور عن خموله زمن الشتاء — ومن علم غلاء اثمان الاقوات والملابس وسائر الحاجيات الضرورية يقدر لتجارها الارباح الطائلة ويفقه سر جمعهم الثروة الطائلة من بلاد الذهب من غير ان يشتغلوا فيه مباشرة · ومما يفتح لهم ابواب الكسب الطائل ان السكان يضطرون الى ازدخار المؤن الكافية لهم مدى الشتاء لان السفن تنقطع عن الورود فلا يجدون سبيلاً الا الى ما ازدخروا ومتى حان مجيء تلك السفن بحمولها فالسابقة منها هي الفائز اصحابها بالكسب الوافر لان احتياج الناس الى محمولها يكون علَى اشده سيما لوقوع ذلك قبل خروج العملة الي مواقع الذهب واضطرارهم الى استبضاع لوازمهم فيها فترى البواخر في سباق والتاجر السعيد هو الذي تصل بضاعته قبل غيره فيتحكم في اثمانها علَى هواه ومهما بالغ لا يمنعه مانع عن بيعها في مدى الايام قليلة

وكما ان اربعة اشهر الصيف تكون مضماراً رحباً لمباراة الرجال في النشاط والكد حتى يفوزوا باماني انفسهم من الكسب الوافر هكذا ينقلب الحال بهم زمن الشتاء الطويل الى الخمول والسكون فلا يبقى لسوقهم الرائجة من حركة تذكر لانقطاع السفن عنهم وتعذر الصلة · فتروج عندهم الاجتماعات والمسرات ويقضون تلك الايام كأنهم ليسوا من رجال الاعمال

ومما يزيد الحالة ضنكا ان الايام في معظم الشتاء لا تستنير بنور الشمس فان اشرقت فاربع ساعات ليس الا · ولا خفاء ان الانسان يتأثر من الظلام المدلهم اذا توالى فتجدن الخمول مستولياً عَلَى القوم الذين تعلموا النشاط منذ نعومه اظافرهم حتى ان كثيرين منهم يجهدون النفس للتخلص من خمولهم فيعجزون لانه يطرأ عليهم بحكم طبيعي يغالبونه فيغلبهم ويحيك فيهم كثيراً

ولهذه الحالة نتيجة ادبية في اخلاق القوم ذلك ما نرويه معرباً عن كتابة لاحدى السيدات الاميركيات من نزلاء نوم قالت · مللت اصدق خلاني وهم انفسهم ملوني ايضاً · ذلك انا كنا في باديء الامر حين حبسنا الشتاء عَلَى احسن ولاء نتمتع بالمسامرة والانس من بعضنا فتولتنا السآمة (لتكرار الاجتماع ووحدة العمل) واصبحنا اولاً في حالة يحتمل بها بعضنا تسامحاً ثم انقلب هذا بنا الى الكره الشديد وظل هذا حالنا حتى جاء الربيع فاشرقت الشمس وطال النهار وصرنا لا نخشى الخروج من البيوت بل نتلاهى بعد الاسابيع والايام الباقية لمجيء السفينة الاولى يومئذ تزول اثار الكره وتعود مياه الصداقة صافية الى مجاريها اه

مدينة داوسون - بلدة داخلية واقعة عَلَى مثل عرض نوم تقريباً ولكنها الى الشرق منها وهي عَلَى مقربة من نهر يوكون العظيم وفيها يبلغ تقلب الطقس

معظم تغيره مما لم يعرف له مثل في سائر المعمور ذلك لان الحرارة قد ترتفع فيها زمن الصيف الى الدرجة التسعين فوق الصفر من مقياس فهرنهيت · وتنحط في الشتاء الى الستين او السبعين درجة تحت الصفر وهذا منتهي ما عرف عن تقلب الطقس في الاقليم الواحد ·

والمدينة من كندا خاضعة للحكومة البريطانية وهي الآن قائمة علَى اسس لا يظنها الناس متينة الدعائم لانها مرتكزة تحت قشرة الارض الظاهرة بطبقات من الجليد الذي اسفى عليه التراب بضعة اقدام فما الذي اذابه وبقي صلداً وهل هذا الوهن في الاساس سبباً لعدم البناء بالحجر والاجر مع كثرة ما في المدينة من المباني الجميلة والاسباب الاخرى التي اعطتها مكانتها من العمران ؟

ولقد كان لهذه المدينة سوق رائجة جداً وكانت بضائعها تحمل اليها في عرض البلاد اذ تفرغها البواخر في ميناء سان ميكل وتنقل اليها في نهر يوكون ولكن مدت السكة الحديدية من هويت باس فهجرت الطريق الاولى · ولولا اكتشاف الذهب في الموضع المسمى فايربنكس لما ضعف سوقها وخمدت جذوة تقدمها وانما جاءها ذلك الاكتشاف فابعد عنها كثيرين من طلاب الذهب

ومع ذلك فالمدينة عامرة بتجارتها وعدد اهاليها يناهز السبعة آلاف وعندهم بريد منظم وتلغراف ومدرسة وشركات تجارية واعمال تدل علَى الجد والنشاط

اما سوقها فمملوءة بالبضائع الجمة حتى ان البقول والفواكه تأتيها وتباع فيها ولكن باثمان فاحشة ويعظم الغلاء في الاصناف السريعة العطب واما السلع التي لا يضرها التأخير فانها تباع باثمان معتدلة فترى الدزينة (١٢) من البيض تباع عادة بريال اوريال ونصف ومن الليمون بنصف ريال الى الريال واما

السكر فثمن الليبرة منه عشر سنتات (الريال مئة سنت) واشد ما يكون الغلاء في ثمن العلف للحيوانات فقد قيل ان الطن (اربعة قناطير شامية اي ثمانمئة اقة) يكون ثمنه في الصيف ثمانين او تسعين ريالاً فاذا جاء الشتاء ارتفع الى ثلثمئة ريال ولذلك ترى بعض اصحاب الخيول يقتلونها في بدء الشتاء تخلصاً من علفها ثم يستعيضون عنها في الصيف بما يستوردون من الخارج

ومما يحكى عن الغلاء ان البيض قد يبلغ به ارتفاع الثمن الى الريالين عن البيضة الواحدة وكأن هذه الرواية قد بلغت احد العظماء الذين ارسلتهم الولايات المتحدة للبحث عن الاسكا فلما كان في داوسون وقد جلس في صباح اليوم التالي بلوغه اليها الى الطعام اخذ بيضة فاكلها وقال لرفاقه تمنيت ان اخذ غيرها ولكني خفت ان ازيد في النفقة زيادة تربو علَى المخصص لي من الحكومة وفي جوار داوسون تلال تحيط بها والى قمة احداها يخرج الناس افواجاً في ليل الحادي والعشرين من حزيران ليروا شمس نصف الليل

وعلَى مقربة منها وادي نهر كلونديك وهو المنجم العظيم الذي تحط عنده رحال مستخرجي الذهب وقد ازدحموا عليه منذ اكتشافه فادرّ عليهم ثروة عظيمة المقدار تبلغ قيمتها نحو مئة مليون ريال

ومن غريب ما يحكى عن هذه المدينة انها مع وفرة غنى سكانها وكثرة المترددين عليها للعمل وبين هؤلاء العدد العديد من الرعاع الذين لا خلاق لهم مع كل هذا ترى الناس امنين فيها لا تقلقهم اطماع الاشقياء ولا تطرقهم اللصوص في الليل حتى انه ورد عن احد السياح من الاميركيين انه نزل المدينة ولما ارخى الليل سدوله رأى ان باب حجرته لا مفتاح في قفله فطلب

من صاحب الفندق ان يجيئه بمفتاح فبسم الرجل ولكنه قضى نحو ساعة وهو يفتش حتى وجد المفتاح فجاء به الى السائح قائلاً له عَلَى سبيل الاعتذار لا تعجب لاهمالنا امر المفتاح فانا لم تسبق لنا العادة بقفل ابوابنا

فدهش السائح ووطن النفس منذ ساعتئذٍ عَلَى تحقيق قول صاحب الفندق وما مرت به ايام حتى تأكد ان الرجل صادق في قوله لان اهل البلدة لا يقفلون ابواب دورهم فزاد دهشة لانهم في اقصى المعمور وعندهم مطمح انظار الطامعين ولا يخال انه لا يوجد بين قصاد المدينة شقي لا تحدثه نفسه بالسرقة والفتك لانهما خلتان لا تخلو منهما بلد فانصرف للتحقيق عن اسباب الوقاية من الشر وما عتم ان علم ان الحكومة الكندية صاحبة الامر في تلك البقعة قائمة عَلَى حفظ الامن قياماً حسناً . اذ ارصدت له بعثة مختارة من احسن الرجال . من ابناء عيالها المعروفين بالامانة والنشاط في ذات بريطانيا وكندا ومن متخرجي مدارسها وعهدت اليهم القيام بمهمة الدرك والشرطة عَلَى السواء وفرقتهم في مواضع جمة من البقعة . وجعلت من المفروض عَلَى كل مسافر ان يكتب اسمه والقابه في سجل محفوظ في كل مخفر من هذه المخافر فلا يمر بشر عليها الا وقد عرف وسجل سواء اتى في البر او في البحيرة او النهر وفوق هذا فان نفراً من هؤلاء حفظة الامن يطوفون في الارجاء بين المخافر وبهذا يأمن المسافرون في سبلهم واذا وقعت جناية لا يفر مرتكبها من ايدي العدل

ومما يذكر لحكومة كندا انها تعطف عَلَى اهل هذا القطر وتعاملهم بالحسنى حتى انهم عَلَى قلتهم يستنيبون عنهم نائباً في مجلسها وهي لا تتقاضاهم

شيئاً من الضرائب علَى ما يملكون من الارضين في ظاهر المدن مكتفية بما تربح من صادرات الذهب. اذ تأخذ عليه مكساً قليلاً هو اثنان ونصف في المئة من ثمنه واما البلدية فانها ترمي علَى الاملاك والعقار الذي فيها ضريبة معتدلة تنفق مجموعها علَى تحسين البلدة ولهذا تجد المدن علَى صغرها ممتعة باحسن ما في البلاد العامرة من اسباب الراحة والهناء

ومعظم اهل داوسون من سكان الولايات المتحدة نزحوا اليها للعمل فيها • ولكنهم تركوا تابعيتهم لدولتهم ولحقوا بالحكومة التي يستظلون بها •

والقانون يجيز لساكن القطر ان يلحق بتابعية حكومته بعد سكنى ثلثة اعوام فيه • ومتى نال هذه الرعوية حق له اعطاء رائه في الانتخاب

وكأن سكان هذه الاقطار الذهبية قد صاروا هم انفسهم حفظة الامن والثقة لانهم يتعاملون مع بعضهم بكل دقة وامانة حتى اصبح واحدهم واثقاً بالاخر كل الثقة اعتبر ذلك بما رواه احد السياح الاميركان قال

اذا كان الانسان من رجال الاعمال ومن اهل الدقة في المعاملة المالية فلا بد له ان يلقي نظره علَى ما يعطيه البائع من تتمة الثمن لئلا يقع غلط في الحساب والحال ان هذه القاعدة لا تسري في بلاد الذهب فقد كنت في داوسن ودخلت حانوت بائع فرأيت فيها رجلاً يشتري بعض العروض حتى اذا انتهى من الشراء مدَّ يده الى جيبه واخرج كيساً مملوءاً تبراً واعطاه للمستخدم في الحانوت فاخذه الرجل منه وشرع يزن منه بينما كان صاحبه الشاري منشغلاً بمحادثة رجل اخر حتى اذا انتهى المستخدم من اخذ ما اراد من الكيس اعاده الى صاحبه بما فيه من بقية ودفع اليه ايضاً العروض التي

اشتراها فاستلم الرجل ذلك واعاد الكيس الى جيبه من غير ان يلقي عَلَى ما فيه نظراً بل اكتفى بانه اشترى ودفع الثمن تبراً ثم ودع وخرج واثقاً بامانة المستخدم الذي اخذ منه التبر ووزنه وذاك لاهٍ عن عمله ولا سبيل له لمعرفة المقدار الذي اخذه المستخدم من الكيس الا ان يكون قد سبق فوزن ما فيه قبل الشراء ثم هو يزنه بعده ليعرف المقدار المأخوذ ثمناً

وكنت قد سمعت بمثل هذا فما كدت اصدقه حتى رأيته جرى امامي فقلت لصاحب الحانوت هل ان كل الذين يشترون منك يثقون بامانتك مثل هذا الرجل فيسلمون اليك مايحملون من التبر لتأخذ منه مايحق لك من ثمن العروض

فاجاب باسماً — ان هذا الرجل كغيره يعلم العلم اليقين اني لااستطيع ان اغش فكل واحد من سكان هذه الديار يثق بالاخر ثقة ربما لاتعرفونها في الولايات المتحدة ولقد مرت بنا ايام مضت ونحن عَلَى ماترى والويل كل الويل لمن خان ولم يكن جديراً بالثقة وما من جريمة لايشملها العفو والسماح في قطرنا هذا الا الخدعة في التعامل وادخال الغش في العمل . ولم يكن المرتكب هذه الجريمة ليستطيع البقاء بيننا طويلاً . انتهى

قلت ومثل هذه الثقة ضرورية جداً لقيام الاعمال ولذلك تجدها هنالك عَلَى اتمها

وقد حدث لي في صيف سنة ١٩٠٥ حادث غريب يدل عَلَى مبلغ الثقة التي يتحلى بها الناس في ذلك القطر ذلك اني كنت اتعاطى التجارة بيعاً وشراء في مدينة نوم فجأني ذات يوم رجل اشيب الناصية واشترى مني مقداراً

كبيرا من البضائع واعطاني ثمنها ومضى في سبيله ولكنه عاد بعد مرور اسبوع عليه فظننته يريد ان يشتري ايضاً غير انه قال لي اتريدان تتفضل عليّ بمعروف فتبادر لذهني انه يريد ان يشتري مني بالدين ولذلك اجبته متحذراً اني اخدمك ما استطعت فقال، كلمة الشكر ثم اردف اني عازم علَى السفر من هذا المكان مسافة مئتي ميل اجوب خلالها السهول والحزون لا بلغ الى موضع اكتشفوه من جديد وقالوا انه وافر الغنى فعزمت ان اذهب اليه ولكني لا اعرف متى اعود وانما الارجح اني ابقى غائباً عن البلد حتى تعود الباخرة الاخيرة اي بعد ثلثة شهور

كان الرجل يتكلم وانا ناظر اليه فاراه قد امعن في الكهولة حتى كاد يتجاوزها فاجبته اني ارضى بما تريد ولكني ربما اسافر في السفينة الاخيرة لاني لا اريد ان اصرف الشتاء القادم في هذه الديار فاذا لم ترجع قبل سفري فمن الضرورة ان ابقي لك الوديعة عند من تشاء من الباقين هنا فاختر لك من المصارف اوالاشخاص من تحب قال لا بل اذا سافرت ولم ارجع فابقِ الوديعة عندك وخذها معك فقط اكتب لي عن الموضع الذي تسكنه لكي افوضك بارسال الوديعة اليّ اينما اكون اقول هذا مع اني علَى ثقة من رجوعي قبل سفرك

ثم انه دفع اليّ الكيس من غير ان يحسبه فاخذته منه وانا لا اعرف قيمة الوديعة ايضاً ولكني اقدرها بما تراءى لي من وزن الكيس انها حوالى السبع مئة ريال بين تبر وعملة

نخبأت الامانة في خزانتي ولبثت في تجارتي حتى اوشك ينتهي الصيف ودنا موعد مجيء السفينة الاخيرة فتجهزت للسفر وفي ذات صباح نظرت الى

البحر واذا بالباخرة راسية والعملة يدأبون علَى تفريغ شحنها · وابصرت جمهور الركب المتهيئ للسفر فاسرعت لاماثلهم ولكن قبل ان تيسر لنا ترك البرهب الريح وثارت الامواج واشتدت الانواء علَى عادة عواصف تلك الديار فاضطرت السفينة ان ترفع مرساها وان تمخر الى ما وراء جبل يبعد عن موقفها عشرة اميال لتتقى به ثائرة النوء ولبثنا نحن المتهيئون للسفر صابرين الى اليوم التالي · وفي ما انا احدث احد التجار من اصدقائي واذا برجل تقدم اليّ وسلم عليّ فغابت عني معرفته في بادئ الامر لان الشمس لوّحت وجهه والجهد العنيف غير فيه بعض الشيء ولكني لما تحققت انه هو هو صاحب الوديعة دفعتها اليه فاخذها ولم يعرها نظراً · لان اداب الثقة المتبادلة بالغة من القوم مبلغاً عظيماً وهكذا انصرف شاكراً حامداً

اما التعامل بالتبر فقد كان شائعاً كل الشيوع ولكنه اصبح لهذا العهد قليلاً ليس فقط في داوسن بل في كل بلاد الذهب ولكن اكثر المتعاملين به هم النازلون في جهات الاسكا واقلهم في جهة اليوكون وذلك لان ضرب السكة ميسور في الاقطار الخاضعة لحكومة كندا اكثر منه في الاسكا الخاضعة للولايات المتحدة وتجدن الشركات التجارية والمصارف في الحكم الكندي تشتري التبر وتصدره بعد اذ تدفع عليه اثنين ونصف بالمئة كما مر

رنجل WRANGELL بلدة واقعة عند مصب نهر ستيكين كانت في الاصل ثغراً روسيا تابعاً للدولة القيصرية زمن تملكها بلاد الاسكا الا ان الدولة البريطانية استأجرتها منها لمنفعة الشركة المعروفة بخليج هدسون فلما كشفت مناجم كسيار صارت البلدة ذات شان ودبت اليها حركة الحياة

النشيطة ولكنها زادت فيهما كل الزيادة حين اتجهت المساعي لبلوغ كلونديك بطريق نهر ستكين

وموقع البلدة جميل بمشاهدها البديعة التي يرتاح اليها السياح وفيها انشئ الموقع العسكري الاول بعد اذ اشترتها الولايات المتحدة الاميركية من الحكومة الروسية في جملة قطر الاسكا سنة ١٨٦٧

جونيو JUNEAU · وهي اهم مدن الاسكا الجنوبية الشرقية وفيها مركز قطر مملوء بالمناجم لان وراءها موقع البقعة المسماة سلفر بو بازن وفيها وراء اليوغاز عند جزيرة دوكلاس منجم عظيم اسمه تردول TREADWELL المحسوب في جملة اغنى مناجم الذهب في العالم · وعدد العملة في هذا المنجم الف ومئتا رجل يتبدلون في اليوم مرتين فترى معاولهم تضرب اصل الجبل وجوانبه فتدوي ضرباتهم ويرجعها الصدى فيطيب سماعها كأنها الانغام المطربة لان التراب الذي يهيلون منها يحوي الطن منه « الطن نحو ثمانمئة اقة » من التبر ما يختلف ثمنه من الريالين الى السبعة وقد بلغ قيمة النتاج الحاصل من الشغل في هذا المنجم منذ ابتداء العمل به الى الان مقداراً يتراوح بين ١٢ و ٢٠ مليوناً من الريالات

وجونو لهذا العهد تحوي من السكان نحو عشرين الفاً منهم ستة الاف يشتغلون في استخراج الذهب او التفتيش عليه وقد وجدوا منجماً آخر اسمه نول NOWELL والذهب فيه غزير جداً

ومتى علم القارئ ان هذه المدينة لم تكن من قبل سنة ١٨٨١ شيئاً مذكوراً يدهشه نجاحها وتقدمها على ان المنجم الذي اغنى البقعة كان ايضاً

يومئذ مجهولاً . فحدث ان رجلاً بناءً من مدينة سان فرنسيسكو اسمهُ جون ثردول كان اشترى المنجم لقاء دين له قيمته مئة وخمسون ريالاً اميركياً فلما فحصه ووجد الذهب وافراً عقد لاستخراجه شركة باسمه فطارت شهرة المنجم والثروة الناجمة عن العمل فيه فارتقت البلدة واصبحت حاضرة الاسكا

واما اسمها فمستفاد من رجل اسمه جوزف جونو كان يرود الاصقاع في طلب الذهب والبحث عن مصادره فرأى الوطنيين يستخرجون من التراب تبراً فاتصل بهم واحسن معاشرتهم وجاملهم حتى استوثقوا منهُ فدلوه عَلَى مواضع الوفرة وعلموه اسلوب غسل التراب واستخلاص التبر بعد اذ طلبوا اليه ان يدخل في قبيلهم و يحفظ سرهم فلما علم بما كان تحيل عَلَى النجاة منهم ولحق ببلدة ميتكا واخبر بما سمع فكان من حديثه ان اندفع الناس لسكنى البقعة المكتشفة واطلقوا اسمه عَلَى البلدة الناشئة تخليداً لذكره

سكاكواي SKAGWAY — بلدة واقعة بين منحدرات الجبل الى سفح البحر — تشتد فيها الانواء وزعازع الرياح الشمالية فتجعل امواجها كالجبال تضرب الشاطئ بشدة هائلة ولذلك لم تبقِ منه شيئاً مذكوراً — و يعلو تجاهها المد فيرتفع ماء البحر نحواً من ١٦ الى ١٨ قدماً

و يروى ان اسمها مشتق من عبارة هندية وطنية في حكاية يرويها القوم عن اصلها ذلك انه كان لاحد الزعماء الوطنيين ولد نشيط ركب البحر ذات يوم في زورق ثم عاد به نحو الشاطئ وكان الريح الشمالي قد اشتد وعلت الامواج فاصبح الزورق في الماء كالريشة في مهاب الريح ومرت عَلَى راكبه الاهوال وهو صابر عليها يغالبها واذا بالريح الصرصر قلبت الزورق ظهراً لبطن

ولم يظهر للشاب اثر فلما علم ابوه بما كان لقب الموضع بكلمة تلفظ سكاكوا ومعناها في لغتهم موطن ريح الشمال — فاتصل هذا الاسم بالافرنج الذين استعمروا القطر وحرفوه فصار سكاكوايـ

بدأت هذه البلدة صغيرة حقيرة ثم ارتقت بعض الشيء فصار عـدد سكانها يزيدون وينقصون بحسب كثرة العمل وقلته فقد ورد انه لما شاعت انباء اكتشاف كلونديك سنة ١٨٩٧ و ١٨٩٨ ازدحمت بالساكن والغريب حتى ضاقت بمن اتاها فصاروا يسكنون ضواحيها في خيام ينصبونها واكواخ يبنونها فانتشر المخيم حواليها نحو ميلين ونصف وبلغت عدتهم عشرة الاف او يزيدون — ولكن ماجاءت سنة ١٩٠٠ حتى قل العـدد والمزدحم فيها ونقلص عدد سكانها الى ثلثة الاف واصبح سنة ١٩٠٤ نحو الف ومئتين ليس الا

اكل EAGLE قرية واقعة في قطر الاسكا على مقربة من التخم الفاصل بين املاك الولايات المتحدة واملاك كندا الانكليزية وهي تبعد عن مدينة داوسون المار ذكرها نحو مئة وعشرة اميال وبينهما يجري نهر يوكون ويحمل الركب والسلع في السفن والزوارق من المدينة الواحدة الى الاخرى اما عدد اهليها فلا يتجاوز المئتين وخمسين نفساً الا ان قلتهم لاتحط من قدر القرية لانها ذات اهمية عظمى لوقوعها في اقصى التخم الشمالي وفيها تنتهي ادارة الكمارك الاميركية فلا تتعداها · وثمت اخر موقع عسكري في جهة الشمالي حيث تقيم الحامية في الثكن المتقنة البناء

ونهر يوكون يجري من صوب داوسون اليها ضارباً في الشمال الغربي وعلى جانبيه تلال واكام كلها لانكسوها الاشجار الا قليلاً وهنالك موقع

يقال له فورتي ميل عند مصب نهر يسمى بهذا الاسم وفيه مستودعات عظيمة لشركتين تجاريتين مهمتين جداً · وانما اختارتا هذا الموقع لسهولة النقل منه في النهر يوكون وما يصب فيه من الانهار والجداول ولان في الجوار بقعة ذات منا فية جم بالذهب ادرت عَلَى العاملين فيها مقداراً كبيراً من التبر قبل ان كُشفت كلونديك

وقرية اكل عَلَى قربها من المنطقة المتجمدة الشمالية ووقوعها في الدرجة ٥٦ من العرض صالحةً للزراعة حيث ترى فيها الحدائق والجنان المعتنى بها وهي للعاملين فيها مقادير وافرة من البطاطة والملفوف والقرنبيط والخس واللفت والفجل وغيرها وفي ذلك من الدليل عَلَى امكان زراعة القطر ما لا خلاف فيه

ومع ان قرية اكل صغيرة حقيرة فان سكانها القليلين لا يرتضون لها بالسكينة والخمول لئلا تشابه القبر ويشبهون الموتى في الحياة ولذلك تراهم عاملين عَلَى الحركة فيها مسهلين لانفسهم سبل الاجتماع والحظ والسرور ليقضوا ايامهم بالانس ·

وفي القرية فندق جميل تديره فتاة اميركية ذات علم وادب وتستدر منه دخلاً كافياً · وحكاية حال هذه الفتاة غريبة في بابها وهي انها كانت تعلم في احدى مدارس ولاية واشنطون ولها اخان شقيقان ففي سنة ١٨٩٨ وسنة ١٨٩٩ كانت تقيم مع اخويها في شيب كامب عَلَى مقربة من دبا فوقع يومئذ ان زحلت ركام الثلج ونزلت عَلَى تسعة وثمانين رجلاً كانوا يجاهدون في تسلق الجبل من جانبه فاسفت عليهم حتى كادت توردهم الهلكة — ولكن اهل الحمية والاقدام اندفعوا لانقاذهم من تحت الثلج وكان شقيقا الفتاة من جملتهم وما عتم ان انضمت الي المنقذين فاعانت اخويها عَلَى بناء طوف فوق بحيرة لندرمان وسارت بالذين انقذتهم في نهر يوكون حتى بلغت مدينة

داوسون في ربيع سنة ١٨٩٩ وكان يصحبها في عملها وسفرها فتاة اخرى اميركية من صديقاتها فتبارت الفتاتان في مضمار العمل المجيد واحرزت كلتاهما اكليل الغار لجهدهما وحسن عملهما · ولم يكن ركوب الطوف في بلاد الثلوج والجمد مما يوهن للفتاة عزماً او يرفع منها شكوى بل ثابرت دائبةً وكلما سئلت عن تعبها قالت انها تحسب سفرها كأنه ايام نزهة وما زالت تسير في النهر بمن معها حتى داوسون فاقامت ثمت يومين ثم تابعت السير حتى اكل فحطت فيها رحالها وضربت في القرية خيمة جعلتها مطعماً فتوارد الناس عليه حتى رأت ان عملها ناجح فانشأت نزلاً مرتباً نالت فيه تمام النجاح واصبح الناس من حولها وهم يعشقون ادابها ونشاطها ويذكرون مالها من الايدي البيضاء فيحترمونها حتى ان حكومة الولايات المتحدة عهدت اليها بادارة البريد في تلك الناحية

ولقرية اكل مستقبل باهر يخرج بها من الحقارة الى السعة وذلك لانها تتصل بقطر وافر الخيرات يدر عَلَى ذويه مالاً طائلاً الا ان وسائل النقل من اكل واليها مابرحت ضعيفة واهنة مع ان لاهليها شوقاً عظيماً لمد الطرق من قريتهم الى غيرها سيما لمدينة فالدز البعيدة عنهم نحوار بعمئة ميل جنوباً وهي الواقعة عند رأس المضيق المسمى البرنس وليم والاتصال اليها يدنيهم من البحر واهل هذه المدينة انفسهم ميالون كل الميل للاتصال بأكل · عَلَى ان الحكومة نفسها ترى من مصلحتها تمهيد الطرق وتنوي مد السكك الحديدية وقد باشرت دلك فعلاً سنة ١٨٩٩ فانها انفقت الاموال الطائلة عَلَى بناء الجسور فوق الانهار والجداول الحائلة بين فلدز واكل وفتح الطرق والمعابر في الغابات والاحراج لمرور السكة ولكنها لم يتيسر لها ماارادت من مدّ الخط

الحديدي ولئن مدّت السلك البرقي عَلَى مدى الطريق لكن تأجيل السكة المنوية ليس اهمالاً لها . لان السكة ضرورية لذلك القطر . ولا بدّ لاسعاده ان تمتد الطرق منها الى ضواحيها وليس ذلك ببعيد

فورت يوكون — واقع عَلَى شاطىء نهر يوكون يعلو عن المنطقة الجامدة الى شماليها مسافة ستة اميال وقد كان من قبل موقعاً عسكرياً ولكنه عدل عنه الى غيره لان البلدة كانت يومئذٍ عامرة تكثر فيها بيوت التجارة وكلها تشتغل في الفرو فلما وضعت حكومة الولايات المتحدة للصيد قانوناً صارماً اصبح الهنود الصيادون في ضيق الخناق فكفوا عن الصيد وضاقت تجارة الفرو حتى انقطعت فبرح التجار البلدة في طلب عملٍ آخر وخروجهم منها ارجعها قريةً حقيرة لا تخلو من اثار عزٍ مضى . عَلَى ان سكانها الهنود اصبحوا يشكون انقطاع موارد الرزق ولا يجدون اليه سبيلاً والحكومة الاميركية غافلة عنهم

رامبرت RAMPART بلدة عَلَى مجرى نهر يوكون في منتصف الطريق بين داوسون وبحر بيرين وموقعها عَلَى ضفاف النهر وهو بقربها يناهز عرضه النصف ميل وعَلَى عدوته تربة سبخة كأنها الاسفنج ينمو فيها الكرم والطحلب فيكسوها طبقة كثيفة سمكها نحو عشرة قراريط تمنع عن التربة المجلدة اشعة الشمس وامام هذه التربة الخضراء مرتفع من الارض بنيت عليه المدينة ودورها ذات طابقٍ او طابقين بينها الحوانيت والمستودعات ودور التلغراف والبريد والحكومة ومكاتب التجارة والشركات — وعدد سكانها لا يزيد عن الاربعمئة من امم شتى الا انهم مع اختلافهم في الجنس يعيشون مع بعضهم بالسلام والوئام والراحة والهناء

ومما يجعل هذه البلدة الصغيرة ذات حركة ونشاط انها تُعقد فيها المحكمة النقالة في وقت مسمى من السنة فيجيئها القضاة والمتشرعون ووكلاء الدعاوى وار باب القضايا والشهود فيز يدون كثيراً في عدد سكان البلدة ويكسبونها رواجاً

والقطر الخاضع لهذه المحكمة النقالة يمتد من الاوقيانوس الباسيفيكي الشمالي الى الاوقيانوس القطبي (مسافة ٥٠٠ ميل) ومن التخوم الفاصلة بين الولايات المتحدة وكندا في الشرق حتى مصب نهر كيكوك مسافة ٩٠٠ ميل — وفي كل هذا المدى الشاسع لاتجد سكة حديدية تمتد ميلاً واحداً ولا طريقاً ممهداً تجري عليه المركبات فهو خالٍ من وسائل النقل براً وكلما يستطيع المسافر اعتماده هو ركوب البواخر والسفن في نهر يوكون الذي يجري في قلب البلاد — ومع هذه الصعاب ترى الاهلين يزدحمون في البلدة حينما تعقد المحكمة جلستها فيها فيأتونها من كل فجٍ سحيق لا يعبأون بما يصرفون من الوقت والمال في سبيلها

وكانت رامبرت من قبل قريةً يسكنها الهنود الوطنيون فلما نهضت البلاد اصبحت مركزاً تجارياً مهماً — يشتغل بعض اهليها بالبيع والشراء وبعضهم بالاعمال التجارية وغيرهم بنقل البضائع

وعَلَى قرب من هذه البلدة قرية هندية قائمة عَلَى ضفة نهر يسمونه لتل منوك وهي تخضع لزعيم مشهور من الهنود اسمه وليم بيتكو وترى اهليها يدأبون عَلَى صيد سمك السلمون اي حوت سليمان وتجفيفه وتدخينه فتراهم ينشرونه امام بيوتهم ولكنهم لا يقصدون باشتغالهم به ان يتخذوا من بيعه مورد رزق

لهم بل هم يذدخرون المدخن منه موءنة لهم في زمن الشتاء مع انهم لو استرشدوا لكان عملهم مفيداً لهم كثيراً وحسبهم ان تجاره هذا السمك رائجة كل الرواج في اوربا واميركا ولصيده وتجفيفه شركات مهمة تربح الارباح الطائلة

ومما يذكر عن بلدة رامبرت وجوارها وقد ادهش الباحثين من اهل العلم فاتخذوه دليلاً عَلَى انقلاب الاقاليم انقلاباً عظيماً انهم وجدوا في طيات الارض وهم يحفرونها تفتيشاً عَلَى الذهب قطعاً ضخاماً من العاج وانت خبير ان العاج عبارة عن انياب وقرون بعض انواع الحيوانات اللبونة من مثل الفيلة وغيرها مما لايعيش الا في المناطق الحارة فوجود العاج تحت طيات التراب في قطر الاسكا المتجمد من البرد دليل قاطع عَلَى ان الطقس هنالك قد انقلب من الحر الى البرد بمعنى ان المنطقة المتجمدة اليوم مر عليها حين من الدهر كانت فيه حارة جداً كما هو الحال علي مقربة من خط الاستواء لهذا العهد ٠

وهذا الانقلاب يقول به العلماء الاعلام ويعللونه تعليلاً علمياً موءداه ان الارض في ما كانت تدور عَلَى محورها انحرفت بعض الشيء فتغيرت عن وجهتها في دورتها اليومية فانقلب الاقليم من الحرارة الى البرودة القارسة وكانت النتيجة ان انقرض الحيوان الذي لايعيش في البرد وبقي من اثاره تلك الانياب والقرون

الا ان القول بان الفيلة وامثالها ليست مما يعيش الا في المناطق الحارة لم يبق سائداً عَلَى اطلاقه بل قام لمعارضته جماعة من العلماء يذهبون الى ان ذلك النوع من الحيوان ليس من ضروريات عيشه ان يقيم في الاقطار الحارة ويقولون ايضاً ان انقلاب الاقاليم لايحدث ضرورةً عن انحراف الارض في

دورتها اليومية

تلك مباحث واقوال علمية لاشأن لنا في تحقيقها وانما يهمنا من الامر ان وجود تلك القطع من العاج في ذلك القطر ادهش العالم · ومما يحكى ان بعض الاوربيين وجدوا في سقف كوخ حقير لاحد الهنود قرنين عظيمين متصلين ببعضهما بقطعة من رأس الحيوان الذي كانا فيه · وقد وضعهما الهندي في سقف كوخه بعد اذ وجدهما في احد المناجم عَلَى عمق اثنين وعشرين ميلاً اما طولها فثلاثة اقدام و بضع عشرة قيراط وثخنهما خمسة عشر قيراطاً والعلماء لم يجزموا بمعرفة نوع الحيوان الذي كانا له فذهب بعضهم الى انه الجاموس بدليل ان القرنين معكوفان من الطرفين وخالفهم غيرهم بانهما اكبر بكثير من قرون الجاموس الاميركي BISON

ومنذ بضع سنين كانت حكومة الولايات المتحدة قد اوفدت مفتشاً صحياً من كبار اطباء عسكرها يقال له و يلكوكس فرأى القرنين لامثيل لهما بين العاج الذي وجده الناقبون في الاسكا فاغرى صاحبهما عَلَى ارسالهما لدار العلوم المشهورة SMITHSNIAN INSTITUTION ليعرضا فيها لبحث العلماء ونظر الطلبة ففعل واصبحت تلك الدار حاوية كنزاً ثميناً لايبارى في نوعه فزادت به متحفها فخراً ونفعاً للناس لان به من الاثار والتحف والظرف وامثلة الحيوان والنبات من كل بائد وحي مايستلفت الانظار و يفيد الطالبين في دروسهم وابحاثهم نهر تنانا TANANA RIVER عَلَى بعد ٥٧ ميلاً من رامبرت مصب نهر تنانا في نهر يوكون وعَلَى كل من ضفتي تنانا اليمنى واليسرى موضع عمرته شركة تجارية واتخذته

مقرًّا لعمالها ومستودعاً لبضائعها واسم الموضع الاول واير WEARE واسم الثاني تنانا وبين الموضعين حصن اسمه فورت كبون FORT GIBBON تخفره شرزمة من جند الولايات المتحدة · والموضعان واير وتنانا لا يحسبان قريتين ولكنهما منزلتان للشركتين ومن التف علَى كل منهما من العملة

وفي فورت كبون برج عالٍ من الحديد للتلغراف اللاسلكي الذي ترتبط به مدينتا فالدز واكل ومن هذا البرج يتصل بعبر نهر تنانا الى سان ميشال ومن هذي يتصل بنورتون سوند فنوم وبه تصبح المراسلات اللاسلكية دائرة في اهم مواقع القطر فلا تحرم البلاد منافع السرعة في التراسل سيما وانه حدث منذ بضع سنين انهم مدوا في بعض المواضع سلكاً للتلغراف العادي تحت ماء بعض البواغيز فلما جاء زمن الشتاء بثلجه وجمده الهائل تقطع السلك اربًا وذهبت العناية والمال ضياعاً فاصبحوا وهم لا يجدون الا التلغراف اللاسلكي لهم سبيلاً للتراسل المستعجل

نهر يوكون YUKON RIVER نهر يشق قطر الاسكا ويجري فيه مسافة الفين من الاميال ويصب في بحر بيرين بعـد اذ يتفرع الى سبعة فروع كلها تصب في البحر علَى مدى نحو من تسعين ميلاً · وكلها تصلح لسير السفن فيها · وكل سفينة جرت في النهر قبل تفرعه وكانت قاصدة ميناء سان ميشال تذهب في الفروع الشمالية فان صادفت البحر رهواً اسرعت نحو المدينة المقصودة فبلغتها بسلام وامن لانها تبعد عن المصب الشمالي نحواً من ستين ميلاً

وهذا النهر يبتدئ من تخوم كندا ويصب فيه نهر يقال له لويس ريفر وعلَى ضفته موضع اسمه فورت سيلكرك كان مستودعاً لاحدى الشركات التجارية

واليوكون في هذه البقعة يجري في وادٍ عميق بشدة وسرعة تفوق سرعة جري ماء نهر المسسبي في الولايات المتحدة. وترى ضفافه شاهقة العلو وكلها ذات اشجار وانجم ونبات ومع ان تلك الاشجار يؤخذ منها الحطب للوقيد وتعطي مقداراً كبيراً ينتفع منه الناس فانها ليس فيها اخشاب ضخمة تصلح للانتفاع بها في الاعمال الاخرى.

ويسير النهر بين اكام وتلال ذات اخضرار بديع وقد يكون ارتفاعها كبيراً فتماثل فيه الجبال العالية عَلَى انها مع ما فيها من خصائص الغابات ومظاهرها لا تجد فيها من الحيوانات والطيور والدبابات الا قليلاً فثمت من ذوات الجناح القنبرة والسماني والنسر ومن الدبابات الغزال والغنم الجبلي والدب عَلَى ان في النهر كثيراً من السمك اشهرها السلمون

فالسفر في النهر عَلَى القوارب من اجمل الاسفار الا ان الانسان يشعر احياناً بالوحدة والانفراد عن العالم انفراداً ينقبض له صدره حتى يكاد لا يجد مسرة بما يحيط به من المشاهد البديعة ولذلك ينشرح صدره عندما يمر في الاحايين عَلَى كوخ منفرد يسكنه غير واحد من المحتطبين او حين يرى مساكن الخفراء والحرس او يشهد منهم نفراً من فوارس الشرطة — فمرأى اولئك البشر يفرج عن السائح ويشعر بنفسه انه غير منفرد عن الناس — ومثل هذا ينشرح صدره متى رأى النهر جارياً بتعاريجه وسرعة جري مائه بين التلال الخضراء والمروج المدبجة بالزهور البديعة المختلفة الاشكال وثمت نوع غريب يقال له النبت الناري ذلك لان تموجه بظهره بمظهر شعلة النار الملتهبة والممتدة الى امد فسيح المدى

كل هذا يظهر لنا ان طبيعة هذا القطر ليست عَلَى ما يقول فيها بعض واصفيها بل هي في الربيع والصيف جوادة خصيبة تحاكي احسن بقاع الارض خصباً حتى انه يروى ان رجلاً من الانكليز حرث بقعة قريبة من موقع سلكيرك وزرعها بالبطاطة وغيرها ثم حمل الغلة الوافرة الى مدينة داوسون فباعها في سوقها الرائج وكان له من صافي الربح نحو ثلثة آلاف ريال اميركي اي خمسة عشر الف فرنك وهو مقدار عظيم في العمل الزراعي يدل باجلى بيان عَلَى ان الانسان يجني من ذلك المكان غنىً وافراً من حاصلات الارض تعادل الكسب من الذهب — وفوق هذا فان في استغلال الارض جاذباً جديداً للناس يحشرهم فيها من كل فج سحيق لاستغلالها غير ان عَلَى الزارعين ان يراعوا حالة الطقس بحيث لا يرجون نفعاً زمن الشتاء واما الحاصلات التي تستغل بوفرة زائدة من وادي هذا النهر فهي البقول والخضراوات

ومن غرائب مظاهر النهر انه يصب فيه جدول اسمه النهر الابيض WHITE RIVER يأتيه من الصوب الغربي حاملاً اليه تراب ابيض اللون يصبغه فيكسبه اللون الذي سمي به

واليوكون يجري كما مرَّ في ارض كندا الانكليزية ويتجاوزها الى قطر الاسكا الاميركي فالبلاد المسماة به قسمان كندي واميركاني والقسم الكندي نائل من فضل حكومته ترتيباً حسناً ونعماً جليلة اهمها انه يحكم عَلَى الطريقة النيابية تحت رئاسة حاكم وموظفين من خيار رجال كندا وله الحق ان يبعث لمجلس نوابها مبعوثاً عنه واما القسم الاميركي فما برح يسعى للحصول عَلَى مثل تلك النعمة

ومعظم سكان القسم الكندي من الاميركان الذي تركوا رعوية دولتهم ولحقوا بتابعية حكومة كندا وتمتعوا بحقوق الانتخاب . وانهم لينالون هذا الحق بعد سكنى ثلث سنين في القطر .

سان ميشال ST. MICHAEL قلنا ان نهر يوكون يصب في بحر بيرين بعد ان يشق احشاء الاسكا مسافة الفي ميل وعند مصبه مضيق يقال له نورتون سوند. وعند طرفه الشمالي موقع بلدة صغيرة هي سان ميشال . والجزيرة الواقعة فيها كلها موقع عسكري تحتله الولايات المتحدة بجندها ولا تسمح لاحد من الناس ان يقيم فيه او ينصب خيمة الا باذن مخصوص من لدنها ولذلك لا تجد فيه مستودعاً ولا حانوتاً لتاجر ولا وسائل للاتصال . وانما انحصر ذلك في بلدة سان ميشال حيث استحصل التجار والشركات على الاجازة فاقاموا يعملون باشغالهم وشادوا ما يلزم لهم من المباني فعمرت بهم البلدة . واصبحت ذات مقام تجاري في الصوب الشمالي الغربي حتى عمرت بالساكن وانشئت فيها الفنادق والبيوت والمصانع كلها باجازة الحكومة الاميركية — فازدهت المدينة وكان معظم ايام زهوتها سنتي ١٨٩٨ و١٩٩٩ لكنها اصيبت بعدهما بمد الخط الحديدي المسمى هويت باس فتحولت الاعمال عنها الى تلك الجهة وبارت سوقها فاندغمت الشركات العاملة فيها في بعضها واصبحت شركتين صارت وهي منفردة لا تقوى على العمل ازاء بعضها

وتاريخ هذه المدينة ينتهي الى سنة ١٨٣٥ حين احتلها الروس واتخذوها موقعاً عسكرياً ونشأت فيها يومئذٍ تجارة الفرو يشترونه من الهنود الاصليين ويصدرونه الى روسيا وافضى الاحتلال الروسي بالبلدة الى عمرانها بتجارهم

وعسكرهم فزهت بعض الشيء وقامت فيها بعض المباني لسكنى اولئك التجار ومستخدميهم ولمصانعهم ومكاتبهم وحوانيتهم وظلت قائمة هنالك حتى بيع القطر الى الولايات المتحدة فاصبحت تلك المباني للشركات الناشئة · واما الحكومة الروسية فانها حصنت هذا الموقع وعززته بالمدافع والذخيرة والحامية الشديدة · وما برح حتى اليوم اثر تلك المعاقل ظاهراً للعيان في اكمة عالية رأسها داخل في البحر يستشرف المرفأ ويستحكمه وفيه اثنى عشر مدفعاً عتيقاً علاها الصداء · وليس في كل الجزيرة شجرة خضراء مع ان تربتها مكسوة بالنبات والاخضرار

والهنود الوطنيون من سكان الجزيرة يعملون اشياء كثيرة من حاجياتهم التي يرتاح اهل الحضارة لرؤياها واحراز بعضها مثالاً لادوات القوم وآنيتهم فهم يصطنعون المزالج للسير بها على الثلج ويحيكون السلال من القصب ولهم دربة في عمل الرماح والحراب بعضها لصيد الفقمة وغيرها من حيوان البحر والبعض لقنص الوحوش البرية والطيور والدبابات الى غير ذلك من الحاجيات على انهم صناع اليدين ايضاً في التحكم بالعاج وعظام فرس البحر وجلده — وقد يميلون الى التصوير والرسم على بعض مصنوعاتهم فيرسمون مشاهد الصيد والقنص ويحسنون تصويرها بنسبة حالهم

ومما يذكر ان الشركات التجارية انصرفت لاستبضاع بعض المصنوعات الهندية وشرعت تصدرها الى بلاد التمدن فتبيعها في اسواقها بما يدر عليها ربحاً طائلاً ذلك لان الافرنج يتشوفون لاحراز امثلة الصناعات الوطنية الهندية و يحسبونها طرفاً يصح التباهي بها · ومذ شعر الهنود بالرغبة في مشترى

مصنوعاتهم تهافتوا عَلَى عملها والتفنن بها ·

وفي الجزيرة قريتان صغيرتان للوطنيين والقرية عبارة عن بضع عشرة من الاكواخ يزدحم فيها الهنود ومن عجيب امرهم فيها انهم يجعلونها عَلَى شكل المدن التي تجاورها ذلك لان القوم مولعون بتقليد البيض في معايشهم ومناحيهم بل قد يتجاوزون ذلك الى تقليدهم في ملابسهم ولكنهم لا يقلدونهم بادابهم واجتهادهم وطلبهم للعلوم والمعرفة والا لنهضوا من غفلتهم ونفضوا عنهم غبار الاضمحلال الذي سياخذهم وشيكاً ان لم يرعووا

عَلَى ان اخلاق هؤلاء الهنود رضية وكلهم انيس المحضر لطيف المعاشرة اليف فتجدهم يحومون حول البيض وياخذون عنهم وينتفعون بقربهم — وفوق هذا فان لهندي مضياف كبير يبذل عن كرم وسخاء ليقوم بواجب الضيافة ولو افضى ذلك به الى ضياع كلما يملك — فالضيف عندهم يقدم له الطعام ويرجى ان ياكل منه كثيراً ولا يكتفى بذلك بل يعطى هدية من موجودات مضيفه · كل هذا ليسر الضيف كل السرور ويمتن لجميل صاحبه ويصبح مديوناً لمعروفه مطالباً باضافته عند الحاجة

واكثر الولائم تقام عندهم في دار الضيافة وهي اشبه شيء بمنتدى عام في القرى يأتيه القوم افواجاً ويقال له بلغتهم كازهيم يبنى غالباً من اغصان الشجر الى جانب الاكمة او يحفر له في الارض · ويفتح له منفذ ضيق يدخلون منه زحفاً او حبواً الى قاعة فسيحة ربما بلغ طولها العشرين قدماً وليس لها نوافذ لتجديد هوائها ودخول النور اليها ولكنها تثقب في السقف ثقباً يخرج منه دخان النار التي تضرم في وسطها للاصطلاء بها — وفي دائر القاعة مصطبة

يجلسون عليها ٠ ومن عادتهم ان يقضوا ايام برد الشتاء جلوساً فيها يتحدثون بما لديهم من الشؤون او يقصون علَى بعضهم ما مر بهم من وقائعهم وحوادث الصيد والقنص مبالغين في الرواية ما شاءَت مخيلاتهم علَى انهم مع خوضهم غمار الحديث لا يفتر الواحد منهم عن العمل بشغله اليدوي الذي يعمله فيشبهون النساء متى كن يعملن عملاً يدوياً

فهذا المنتدى يستخدمونه للولائم وحفلات الرقص والغناء الوطني ويجرون فيه العابهم واما الرقص فيقوم به الرجال بان يخلع نفر منهم ثيابهم فيكشفون عن صدورهم وظهورهم وايديهم ويشرعون بالرقص الجميل الذي عرف عنهم والى جانبهم يقف المطربون فيعزفون علَى آلتين احداهما كالطبل عزفاً متماثلاً يكاد يمزق الاذان ومتى امعن الراقصون وبلغت بهم الحماسة حدها علت اصوات الطبل والمغنين ولا يزالون كذلك حتى يتعب الراقصون فيقفون وقد تصبب العرق من ابدانهم

جزائر اليوت ALEUTIAN ISLANDS يقول العلماء انه مرّ علَى الكون حين من الدهر سابق لزمن تهيئة الارض لسكنى البشر وفي خلاله وقعت زلازل شديدة اضطربت لها الارض اضطراباً عظيماً اخرجت به من قاع البحر الشمالي براً مرتفعاً امتد من الساحل الجنوبي الغربي من الاسكا في البحر الى ما يقابله من الساحل الاسيوي في سيبيريا حتى كادا تتلاقيان وبامتداد هذا البرّ الناتىء اصبح بحر بيرين بوغازاً يصل بين المحيطين الباسيفيكي والمتجمد الشمالي واذا نظرت الى خريطة تلك الاصقاع ترى شبه جزيرة الاسكا متصلاً برها وضارباً في البوغاز بين بحر بيرين والباسفيكي مسافة ٥٠٠ ميل

وكأن فعل الزلازل لم يكن خالياً من الفصل لان شخوص البر من القاع وقف حيناً عند طرف شبه الجزيرة ثم عاود عمله متقطعاً فكان يخرج جزيرة بعد جزيرة واستمر عَلَى عمله مسافة الفٍ من الاميال فهذه الجزائر هي المعروفة بين الناس بجزائر اليوت

ومن اهمها جزيرة تُعرف باسم ان الاسكا UNALASKA وهي ذات ميناء امين تحسب من احسن مين العالم واسلمها يدخل اليها من الشمال عَلَى ماء يتعرج سبيله كثيراً بين جبال تدراء عنه العواصف والانواء وتبلغ بالسفن الى مرسى يأمن عليها مغبة البحر ومهما كانت تلك السفن مثقلة فانها متى بلغت ذلك المرسى امنت وشرعت تفرغ شحنها غير مبالية بما في البحر من الهول · وتظل هذه الميناء عَلَى امنها مدى السنة

غير ان امن الميناء في الاسكا لا يحرمها مشاركة سائر تربياتها من مواقع القطر في خصائص الشمال فترى قمم جبالها البركانية الشكل مكسوة بالثلج الدائم واما جوانب الجبال وسهول الجزيرة ووديانها فانها تظهر بمظهر الاخضرار الربيعي وتتدبج بالزهور البرية من نيسان فتبقى كذلك الى تشرين الثاني وهذا الاخضرار كله من العشب والكلاء لان الجزيرة تخلو من الاشجار

عَلَى ان منظر الجزيرة بديع جداً لان الناظر اليها يرى تلك القمم الشاهقة تناطح السحاب بعمتها البيضاء ويرى من بعضها فوهاتٍ ما برحت تصعد دخانها دليلاً عَلَى ان نارها الداخلية ما فتئت متقدة ولكنها غير محتدمة والاَّ لاستمرت عَلَى قذف الحمم فنفت من جوارها الثلج والنبات · والحال ان العين تقع بعد مشهد رؤوس الجبال عَلَى جوانب واكام وسهول ووديان

كلها دبجها الزهر والعشب ومن بعدها تستقر على متسع البحر فلا اجمل ولا ابدع واقليم الجزيرة لطيف الهواء جدًّا حتى انه يكون في ابان احتدام الشتاء غير منحطٍ في الميزان عن ثلاثين درجة فوق الصفر بميزان فهرنهيت فاذا جاء الصيف ارتفع الى الخمسين ولا يزيد فهو في الحالتين لطيف جدًّا يأنس به الانسان فتحلو له السكنى ولا يراع لما يرى من كثرة المطر والثلج والضباب

وكأن اعتدال الطقس في تلك الجزيرة الشمالية مسبب عن مرور مجرى الاوقيانوس المعروف بين العلماء بالياباني حول هذه الجزائر وهو على ما وصفوه مجرى من الماء غير باردٍ يخرج من الاوقيانوس ويضرب شرقًا مخالفًا في قلة برده سائر الماء الذي يجري في وسطه فينشر من حرارته ما يغير شيئًا من خصائص القطر

وطقس جزيرة ان الاسكا وامن مرساها استلفتا انظار الروس اليها منذ وطئوا البلاد وعمروها فنزلوا الجزيرة واقاموا بها يتجرون بالفرو فسعدت بهم واعتزت وكانت تجارة الفرو رائجة كل الرواج ولذلك انصرف الصيادون الى اقتناص حيوانها بملء جهدهم فاكثروا من قتله ولم يحسبوا حسابًا للمستقبل فافضى الامر بهم الى استئصال شأفته او تقليل نوعه

ولما قلت تجارة الفرو عن الموضع وضعف شأنها انحطت آن الاسكا عن مقامها الاول وظلت كذلك حتى صارت للولايات المتحدة فانتعشت بعض الشيء ونزلها المتجرون واقاموا فيها المستودعات

وفي الجزيرة الآن نزالتان احداهما في موضع يُقال له الدوتش هار بور DUTCH HARBOUR والثاني ان الاسكا او ايليوليوك ILIULIUK

وفي الاول تجد مستودعات عظيمة للبضائع وللفحم الحجري الذي تحتاجه البواخر . وبما ان الميناء تزدحم بالسفن لامنها ترى الحركة هنالك على اتمها سيما وان الاسطول الذي ارصدته الولايات المتحدة لحماية هذا القطر يقيم معظمه في هذا المرسى

واما الثاني اي ان الاسكا فهو عبارة عن قرية قديمة غير ان السياح والرواد يقصدونها لمشترى بعض السلع الوطنية التي يحملونها الى اوطانهم ليذكروا بها سياحتهم في هذه الاقطار واهمها السلال المحوكة وهي على الاكثر من صنع جزيرة اتو وانما يتبضعها تاجر الماني ويجيء بها الى سوق ان الاسكا فتروج واي رواج ومن الغريب ان هذا الالماني قد توفق واغتنى واصبحت له الكلمة والوجاهة حتى انتهت اليه الزعامة على الجزيرة مع انه غريب عنها

وحوك هذه السلال دقيق يدل على المهارة ومثله يصنع الاهلون اشياء كثيرة يرغب فيها السياح وينقلونها طرفاً . ولا غرابة في هذا لانها تصنع من اوراق النبات واليافه صنعاً جميلاً غريباً في دقته وحوكه فيكون كأنه طرف الصناعة اليدوية من خيوط الكتان والحرير مما يتباهى به الاغنياء

وقرية ان الاسكا عبارة عن عدة اكواخ كلها بيضاء يسكنها الناس وبينها عديد من مكاتب التجار والحوانيت والمستودعات وكلها قائمة اما الجون الذي يسمى ايليوليوك ومن فوقها ترى قبة عالية وابراجاً تدلك ان ثمت كنيسة ارثوذكسية فاذا قصدتها وجدت موقعها بديعاً يستشرف احسن المشاهد واجملها وهي من بناء الروس حينما كانوا مالكين القطر

وعند طرف القرية العلوي تجد الجون الممتد من البحر يضيق حتى يصبح

فى تلك النقطة بوغازاً ضيقاً جداً لا ينتهي بل متى تجاوز القرية يعود الى الاتساع ويدخل الاودية قيلاً وها من ماء البحر ويظل كذلك حتى قلب الجزيرة

ولقد كان لهذه القرية في الماضي شأن في التجارة وحركة ولكن اختها دتش هاربور سلبتها كل ذلك فباتت تلك وقد خمدت جذوتها وبارت سوقها وتعطلت ارصفتها وخلا مرساها من السفن وبالاجمال لم يبقَ لها الاجمال منظرها الطبيعي وليس هذا الانقلاب غريباً فى الاسكا لان من يعرف تاريخها يرى ان معظم المدن والثغور التي كانت ذات اهمية في زمن الحكومة الروسية فقدت مقامها مذ صارت البلاد للولايات المتحدة ونشأت اهمية مواقع اخري تجاورها اعتبر ذلك بما كان من حال مدينتين كان لهما الشأن الاعظم في الاسكا الروسية احداهما بلدة سان بول المعروفة ايضاً باسم كودياك فانها كانت نقطة الدائرة ومحور التجارة والصناعة بل والسياسة ايضاً وظلت عَلَى ذلك حيناً من الزمن الروسي وثانيتهما بلدة سيتكا فانها سلبت سان بول مقامها الاول وتحولت اليها التجارة الروسية والصناعة والاعمال الاخرى واصبحت مركزاً للسياسة القيصرية في القطر الاميركي ولكن لم تستولِ الولايات المتحدة عَلَى البلاد حتى باتت سيتكا واهميتها خبراً من الاخبار

فاما كودياك KODIAK فواقعة عَلَى الساحل الجنوبي من جزيرة تعرف باسمها وهي جمة المنظر وفيها اثار جمة تدل عَلَى مكانتها الاولى واهميتها في الزمن الروسي منها الكنيسة الارثوذكسية البديعة والمباني الضخام التي شادهــا الروس لاستيداع البضائع فصبرت عَلَى الايام والاهمال وما برحت كانها بنت الامس

ومع ان كودياك انحطت عن عظمتها ولم تدم لهـا الزعامة علَى تجارة القطر فانها عاد اليها شيء من الرواج في عهد الولايات المتحدة وانشأت فيها شركة الاسكا التجارية فرعاً لاعمالها فنجحت وبما ان اقليم هذه البلدة لا يماثل اقاليم القطر بشدته وقسوته تشكلت في مدينة سياتل الاميركية شركة لتربية الغنم فيها وارسلت اليها ثلاثة آلاف رأس من الضأن سرّحت فيها الترعى كلاءها الوافر ممن غير رعاةٍ يديرونها فظهر للشركة بعد اختبار ثلث سنوات انها لم تصب في عملها نجاحاً كبيراً بالرغم عن جودة المرعى لان بين الاعشاب النامية ادغالاً شائكة تعلق الانعام فيها ولا تنجو منها الا بعناية رعاتها ورأوا ايضاً ان الربيع هنالك ماطر قارس البرد لا تسلم فيه الحملان من الاذى اذا تركت وشأنها من غير حظيرة تأوي اليها ولذلك كان الموت فيها ذريعاً فعادت الشركة وبعثت الى الجزيرة بقطيع آخر فيه ٧٥٠٠ من الغنم و٥٠٠ من الانعام الاخرى وبنت لها الحظائر لتأوي اليها صغارها زمن البرد وجعلت رعاتها يسرحونها للمرعى ويبذلون لها من العناية ما يعينها علَى التمتع بنعم الطبيعة من غير ان ينالها ضررها . فنجحت هذه التجارب واملوا بها خيراً سيما لان الرعاة يقيمون علَى خفارتها فلا تتوغل بين الوديان والجبال ولا تعرّض لفتك الدببة السمراء التي يكثر وجودها هنالك

ولا يقتصر الاميركان علَى الانتفاع بتربية الانعام وعلَى ما يؤملون منها من الخير ولكنهم شرعوا في عملٍ آخر يجنون منه كسباً ذلك انهم يقتنصون الثعالب ويضعونها في حظائر ويربونها ويعتنون بها فلا يسومهم الثعلب الواحد اكثر من ريال ونصف اميركاني في السنة نفقةً لطعامه ولكنهم يأخذون منه

الفرو الفاخر فمنه الازرق ومنه الفضيّ اللون وثمن الفرو يتراوح بين الخمسين والعشرين ريالاً لان وجوده قد قلّ وندر فزاد قيمةً عَلَى الفرو الفاخر الذي يؤخذ من الفقمة ويتباهى به الناس · وهذا زاد تجاره رغبةً في جمع الثعالب وتربيتها فانتشر الصيادون لقنصه في طول البلاد وعرضها حتى بلغوا اقصى جزائر اليوت

ومما نرى ان الاميركان اعاضوا هذه القرية بعض ما فقدت من الحركة التجارية وانهم دائبون عَلَى العمل لزيادة نشاطها وتقدمها واما سيتكا SITKA فواقعة الى الجانب الغربي من جزيرة بارانوف عَلَى الطرف الظاهر من الارخبيل مما كان حقه ان يعرضها للرياح الهوج وانواء البحر غير انها مصانة من ذلك بما يكتنفها من الجزائر والرؤوس الواقية لها من العواصف ولهذا تجد ميناءها اميناً ومرساها غاصاً بالسفن المتجئة اليها

ومما يُحكى عن نشأة هذه البلدة ان رجلاً روسياً اسمه الكسندر بارانوف تولى سنة ١٧٩٠ زعامة الروس في هذه الديار وقبض بيمناه عَلَى ادارة شؤونهم وكان حكيماً باسلاً فاتخذ جزيرة كودياك في بادىء الامر مركزاً لاعماله التجارية والصناعية والسياسية فافلح وازدهرت الجزيرة به غير انه ظاف الجوار وكانه رأى موقع سيتكا ادنى الى مصلحته وهي تجارة الفرو او اعجبه جمال منظرها فعدل اليها واختارها مقرًّا · عَلَى ان الهنود الوطنيين الذين يسكنونها وجوارها ويُعرفون باسم قبيلة كولوش لم يرتاحوا الى جواره فناصبوه العداء وقاوموه جهدهم غير انهم غلبوا ولكنهم ساموا بارانوف دماً ذكياً من رجاله وتعباً جزيلاً للتغلب عَلَى اصرارهم وعنادهم · ولم يكتفوا بما كان منهم

من الجهاد لمنع نزول الروس فى الموقع بل صبروا عليهم ريثما احتلوه فلم يمكنهم الهنود من القيام فيه حتى دهموهم فقتلوهم عن آخرهم . غير ان هذا المصاب لم يضعف همة الرجل الهمام بارانوف بل بالعكس زاده جرأة واقداماً فجاهد حتى ظفر ورسخت قدمه فى سيتكا ونال بين الناس مقامه من التجلة والاحترام حتى انك لتجد ذكره الى اليوم معطراً بينهم

وفي المدينة من الاثار الروسية شيء يذكر بما مرَّ عليها فثمت عند المرفاء معقل احرقه الهنود عند ظفرهم ولكنه عاد فشيده الروس وهنالك مبانٍ عمومية اخرى كلها تُعرف باسم مؤسسها بارانوف . واما الكنيسة الارثوذكسية فانها تدل عَلَى البناء الروسي وزخرفتها كذلك

وظلت سيتكا حاضرة الاسكا منذ احتلها الروس الى آخر عهدهم بامتلاك البلاد ولما باعوها للولايات المتحدة نزلها عمال هذه الدولة ورفعوا عليها ذات النجوم والخطوط اي راية جمهوريتهم علامةً لدخول القطر في حوزتهم وظلت البلدة حاضرةً تجري فيها الاحكام الاميركية وتصدر منها الاوامر والنواهي كما كان شأنها ايام الروس حتى العهد الاخير حين انتقل القضاء والادارة الى بلدة جونو لانها صارت اكثر منها اهميةً وارفع مكانةً ولكن ظلت سيتكا منزلاً للحاكم العام وللمفتش الاكبر . ومع ان جونو تفضلها بما هي عليه من المقام التجاري ومن سهولة الاتصال بغيرها فان مركز الحكومة لم يبقَ له عند القوم مزية الحواضر في الزمن القديم لتوزع السلطات وايداعها بايدي الحكام المحليين والمجالس

ومن الغريب ان حكومة الولايات المتحدة عَلَى بعدها تحكم هذا القطر

بما تصدر اليه من الاوامر من عاصمتها واشنطون الا ما كان من القضايا متعلقاً بالشؤون المحلية . وهذا النمط في الحكم كان مدعاةً لنهضة بعض الاميركان النازلين في الاسكا ومن التف على رأيهم من سكان الولايات المتحدة لمطالبة الحكومة الاميركية بحق اهل الاسكا ان يستقلوا في احكامهم الداخلية كما هو حال ولايتها الجمة والملحقات بها . ويقولون فى معذرة حكومتهم انها اشترت القطر من روسيا واهملت النظر في شأن ادارته حتى كادت تنسى انه صار بضعة منها وسبق لها بعد شرائه وضمه اليها انها عهدت بادارته لعسكرها الذي اقامته للخفارة فيها فنشأت فيه حكومة عسكرية شديدة الوطأة كانت اضرارها اكثر من نفعها فلما شكى الاهلون أُخرج الامر من يد الجندية واودع للعمال وسنت لهم قوانين خاصة لا يجري مفعولها في غير الاسكا

ومما يعجب له بعض الاحرار من الاميركان انفسهم ان سكان الاسكا عَلَى شدة رغبتهم في الاستقلال الاداري لا يلحون عَلَى حكومة الولايات المتحدة الحاحاً شديداً يفضي بها الى منحهم ما يريدون فيردُّ عليهم الواقفون عَلَى حقائق الاحوال بان اولئك المتحمسين لا يعرفون من شؤون البلاد الاّ الظواهر فيحسبونها قطراً يسهل فيه العمل المشترك كمعظم انحاء العالم ولكنهم لو انعموا النظر لرأوا ان عدد السكان يبلغ ٦٣ الفاً من النفوس منهم نحو ثلاثين الفاً من البيض والباقون من الاهلين الاصليين الذين تنتهي اصلهم الى السلالتين الهندية والاسكيمو وفيهم بعض مواليد الاوربيين في اميركا الجنوبية وهم الذين يعرفون باسم CREOLES واما البيض فيغلب فيهم ان يكونوا من اهل الولايات المتحدة

ولا مشاحة ان وجود هؤلاء البيض هو الداعي لاهتمام الاحرار بمنحهم حقوق الحكم الذاتي ليكون لهم في مهاجرهم مثل ما كان لهم في اوطانهم الاميركية من الحقوق . ولكنهم في الاسكا عدد قليل منتشر في بلادٍ فسيحة الارجاء تبعد عن بعضها بعداً شاسعاً وليس لها من وسائل الاتصال والنقل ما يقرّبها بل يحسب كل قطرٍ من البلاد كأنه منفصل عن الآخر بحكم طبيعة الاقليم . فليس ثمت طرق تجري عليها المركبات فضلاً عن سكك الحديد ولا تجدنّ الاسلاك البرقية الاّ في اماكن معدودة . فلو منحت الاسكا حق الحكم الذاتي فانى يتسنى لها والحالة هذه ان يتم عندها الانتخاب في ابانه وكيف يجيء الموظف المنتخب الى حاضرتها وهو اذا خرج في الصيف لا يبلغها الاّ وقد ادركه الشتاء على الطريق

كل هذا مما يتحدث به ويعتبره عقلاء الجالية فيقيمون منه عذراً للحكومة الاميركية على امتناعها عن معاملة الاسكا كسائر ولاياتها ولكنهم يؤملون منها ذلك متى تسنى لها اصلاح البلاد بادخال السكك الحديدية وطرق المركبات ومدّ الاسلاك البرقية حين تصبح الصلة بين اجزاء البلاد محكمةً واسباب السفر ميسورةً

ومما يرتاح اليه نزلاء الاسكا ان يكون لهم نائب في ندوة الولايات المتحدة المسماة بالكونكرس CONGRESS وقد ذكر هذا فيها سنة ١٩٠٤ فاجازته الندوة ثم رفعه السناتور نلسون SENATOR NELSON الى مجلس الشيوخ فرفض لان المجلس لم يهتدِ الى السبيل القويم الذي به يتم الانتخاب في مثل تلك البلاد الشاسعة الاطراف

ومما اشار به بعضهم ان يُنح رئيس الجمهورية حق اختيار النائب عن الاسكا وتعيينه ريثما تقتدر البلاد على الانتخاب وقال غيرهم ان يختار لها نائبان احدهما عن جونو وجوارها والآخر عن نوم وضواحيها

•

فايربنكس FAIRBANKS على بعد نحو من ميتي ميل من مصب نهر تناذ في نهر يوكون قرية كان عدد سكانها سنة ١٩٠٣ يبلغون مئة وخمسين نفساً او يزيدون قليلاً فاكتشفها بعض الروّاد ووجدوا بقربها ذهباً كثيراً فتهافت عليها الناس وسموها باسم فايربنكس وهو يومئذٍ نائب رئيس القطر واحد شيوخ المجلس الاعلى (السنا) في الولايات المتحدة

وما شاع خبر الاكتشاف بين الناس حتى توارد الراغبون الى الموقع وعمروه فزاد عدد سكانه زيادة عظيمة حتى صاروا حوالى الخمسة الاف او يزيدون وذلك عقيب ان مرّت على الشهرة سنة وبعض الاخرى وقامت للحال قيامة الاشغال والاعمال الكبرى فمنها قطع الاخشاب التي أُقيم لها معملان عظيمان ينتجان كل يوم نحو ٢٥ الف قدم من الخشب ومع ذلك فانهما لا يستطيعان ان يقدما كل لوازم البلدة الناهضة لان سكانها قد نزلوها وهم من نخبة الامم المتحضرة لا يصبرون على العيش البسيط الساذج ولكنهم يطلبون في كل مهاجرهم ان يمتعوا انفسهم بما اعتادوه من رخاء العيش ونعيم التمدن. وحسبك منهم انهم لا يعبأون بالمنزل الخشن البعيد عن الحضارة المنقطع عن انس العالم مهما اختلف عليهم اقليمه وحاله على ان ينالوا فيه ما تصبو اليه نفوسهم من ذرائع الرغد واسباب الراحة — ولذلك اسرع العاملون منهم في اقامة المباني وبناء الدور الفسيحة والمكاتب والحوانيت وتحسين الشوارع والازقة وعمل غيرهم على

انارتها بالنور الكهربائي وشادوا الكنائس والبيع لعبادة الله بحسب مذاهب السكان ورأى رجال الفضل ان لا يحرموا انفسهم وقومهم من فوائد العلم والتهذيب فشادوا لابنائهم المدارس واقاموا مكتبة عامة يختلف اليها رغاب القراءة فيطالعون ما فيها من غير ان يساموا اجوراً وانشأ بعض كتابهم جريدتين لاطلاعهم عَلَى الاخبار وتفقيههم بالافكار والآراء كل هذا وهم لم يهملوا الفقراء اخوانهم في البشرية بل شادوا لمرضاهم مستشفى

وعَلَى هذا النسق وبمثل تلك الهمة نشأت البلدة صالحةً لسكنى المتمدنين ولا نالتهم فيها كما يريدون من الراحة والهناء عَلَى ان الاعمال التجارية تحتاج الى عقد الصلات بين البلدان لتقترب الى بعضها وتقصر الابعاد من بينها ولذلك ترى بلاد المتمدنين ممهدة الطرق تسير عليها المركبات وتخترقها السكك الحديدية وتملأ مرافئها البواخر واسلاك التلغراف والتلفون محبوكة فوق المدن — حتي اوشكت هذه الذرائع تحسب العلامة الفارقة لبلاد التمدن عن سواها

اما فايربنكس فانها كسائر اخواتها من مدن الاسكا لم يسعدها الحظ بالاقتراب الى مدن العالم بالسكك الحديدية والطرق المنظمة ولكن القوم يفكرون بانالتها هذه الامنية بفرعٍ او طريق مركبات تتصل منها الى الخط المنوي بين كودياك ورامبرت واما التلغراف فانها لم تحرم منه نفعاً لانه يمتد منها السلك الذي وضعته الحكومة الاميركية فتتصل بواسطته بنوم ورامبرت واكل وداوسون وفالدز وسياتل — فهي اذاً متصلة بالعالم الخارجي لا تفوتها اخباره

وكذلك ترى فيها اسلاك التلفون قائمة بين دورها ومبانيها وحوانيتها لتسهل اعمال ذويها المنتشرين فيها عَلَى مسافة بعيدة عن بعضهم قد تبلغ الميل

ونصف ولا نقتصر عليهم بل تذهب عَلَى عرض النهر الصغير المسمى لتل شينا مسافة عشرين ميلاً فتصل الى قرية شينا عَلَى الضفة الغربية من نهر تنانا وكذلك تصل الى المناجم فى شماليها وهي تبعد عنها بين العشرين والثلاثين ميلاً

ومركز فايربنكس التجاري يستدعي وجود طرق تيسر للبضائع والسلع ان تسير عليها لتبلغها واسهل الطرق لهذا العهد هو انها تستحضر لوازمها في زمن الصيف من سياتل في طريقين احدهما الى سكاكواي فتحملها السكة الحديدية الى داوسون وتنقل منها في نهر اليوكون حتى مصب نهر تنانا فيه ومن هنالك تتبع مجرى نهر تنانا صعداً الى البلدة والطريق الاخرى من سان ميشال في نهر يوكون الى مصب تنانا وفيه اليها — واما في زمن الشتاء فيطرقونها في سبيلين احدهما المركبات من داوسون اوسركل ستي اليها وثانيهما من فالدز صعداً في وادي نهر كوبر ومنه ينحدرون في تنانا — عَلَى ان طريق فالدز هذي اقصر مسافةً واقرب منالاً ويرجى ان تفضل عَلَى سواها وبها يقطع المسافر البر عَلَى مزالج تجرها الخيول او الكلاب فيبلغ موضع قصده آمناً

وكان نزلاء الاسكا يترصدون الاخبار فمتى عرفوا بظهور منجم جديد من الذهب في بقعة من الارض يطيرون اليها من غير جناح وكلما عمرت تلك البقعة وكثر سكانها وتحسنت احوالها كلما جذبت ابصار الناس فتواردوا اليها — الا ترى ان نهضة فايربنكس اجتذبت معظم سكان داوسون حتى اوشكت تلك ان تخلو منهم لانهم يقدرون عدد النازحين منها عن طريق نهر يوكون بما يربو عن الثلثة آلاف نسمة وهو عدد كبير يعمر المدن او يخربها في الاسكا بالنظر لقلة عدد السكان

وبقدر ما يتكاثر الاهلون في بلدٍ تتعاظم مقادير معاملتهم لان كل اولئك النزلاء من اهل الاقدام والجد وكلهم يملأون حوانيتهم بالمقادير الوافرة من البضائع والسلع حتى انهم يقدرون ثمن البضائع التي ارسلها تجار داوسون الى فايربنكس بنحو ٧٥٠ الف ريال اميركاني وانهم بعثوا في الوقت نفسه الى الولايات المتحدة بمبلغ ٢٥٠ الف ريال يساهمون بها في الشركات التي نشأت لاستثمار معادن فايربنكس او للاتجار بها

وكثرة الاعمال التي حدثت في هذه البقعة بعد عمرانها ملأت كل ضاحيتها حركةً ونشاطاً حتى ان السفن والزوارق والقوارب الكثيرة العدد التي كانت تشتغل في يوكون الاسفل منذ اكتشفت كلونديك سنة ١٨٩٨ تحولت كلها للعمل في الفايربنكس وقد قدرت وارداتها من اعمالها في نهر تنانا بمبلغ عظيم يتراوح بين ٥٠٠ الف الى ٧٥٠ الف ريال اميركاني وذلك في مدى سنة ١٩٠٤ ولا غرابة في ذلك لانهم يتقاضون اجور الراكب في الدرجة الاولى سبعين ريالاً من داوسون الى فايربنكس واما الراكب في الدرجة الثانية فاجرته اربعون ريالاً ويحملون البضائع باجرة الطن (ثمانمائة اقة) ٧٠ ريالاً

وهذه السفن الماخرة في نهر تنانا كلها من الصغيرات الحجم سواء كانت بخارية او شراعية لان النهر لا يحمل السفن الضخام فترى بواخر نهر يوكون واقفة عند مصب تنانا لتنقل محمولها للسفن الماخرة فيه

وهذا يعيق الاعمال ويلقي على عاتق التجار اعباء النفقات الهائلة لقاء اجور النقل مما يزيد القوم تشوقاً لتمهيد الطرق وتحسين وسائل الاتصال

ومما يدل على مبلغ الصعوبة في الاعمال والمصرف الباهظ في سبيلها ما

ثيل من انهم نقلوا في صيف سنة ١٩٠٦ مرجلاً كبيراً من قوة عشرين حصاناً مسافة ١٢ ميلاً عن فايربنكس الى احد المناجم فانفقوا على ذلك ٢٢٠٠ ريالاً

ومتى وقف القارىء على مبلغ هذه النفقات الفاحشة وانها كلها تذهب في سبل النقل فقه سر الغلاء العظيم الضارب اطنابه في فايربنكس واقام للباعة فيها عزراً في رفع الاثمان وابهاظ عاتق الاهلين بها . وحسبك هذا الجدول برهاناً

الدقيق : تباع المائة ليبرا منه بريال ١٠ — ١٢

الخبز : يباع الرغيف بربع ريال

السكر : تباع الليبرا منه بعشرين سنتاً

اللحم المقدد : تباع الليبرا منه بثلاثين سنتاً — ٣٥

البطاطا : « « « ١٥ الى ١٨ سنتاً

الزبدة : « « « بريال

البيض : يباع الصندوق منه بريال ٢٨

لحم العجول : تباع الليبرا منه بثمن يتراوح بين الريال والريال وربع

ولمزيد البيان نقول ان الريال الاميركي يعادل بعملة سوريا نحو ٢٨ غرشاً وهو يقسم الى مئة جزء يقال لكل جزء منها سنتاً وان الليبرا عبارة ١١٠ دراهم فاعتبر وتأمل . غير ان هذه الاثمان على فحشها لا يظهر منها انها تستلفت الانظار لاكثار الموجود من البضائع لان الطلب يربو كثيراً على المدخر فسكنى فايربنكس لا توافق ضعاف الحال الذين لا يقتدرون على

الكسب الكثير لان نفقاتها تبهظ الفقير واما العملة فانهم لكثرة ما يعانون من الشدة في العمل الشاق بتنجيم المعدن على عمق يختلف بين عشرة اقدام وعشرين يكسبون اجورهم بعرق جبينهم ويأخذون عن كل ساعة يشتغلون بها ريالاً واحداً اذا كان عملهم عادياً ولكنهم اذا كانوا من العملة في الآلات فانهم يكسبون في كل ساعة ريالاً ونصفاً

متلا كتلا METLAKAHTLA بلدة واقعة في جزيرة انت ANNETTE في اقصى نقطة جنوبية من الارخبيل الجنوبي الغربي وتحسب على التخم الفاصل بين املاك الدولتين العظيمتين — الولايات المتحدة الاميركية وكندا البريطانية وهي تابعة للاولى اي للدولة الاميركية وكأنها اول الثغور في الاسكا واقربها الى البلاد المتحدة

والارخبيل المذكور معظمه تابع لاحكام كندا وليس منه الآ نحو ثلثه من توابع اميركا على ان من كتبة الاميركان من يقول انهم لو كان اجدادهم عارفين بما في جزائر الارخبيل من الغنى الطبيعي والثروة الوافرة لما سلموا للدولة البريطانية سنة ١٨٤٥ بامتلاك معظم تلك الجزائر بل كانوا يذودون عن حقهم فيها حتى ولو افضى ذلك الى الحرب واما روسيا فانها لم يكن لها هنالك موطىء قدم لانها عاهدت الدولتين بريطانيا واميركا سنة ١٨٢٤ على تحديد تخوم الاسكا التي كانت يومئذٍ خاضعةً لها

اما البلدة اليوم فقد اصبحت دهشة السياح واليها ينظر رجال العقول وارباب الحل والعقد مختارين ليس لانها علت في سلم الحضارة والمدنية ونالت نصيبها من الازدهاء وتدفقت عليها شآبيب الثروة بل لان قومها من الهنود

الذين كانوا في اسفل دركات الهمجية منذ بضع عشرات من السنين وقد اصبحوا لهذا العهد يدينون بالمسيحية ويعملون علَى تثقيف عقولهم وانارة اذهانهم ويشتغلون بالتجارة والصناعات ولهم دور جميلة واسواق واسعة وبالاجمال لانهم ارتقوا وصاروا من اهل الحضر السائرين في سبيل المدنية

فترى السفن تدخل مرفاء بلدتهم فتنزل الركب وتفرغ الشحن علَى رصيف متقن واذا دخلها السائح يسير في شوارع حسنة ويرى من مبانيها كنيسة فخيمة وعلَى شواطئها معامل لتقديد السمك ونشر الخشب ومستودعات للسلع التجارية وحوانيت للباعة وثمت مدارس للذكور واخرى للاناث ومستشفى ضخم البناء الى غير ذلك مما يدل علَى ارتقاء القوم ومن تذكر انهم من الهنود الوطنيين البرابرة وانهم نفضوا عنهم غبار الهمجية وصعدوا في سلم الحضارة بانفسهم يقف حائراً مبهوتاً

الا ان هذا الصعود لا يمكن ان يتم لقوم لا يعرفون السبيل اليه ولا يفقهون له معنىً ما لم يرشدهم مرشد حكيم · فالمرشد لرقيا هؤلاء الهنود هو الرجل الطيب وليم دانكن WILLIAM DUNCAN

وحكاية حال هذا المصلح الكبير تستحق الذكر لما فيها من الفائدة والعبرة لقوم يريدون الاصلاح ويسعون اليه في كل سبيل ذلك ان الرجل ارسل الى بلدة اسمها بورت سمسون سنة ١٨٥٧ كمرسل ديني علَى انه لم يكن من رجال الكهنوت وانما رأى من نفسه القدرة علَى العمل فاقدم وكانت البلدة يومئذٍ زاهرة بالتجارة الا ان اهم من فيها من السكان كانوا هنوداً من قبيلة وطنية اسمها تسيمشيان كانت من احط الناس واعرقهم في الهمجية حتى انهم

لم يكونوا يحجمون في الاحايين عن اكل لحمان البشر فاتجهت عنايته لتنصيرهم وتعليمهم تعليماً كافياً لاثارة اذهانهم وانهاضهم من بربرتهم فانصرف لى ذلك بملء جهده وجمع من حوله رجالهم ونساءهم واولادهم وشرع يعلمهم من المسيحية فضائلها وادابها ويثقف عقولهم بالقراءة والكتابة والتعليم الابتدائي ثم يلقنهم الصناعات شيئاً فشيئاً وواحدة بعد اخرى وثابر عَلَى عمله بمل الصبر والتؤدة حتى نجح فيهم فنصرهم جميعاً وخرج بهم من ظلمات الجهل والوثنية والهمجية الى انوار الدين والتقوى والحضارة وصيرهم قوماً عاملين يعتمدون عَلَى الله تعالى وعَلَى انفسهم في الكدّ والعمل فافلحوا

لكن مثل هذا الطريق الوعر الذي سلكه افضى به الى قضية ذات اهمية كبرى هي ان الكنيسة العالية رأت هؤلاء الاقوام الذين نبذوا الخرافات والاوهام وصاروا الى المدنية لا يمكن تركهم عَلَى حالهم من النصرانية الساذجة التي علمهم دانكان متجنباً تلقينهم ما لا يفهمون وضارباً صفحاً عما يبلبل خواطرهم ولو كان من اهم الطقوس — سمعت الكنيسة العالية بما كان فارسلت مفتشاً يحقق عن الامر ويسعى باقامة شعائر المسيحية عَلَى اتمها فوقع الخلاف بين المفتش والاب دانكان واشتد لان هذا لم يكن يرضى باتباع طقس الكنيسة بين قوم لم يمضِ عليهم الزمن الطويل في دينهم وكان القوم من حزب مرشدهم فنصروه واخذوا برائه حتى اذا وقع الانفصال بين حزب الكنيسة ورجال دنكان اصبح كل منهم يعبد الله لوحده غير ان اولئك الهنود كانوا هم اهل البلدة الذين خططوها ورفعوا مبانيها وشادوا كنيستها وكلهم من الخاضعين لحكومة كندا السائدة عَلَى بلادهم فكأن مخالفيهم اعتمدوا عضد الحكومة

لانها ملئ رأيهم فشرعوا ينكرون علَى الاهلين حقوق التملك والبناء ويقيمون عليهم الدعاوي حتى اعجزوهم عن تأييد حقوقهم في ما يملكون — يومئذٍ سعى مرشدهم دنكان لدى حكومة الولايات المتحدة فنال منها جزيرة انت ملكاً لقومه وحملهم علَى مهاجرة بلدتهم فبرحوها لا يعبأون بما صرفوا علَى تحسينها في مدى ثلاثين عاماً ونزلوا الجزيرة المحكي عنها فبنوا فيها بلدة مثلا كتلا الجديدة تاركين القديمة تنعي من بناها — وشرعوا يقيمون في الجديدة المنازل والحوانيت والمصانع ويزينونها بالكنائس والمدارس

فكان عملهم هذا جهاداً في سبيل تدينهم علَى طرزٍ يفهمونه وبه ولعوا بالمسيحية وادابها وقد اثر فيهم ما تعلموا حتى صاروا بعد ان كانوا في احط دركات الهمجية قوماً من رغاب الترتيب والنظام وقد انشأوا لانفسهم حكومة قائمة بذاتها علَى النمط الاميركي

ومذ سنة ١٨٨٧ بدأت المهاجرة من القطر الذي كانوا فيه في بلاد كندا واتموها ومنذ يومئذٍ نهضت بهم الجزيرة · والفضل في ذلك كله عائد لدونكان الهمام وللخطة التي اتخذها في تحضير اولئك الهمج وانارتهم بانوار الحضارة — لانه وضع نصب عينيه من بدء الامر ان لا يجتذبهم الى الدين المسيحي فقط بل ان يجعل دخولهم فيه مقترناً بتعليمهم الصناعات المفيدة التي تنهض بهم وتهذب اخلاقهم ومنها يعرفون قدر وجودهم في الدنيا وان يعتمدوا علَى انفسهم في تحصيل معاشهم — ولم تكن مساعي دونكان قد بدأت بعد المهاجرة الى الحكم الاميركي بل منذ اخذ علَى عاتقه مهمة تمدين القوم · وفي سنة ١٨٧٠ رأى نفسه قصوراً في معرفة بعض الصناعات فسافر الى انكلترا وهنالك

سعي فاحرز المعرفة التي تنقصه · فتعلم في يرموث صناعة الحبال وغزل الليف وذهب الى موضع آخر فتعلم الحدادة وقصد بلداً ثالثاً فاخذ فيه صنعة الفرشايات ولم يكتفِ بهذا بل تعلم كيف تبنى منشرة الخشب وتركب الآلات فيها وبالاجمال انه بذل وسعه حتى المَّ بكثير من الصناعات الخفيفة التي يمكن للقوم تعلمها والانتفاع بها ثم عاد بكنوز معرفته فوزعها علَى محتاجيها فخرجوا بتعلمها من ظلمات الجهل والفاقة الى نور المعرفة واليسر

ومما يُذكر عن البلدة الجديدة انها حسنة البناء وان كنيستها تسع كل اهليها الذين يبلغون نحو ثمانمئة نفر او يزيدون وهي من بنائهم بايديهم شادوها بهندستهم ولم تمدد لها يد غريبٍ عنهم ومثل ذلك ترى مدارسها ودار بلديتها وسائر مصانعها فانها كلها وطنية

والمنشر المبني فيها يُدار بالماء ومما يحكى انه لما تمَّ البناء ووضعت الآلات في اماكنها وجرَت الماء في القساطل من تلٍ قريب قال دونكان لقومه اني سأجعل الماء يذهب في القساطل ويدير الآلاتِ فتقطع الخشب وتنشره فدهشوا لذلك وكادوا لا يصدقون كلامه مع ان لهم فيه كل الثقة حتى ان رجلاً من شيوخهم نفض رأسه مرتاباً وقال :

— انا لا اصدق

— تمهل عليَّ فترى الماء يقطع الخشب

وما عتم ان اطلق الماء فجرى وادار الدولاب ووضع جسراً كبيراً من الخشب تلقاء المنشار فنشره علَى مرأىً من الشيخ المرتاب فلما رأى الرجل ذلك صاح قائلاً — اي مستر دونكان اني رأيت الماء ينشر الخشب فما بقي

عليَّ الاَّ ان اموت

— ولماذا صرت راغباً في الموت؟

— لاني رأيت الماء يقطع الخشب فاذا متُّ احمل هذا الخبر الى الزعماء الذين سبقوني الى اللحد لانهم ماتوا ولم ينظروا شيئاً مما رأيت

وقصارى القول ان عمل دنكان غريب في بابه ونجاحه عجيب لانه خاض غماره وحيداً فجاهد جهاد الابطال حتى فاز بابطال الخرافات والاوهام وابدلها بما هو خير منها وابقى معتمداً عَلَى الله تعالى وعَلَى همته ومتبعاً الخطة التي وضعها لسيره · والناس يؤملون من حكومة الولايات المتحدة ان تعتمدها في سعيها لتحضير الهنود الكثيرين الذين يعيشون تحت لوائها — لان هؤلاء القوم الذين اثرت فيهم كانوا اشد اخوانهم همجية واكثرهم بعداً عن قبول التمدن العصري

نعم ان هنود الاسكا يفضلون بوجه عام سائر ابناء جنسهم الاميركيين من حيث البساطة ودماثة الخلق ورحابة الصدر وحسن الضيافة الاَّ انهم يتمسكون مثلهم بالعادات القديمة والاراء الموروثة ولا يفقهون الفارق بين الرقة والخشونة والصدق والكذب · ومما زادهم تمسكاً بما هم عليه ما لقوه من الذين اتصلوا بهم من المتمدنين من التجار والصناع وارباب الاعمال فانهم كلهم يسيئون اليهم ويعاملونهم بالغلظة والجفاء والجور والسلب فلا يرون من اعمالهم ميزةً ترفعهم في اعينهم ويعلمون ان الفضل فيها عائد لتمدنهم

الاَّ ان هذا القول لا يطلق عَلَى اجماله بل ثمت بين اهل التمدن الملايين الجمة ممن يشفقون عَلَى الهنود ويريدون لهم الخير وكثيرون منهم يذكرون لهم الحسنات ويعظمون قدرهم فيها · من ذلك ما روي عمن تأثرهم الشديد

وعظم شفقتهم مما يكاد لا يعرفه غيرهم من المتبربرين

حدث بعضهم ان هندياً الاسكياً دخل ذات يوم احدى البلدان فرأى في حانوت اميركي صورة تمثل اميركا وهي مثال رجل شيخ يقال له العم سام وكان الرجل المرسوم حافي القدمين فنظر اليه الهندي متأملاً ثم سأل صاحب الحانوت قائلاً :

— اهذي صورة الاب الابيض المظيم في واشنطون؟

— بلى

— اراه حافي القدم

— انه كذلك

— كأن لا حذاء له

— انه لا حذاء له

فاحتار الهندي المسكين ومضى في سبيله مندهشاً كئيباً وبعد بضعة ايام عاد الى الحانوت وبيده حذاء جديد قائلاً للاميركي — هذا حذاء ارجوك ان تبعث به للعم سام

هذه عواطف الهنود المتبربرين فلا غرو ان يعجب افاضل الناس باخلاقهم ويعقدون الآمال على ان بتحضيرهم تكسب البشرية قوماً يكونون من خيرة رجالها على ان المتمدنين الذين يحنفون عليهم ليسوا كما قلنا كل الذين يعاملونهم او يجاورونهم لانه ورد ان كثيرين من سكان الاسكا تأخذهم الشفقة على اولئك الهمج ويريدون لهم الخير وكلما اصابهم الضنك وضاقت بهم اسباب المعاش على كثرة ترددها على قوم لا يملكون وسيلة لدفع الفاقة ينهضون

لاغاثتهم ويجودون عليهم · ولا ينحصر احسان البيض المتمدنين بالاحسان لمشتري القوت بل يعم كل عمل يُراد به تحسين احوالهم

ومن غرائب طبائع الهنود انهم يعضهم الجوع احياناً بنابه وتتفشى بينهم الامراض والاوبئة ولا يسمعون العالم شكواهم بل يصبرون صبراً جميلاً قد يموتون في سبيله افواجاً وهم ساكتون عَلَى الضيم ذلك لانهم اعتادوا عَلَى سوء الحال ادهاراً وان لا يجدوا من بعضهم معيناً عَلَى البلوى · ولهذا تجدهم حتى في هذه الآونة وهم عَلَى مقربة من المتمدنين قد تجرفهم المنية وتفتك فيهم المجاعة وجيرانهم لا يعرفون عن حقيقة امرهم شيئاً فان عرفوا واسوهم بما استطاعوا اليه سبيلاً كما روي عن حادثة جرت منذ عهدٍ غير بعيد ذلك ان قرية من قرى الهنود تجاور بلدة سان ميشال اصابتها المجاعة في قلب الشتاء فاشتركت مع برده القارس وفتكت باولئك القوم ذريعاً قبل ان شعر سكان البلدة بما كان فلما علموا شرعوا يجودون بما يستطيعون لينقذوا الاحياء الباقين من مخالب المنية جوعاً ودنقاً

عَلَى ان الحكومة الاميركية لم تبذل وسعها الواجب للاحتياط للامر واعداد ما بقي القوم من الغائلة

فالدز VALDEZ — بلدة واقعة عند منتهى خور البرنس وليم عَلَى بعد ٣١٥ ميلاً الى الشمال من كودياك وللناس في نهضة هذه البلدة واعتزازها امال كبار حتى ان بعض كتبة الاميركان يحسبونها المدينة التي ستنال المكانة العليا في الاسكا في المستقبل القريب

واسمها اسباني يدل عَلَى اصلها ويفضي بالباحث عنه في تاريخها الى

استطلاع شأنها ذلك ان الاسبانيين من سكان اميركا ساءهم تقدم الروس في شمالي الباسيفيك وانتشارهم في الاسكا فارسلوا سنة ١٧٩٠ بعثةً ترود مياه الشمال فسارت سفنها تمخر العباب حتى بلغت خور البرنس وليم ورأت ركام الثلج القائمة ازاءها واطلقت عليها اسم فالدز

وخور البرنس وليم عبارة عن مضيق من الماء يخترق احشاء اليابسة مسافة تناهز ٧٥ ميلاً فترى ماء البحر يتوسط البر وعلى جانبيه ابدع المناظر واجمل المشاهد سيما وان الجبال العالية قد تعلو من حدّ الماء الى ان تناطح السحاب وينزل الثلج عليها ركاماً فيكسوها من حدّ ذروتها الى سفوحها فحضيضها وقد ترى في الاحايين ان قطع الثلج الضخمة الهائلة تجمعت على ذروات الجبال ثم تدحرجت متمهلة على الجانب وثمت جداول ماء من ذوب الثلوج تنحدر بينها وتحدث شلالاً جميلاً . ولكن البرد القارس هنالك يجعل كل شيء جمداً و يبلو الهواء بالرطوبة فترى الجوّ صاحياً يخلو من الضباب ولكنه مغشى بسحاب رقيق يضرب لونه الى الزرقة فتبدو المناظر من خلاله فتانةً للالباب يكاد الانسان لا ينساها ولو كرّت به الايام

اما البلدة المحكى عنها اي فالدز فانها قائمة عند حضيض جبل هائل من الثلج لا يبعد موقعها عنه الاَّ اربعة اميال بحيث اذا نظر الجبل من وراء البلد يُظن بها تلاصق اصله وثمت الخوف عليها من خطرٍ يدهمها اذا تدحرجت كتل الثلج الهائلة وانقضت بقوتها العظيمة فانها تسحقها سحقاً . الاَّ ان الاهلين قد الفوا هذا المشهد وصاروا لا يُراعون منه ولا يوجسون خوفاً فتراهم يدأبون على عملهم بملء السكينة والارتياح

وعددهم الآن حوالى الالف وكلهم يتشوقون للحصول على سكة حديدية لان ميناء بلدتهم امين وله مزية لا يضارعه فيها مرسى آخر في كل السواحل الشمالية ذلك انه لا تتجلد مياهه على مدار السنة فهو بهذه المزية يصلح لرسو السفائن فيه محملةً بالبضائع والحاصلات التي لا تلقى مانعاً يحول دون تفريغها او شحنها — وعلى هذا يعقدون الامال بمد السكة من بلدتهم فتضرب شمالاً وتخرق وادي نهر كوبر ووادي نهر تنانا وقطر فورتي ميل الى ايكل على نهر اليوكون

وهذا الخط معروف المكانة والفائدة حتى ان حكومة الولايات المتحدة الاميركية بعثت سنة ١٨٩٩ بعثاً عسكرياً الى هناك ليطوف القطر وينشيء طريقاً يصلح لسير العسكر وللبريد بين بلدتي فالدز وايكل — ومنذ حينئذٍ اصبح البريد مطرد السير بين البلدتين تحمله الخيل اسبوعياً

على ان اسباب النقل في كل بلاد الاسكا منحطة جداً فطرقاتها اذا وجدت تكاد لا تسلك وهي مترامية الشقة ومع ان عمال الدولة الاميركية يعرفون شدة الحاجة اليها فان الاهتمام بتحسينها ضعيف جداً. وهذا غير ما تراه في ما يجاور الاسكا من البلاد الخاضعة لحكومة كندا البريطانية فانها تهتم جد الاهتمام بالمسالك والمعابر ومن عرف ان تلك الحكومة لم تبذل جهداً في استعمار الاقطار المجاورة للاسكا الاَّ منذ عهدٍ قريب يعجب من عملها ونتائجه ويدهشه ان حكومة اميركا سابقة لها في عهد سيادتها ومنحطة عنها في عملها. اعتبر ذلك بان في سنة ١٨٩٦ وسنة ١٨٩٧ لم تكن بلاد كلونديك قد عمرت لان الذهب لم يكن قد وجد فيها. فكانت تخلو من السكان والعمران

جملةً واحدة ولكن ما بدأ الناس يعمرونها ويتواردون اليها حتى اخذت حكومتها تمد طرقاتها وتسهل اسباب النقل فيها حتى انفقت زهاء المليون ريال اميريكاني في مدى بضع سنين فتيسرت الطرق وجرت المركبات ونقلت الاثقال. وبالاجمال اصبح قطر كلونديك عَلَى مدى ستين ميلاً كله ممهد الطرق

كل هذا يراه نزلاء قطر الاسكا الاميركية فيغبطون اخوانهم التابعين كندا ويتمنون لبلادهم من الطرق الممهدة ما يماثل طرق جيرانهم

جزيرة فانكوفر VANCOUVER ISLAND هي جزيرة عَلَى مقربة من الساحل الغربي من املاك بريطانيا في اميركا الشمالية تبعد عن ميناء سياتل من الولايات المتحدة نحو الف ميل

تبلغ هذه الجزيرة في مساحتها نحواً من ثلث سعة انكلترا عَلَى انها تعلوها الجبال الشاهقة وتكسوها الاحراج والغابات الغضة ذات الاشجار التي تؤخذ منها المقادير الهائلة من الاخشاب الصالحة للبناء

وثمت سهول وحزون ذات اشجار تحمل ثمراً شهياً داني القطوف وفي التربة كثير من المعادن

واقليم الجزيرة شبيهٌ باقليم انكلترا كل الشبه وهذا من جملة الاسباب التي حملت الدولة البريطانية عَلَى اعتبار جزيرة فانكوفر والبر المحازي لها من املاك التاج تجري عليها احكام الدولة بخلاف سائر قطر كندا فانه يخضع لحكومته القائمة بذاتها في ادارتها الداخلية تحت رعاية الدولة البريطانية

والطريق البحري من سياتل الى سكاكواي معظمها قائم حزاء الساحل

الغربي بين جزائر صغيرة كأنها خفراء الثغور فتسير السفن بينها وترى في الجزائر والبر جبالاً عالية تناطح السحاب بعضها يسترها الضباب وبعض يعممها الثلج ويكسو جوانبها ومتى اشرقت الشمس وارسلت اشعتها المنعشة من خلال السحاب فوقعت عَلَى قمم الجبال لمعت ببياضها الناصع فكانت منظراً بديعاً

ومياه البحر هنالك عميقة وتظهر بلونها الاخضر القاتم واذا ارخى الليل سدوله ظهرت تلك المياه بمظهرها الفصفوري العجيب بلمعانه وهي في كل حالٍ هادئة ساكنة يطمأن الركب اليها لان المسافر يتخيل انه تسير فيه السفينة في بحيرةٍ لا عواصف فيها فيمتع نفسه بملاذ السفر آمناً من الدوار ويلقي بنظراته عَلَى تلك المشاهد الرائعة التي تأخذ بمجامع القلوب

الاَّ ان لهذا السفر منغصات أُخرى هي ان عرض البوغاز بين الجزائر والبر تتسع تارةً فيبلغ الاميال مسافةً ويضيق طوراً الى بضع مئات من الاقدام ومتى ضاق ولون الماء اخضر قاتم تضيع فيه الطريق عَلَى غير الخبير سيما اذا ازبد البحر ورغى لوقوع امواجه عَلَى صخور البر القريب ساعتئذٍ يخشى الربان من المدّ وتأْثيره في سير سفينته فيكون عَلَى اشد الحذر وعَلَى الخصوص اذا سار في الليل لان الحكومتين الاميركية والكندية قد اهملتا امر المنائر مع انهما لو اهتمتا بها كما يجب لامنت السبيل فلا يمضي الزمن الطويل حتى يعلم الناس ان ارتياد هذه الاماكن سليم المغبة وفيه من جمال المناظر ما لا يجده المسافرون في شمال اوربا فيتهافتون للتنزه فيها . حيث يلقون المراسي الامينة بطبيعتها وينزلون الى البر فيجدون الصيد وافراً وكلما تشتهي النفس وترتاح اليه الخواطر سيما استطلاع شأن السكان الهنود في قراهم ومجتمعاتهم وهم قومٌ يغلب

عَلَى ظن بعض الباحثين ان اصلهم اسيوي لوجود الشبه القريب بينهم وبين بعض اهل اسيا سيما اليابانيين حتى ان من العلماء المنكرين عليهم الاصل الاسيوي القريب من يظن ان هذا الشبه في مصنوعاتهم مستفاد من اتصالهم بالاسيويين سيما اليابانيين منهم لم يكن قديماً

جبلا سان الياس وماكنلاي — مرَّ عَلَى طلبة علم رسم الارض (الجغرافيا) الزمن الطويل وهم يقرأون في ما بين ايديهم من الكتب ويرون في الخرائط الموضوعة ان ليس في قطر الاسكا من جبل يعلو عَلَى جبل سان الياس Mt. St. Elias الاَّ ان تلك رواية آثرها الجغرافيون عن اقوال الروس الذين عرفوا سان الياس وتفاخروا به وبان علوه يناهز ١٧٨٥٠ قدماً فلما اشترت دولة اميركا قطر الاسكا من روسيا بعثت روَّادها ففحصوا السواحل وقاسوا الابعاد والشواهق فوجدوا علو الجبل المذكور يناهز ١٩٥٠٠ قدماً ثم شرع الناس يعمرون القطر ويطوفون ارجاءه باحثين عن الذهب ومصادره فوجدوا الى الشمال من جبل سان الياس في الداخلية عَلَى بعد ١٥٠ ميلاً جبلاً يزيده علواً عَلَى ان السابقين لم يعرفوه لانه لا يُرى من البحر ولا من الساحل القريب. ولما وجده الاميركيون اطلقوا عليه اسم ماكنلي وهو يومئذٍ رئيس جمهورية الولايات المتحدة وتبينوا انه يزيد علواً عن جبل سان الياس وقد يبلغ حوالى ٢٠١٦٠ قدماً عن سطح البحر. واندفع كثيرون من الروَّاد لتسلقه وبلوغ قنته فارتدوا خائبين منهم احد قضاة الاميركان في الاسكا اسمه وكرشام Wickersham ذهب مع جماعة من المريدين وعادوا وهم لم يظفروا من غرضهم بطائل ثم حاول ذلك الدكتور كوك المشهور في هذه

الاونة بادعائه البلوغ الى القطب الشمالي. حاول تسلق هذا الجبل ثم ادعى بالوصول الى قنته ولكن قام كثيرون لمعارضته وتكذيبه وحتى الآن لم يصدقوا له قولاً

ومن غريب امر جبل سان الياس انك ترى الثلج منبسطاً عند حضيضه في متسع عظيم ربما كان لا يضارع في طول البلاد وعرضها

الفصل الثالث

مناجم الذهب في الاسكا

ان مناجم الذهب في الاسكا منتشرة في اكثر من بقعة واحدة وقد مرَّ بنا ذكر المنجم المشهور باسم تردول ونحن الآن ذاكرون اهم المناجم الاخرى فمنها ما وجد في قطر نوم

وهذا القطر واقع في شبه جزيرة سيوارد والمشتغلون بالتعدين فيه قد استخرجوا منه في مدى ثمان سنوات (من سنة ١٨٩٩ الى آخر سنة ١٩٠٣) ما تبلغ قيمته ٢٨ مليون دولار واما في سنة ١٩٠٤ فان الكمية الصادرة تبلغ الاربعة ملايين دولار وهي اقل مما كان يُنتظر والسبب الظاهر في ذلك هو ما طرأ من نقص الماء علَى البقعة لان المطر لم يقع عليها تلك السنة الاَّ قليلاً حتى اضطر الاهلون ان يستقوا من جبال كيكلويك علَى بعد اربعين ميلاً الى شماليهم ولو انتبه الاهلون او ايقظتهم الحكومة من غفلتهم لانتفعوا بوجود الماء الغزير هنالك واتخذوا منه كهربائية كافية لتحريك الآلات التي يستخدمونها في استخراج الذهب

ولرب معترضٍ يقول ان قيمة الذهب المستخرج من نوم في السنة لا يُذكر

في جنب الاموال التي يستدرها ارباب الاعمال في الاقطار العامرة فاذا قست ذلك عَلَى قيمة الغلة الحاصلة من اي ارضٍ تعادلها مساحةً لوجدت قيمة حاصلاتها الزراعية تربو عَلَى مقدار الذهب المستخرج من نوم فلماذا اذاً يُحسب الغنى لالاسكا وما هي شيء يذكر بالنسبة لما يتمتع به العاملون في غيرها ؟

اقول في الجواب ان اهل الاسكا بجملتهم لا يبلغون الثلاثين الفاً من النزلاء العاملين. ولذلك لا يستطاع ضبط النسبة بين نتاج عملهم وعمل غيرهم الاَّ اذا ماثلوهم عدداً فلو كان عدد العاملين في نوم وغيرها من بلاد الاسكا كثاراً لرأيت نتاج عملهم عظيماً

واذا القى الانسان نظره عَلَى ما في الاحصاآت من البيان وعَلَى ما يقول السياح والتجار يحكم ان البلاد غنية جداً ولا يعوزها لكشف كنوزها الاَّ الايدي العاملة فتنال جزاء جهدها مالاً وافراً . ومع قلة النازلين في تلك الديار ترى مقدار تجارتهم عظيماً فقد تبين من الاحصاء ان محمول البواخر من ميناء سياتل في الولايات المتحدة الى ثغري نوم وسان ميشال في سنة ١٩٠٣ كان نحو ١١١ الف طن فاذا قدرت ثمن الطن بنحو ماية دولار كان مبلغ ما أُرسل الى البلدتين ما ينوف عن احد عشر مليوناً ريالاً

ومع هذا فاستحصال الذهب اوفر ربحاً واجزل فائدةً الاَّ ان نعمته لا تشمل الناس اجمعين بمعنى انه ليس كل من اشتغل به يصيب مغنماً عظيماً بل ترى كثيرين يأتون الاسكا للعمل ويجهدون النفس ويصرفون الوقت والمال فلا يصيبون نجاحاً بل يذهب جهدهم ضياعاً وما انفقوا هدراً بينما يأتي نفر قليل فلا يعملون طويلاً حتى تتدفق عليهم ميازيب الثروة وينهال الذهب تحت

ضربات معاولهم فينالون امانيّ نفوسهم ويحرزون الثروة الطائلة ويمرحون في نعيم العيش

كل هذا والناس في خارج الاسكا وداخلها لا يحسبون حساباً لاولئك الذين خابوا سعياً ولا يقيسون حظهم عَلَى حظوظهم بل يطمحون بابصارهم لما احرز الفائزون فيتهافتون عَلَى ارتياد القطر بالمئات والالوف وكلهم يسعون في التفتيش عَلَى ركازه تحت طيات التراب وفي مجاري المياه وهذا سرّ نجاح بعضهم في كشفه في غير بقعة من الارض · فاذا تكاثر طلابه وجابوا تلك البقاع وبحثوا تحت طبقات جليدها لا يبقى من مناجمه خفيّ

والذهب المستخرج من قطر نوم جيد وكثيراً ما يجده الباحثون عنه ظاهراً عَلَى وجه الارض او تحت طبقة رقيقة من التراب في الخور

عَلَى ان من الناس من كان يقول ان معظم التبر المستخرج من نوم وجد عَلَى الشاطىء ممزوجاً برماله والحال ان الاكتشاف الاول كان في بقعة اسمها سينوك تبعد عن نوم مسافة خمسة وعشرين ميلاً الى غربيها فلما رأى الناس ذهبها واصابوا منه مغنماً شرعوا يفتشون في جواره حتى ضاحية نوم فلم يوفقوا في بادىء الامر لايجاد شيء في رمال شاطئها يفي بنفقات التنقيب فاتجهوا الى الداخلية ونقبوا ما شاءت همتهم حتى اهتدوا الى المواضع المسماة انفيل كريك وسنو كولش وكلاسير كولش فوجدوا فيها مناجم وافرة الغنى · وكان بعض الباحثين قد فتشوا من سنه ١٨٩٦ في جهات خليج كولوفنين وعَلَى مدى الانهار الصابة فيه وقضوا هنالك زمناً وهم يبحثون وما زالوا حتى علموا باكتشاف الركاز بين رمال الشاطىء في سينوك فاتجه اليها بعض الرواد النبهاء وفيهم بلاك

وهالتبرج فما وجدرا المنجم وافر الخيرات كما زعم الرواة ولذلك ارتدوا صوب الاخوار الواقعة فوق نوم وفي تموز سنة ١٨٩٨ رأوا الامارات الدالة علَى وجود ضالتهم المنشودة ولكنهم لم يكونوا واثقين بوفرة خيراتها فقعدوا عن تسجيل حقهم في الاكتشاف

وما مرّ بهم الزمن الطويل حتى كان ليندبلوم وبرينترسون ولندبرج قد اتجهوا صوب انفيل كريك واخذوا لهم حصصاً من الارض فيها وفي سنو كولش وكلاسير كولش علَى ان هؤلاء كانوا طليعة المكتشفين مقداراً مهماً من الذهب في بقاع نوم واكتشافهم حملهم علَى احراز الحصص . وقد ظهر بعد حين ان بعض ما احرزوا كان وافر الخير

وفوز هؤلاء الرجال بالغنى استهدفهم لحسد الاخرين فقامت قيامة الدعاوى والخصومات واشتغلت المحاكم وانطلقت في مابين اهل نوم السن القالة

ومما يُذكر ان غزارة الماء في بقاع الذهب ضرورية لنجاح التعدين ولا يستطاع الانتفاع بالتبر ما لم تكن المياه الجارية كافية لتصويله ولذلك قامت في نوم شركتان كل منهما تبذل قصارى وسعها بحفر الترع وتوزيع المياه لاستخدامه وسهولة الانتفاع به ليس فقط في البقاع التي تملكها الشركتان بل في سائر المنجم حيث يباع منه للراغبين وقد ورد ان احدى شركات التعدين انفقت سنة ١٩٠٤ مليون دولاراً علَى الماء الذي احتاجت اليه

واما في قطر فايربنكس فانهم لا يجدون ركاز الذهب كما يجدها الباحثون عنها في نوم بل هو هنالك اصعب منالاً وحتى الآن لم يجدوا منه في ارض الاخوار تحت رقراق من الماء ودقيق من التربة وانما وجدوه في فايربنكس علَى جوانب

الاكام والتلال في طبقات من التربة ذات حصى تمتزج بالتبر ويغلب في تلك الطبقة ان تكون كثافتها قدمين او ثلاثة اقدام وهي غير سطحية الموقع بحيث يتصل اليها الباحثون بضربات قليلة من معاولهم ولكنها تقع علَى الاكثر علَى اعماق تتراوح بين العشرة والعشرين قدماً في جوف التربة·

وفي الاحايين تجد تلك الطبقة الغالية الثمن مجتمعة علَى بعضها في باطن الاكمة فيسهل علَى المعدنين جرفها بمعنى انهم يحفرون لها نفقاً من موضعها الى الجانب الاقرب اليها ولكنهم يغلب فيهم ان يجدوها مجلدة فلا يستطاع استخراجها مما علق بها او علقت به الاَّ بتذويب الثلوج فيفضي ذلك بهم الى استخدام آلة يذيبون بها الثلج المتراكم علَى المعدن النفيس ولذلك يحكى انهم استخدموا منذ بضع سنين ١٢٥ آلة للتذويب في ذلك المنجم والمظنون ان المشتغلين فيه سيزيدون العدد كثيراً بنسبة ازدياد حاجتهم — وهذه الآلة عبارة عن خلقين عظيم يغلى به الماء وتتولد الحرارة البالغة فيحدث البخار فينقل بالانابيب الى المنجم وفي طرف الانبوبة وعاء مجوف من الفولاذ طوله خمسة اقدام يدار الى الموضع الذي يقصد تذويب ثلجه فيخرج البخار منه ويعمل عمله فيؤثر افلاته في بقعة لا تتجاوز الثلاثة اقدام ولكن فعله يكون ذريعاً

وهذي الطريقة يعمل بها في مناجم الاسكا وكلونديك في مدى الشتاء والاَّ لما استطاع اصحابها ان ينالوا من عملهم ارباً — علَى انهم يستخرجون التبر ويجمعونه في موضع يستطيعون به غسله في الصيف علَى اهون سبيل

ومع ان الحرارة في باطن الارض اكثر منها علَى ظاهرها بل هي تزداد كلما امعن الانسان اختراقاً لاحشاء التربة فان التجليد يبلغ مبلغه في جوف

ارض الاسكا على عمق عشرين قدماً ويكفي لحصوله هنالك ان تفتح الثغرة ويدخل منه لافح البرد القارس فيتجلد كل شيء وهذا التجلد يكون بذاته كافياً لحفظ المكان من سقوط سقفه المجلد ايضاً فيكتفى للاستئمان عليه بالعوارض التي تقام له من غير ان تعزز بالدعائم

اما الماء اللازم لاعمال المنجم فهو غزير في قطر فايربنكس ولذلك ترى القوم لا يخافون على عملهم بأساً ويتابعونه بملء الجهد والاقدام على انهم يستخدمون الآلات كما قدمنا ويستعينون بها ولا تكون اكلافهم فاحشة بحيث تبهظ عواتقهم وتحول دون نجاحهم لان الخلقين اللازم لتذويب الجمد بالكاد يساوي فوق الميئتين دولاراً اذا كانت قوته كقوة عشرين حصاناً ومتى احرزه الانسان لا يحتاج ان ينفق الاَّ على بناء بيت من الخشب وعلى قوته وليس في ذلك كله ما يعجز عنه الكثيرون من الناس

نعم ان كل الوسائل قد تذهب ضياعاً اذا ساء البخت ولم تكن في الطالب حمية تدفعه الى الاجتهاد حتى اذا سدَّ في وجهه باب فتح لنفسه باباً آخر. ولكم عرفنا وسمعنا عن رجال ذهبوا في طلب الذهب وهم لا يملكون الاَّ العزيمة والا معولاً ووعاء يحملونهما على ظهورهم مع ما يحتاجون اليه من الطعام في مدى عملهم فلا تمرّ بهم الايام الطوال حتى يبسم لهم الحظ وينالون جزاء عزيمتهم وجهدهم ذهباً وهاجاً — غير ان هؤلاء لا يجب ان يتخذ نجاحهم قاعدة ومثالاً — لانهم يصيبون الغرض اتفاقاً — انما النجاح الاكيد يكون غالباً من نصيب الذين يدخلون البيوت من ابوابها ويتخذون العدة الكاملة لبلوغ الارب

ومساحة الطبقة الذهبية في قطر فايربنكس تقدر بنحو اربعين ميلاً

مربعاً وهي معروفة المكان ولا يحرز النجاح بالعمل فيها الاَّ من كان مقتدراً علَى احتمال نفقاتها اليسيرة بجد ذاتها ومن احرز حق الحفر والتنقيب في بقاعها بحسب السنن التي سنذكرها — ومما يذهب اليه العارفون ان الذين لهم مشاركة في علم المعادن وطرائق التعدين يكون املهم بالنجاح اكبر من امال الذين لا يعرفون من الامر شيئاً

الاَّ ان للذين يصيبون نجاحاً من الذهب آفة تذهب بالثروة التي نالوها ضياعاً وبملء السرعة. وبهم يصدق القول المأثور ان ما ينال سريعاً يذهب سريعاً. فقد حدثوا عن رجل اصاب غنى وافراً من عمله فابطرته النعمة وشرع يسرف من غير هدى ولا حساب حتى كان يؤدي ثمن البيضة الواحدة في داونسون علَى ما يقولون نحواً من ريالين اميركين ثم ذهب الى نيويورك وثمت مجال فسيح للمسرفين فتمادى في الانفاق حتى استنزف ثروته وعاد فقيراً سبروتاً فباع بقعة كان يستخرج منها في السنة ذهباً بستين الف دولار باعها بخمسة وخمسين الفاً ليس الا — هذا حال المسرفين الذين لا يعرفون طرق الحكمة ولا يسترشدون

اما العاملون في التعدين فانهم لم يكونوا في فاير بنكس يعرفون حال التبر الذي يظفرون به من الجودة فيحملونه الى التجار ويبيعونه منهم بثمن ستة عشر ريال كل اونس ولكنهم عادوا فشعروا بالغبن الذي يلحق بهم من تلك البيوع فرفعوا الثمن الى سبعة عشر ريال ونصف

وهذا الثمن يدل علَى مقدار الثروة المودعة في تلك التربة الاَّ ان الدليل الاعظم علَى غنى البقعة هو ارتفاع اثمان ارضها وحق الانتفاع بها فقد روي ان رجلاً اشترى نصف سهم من منجم يسمى كلياري كريك بمبلغ ١٩٦٠٠

دولاراً فما مرَّ عليها الشهر حتى استوفى من العمل فيه ستة آلاف دولاراً ثم باع ما اشترى بخمسة وثلاثين الفاً

وثمت مواضع يروون عن نتاجها الغريب فقد حدثوا عن خمسة رجال اشتغلوا مدى يومين فاستخرجوا ما بلغت قيمته ١٦٠٠ دولار وعن اربعة رجال آخرين استخرجوا في مدى يومين بقيمة ٧٠٠ دولار واعظم من هذا انهم حدثوا عن نفر يبلغون العشرين اشتغلوا مدى ستة ايام فربحوا ١٦٢٨٠ دولاراً — واشاروا الى بقعة كان ثمنها الف ريال فلما عدّنت ومرّت عليها السنة وهي تدرّ عَلَى ذويها اخلاف الثروة عرضوا بها ٧٥ الف دولار فما قبلت ثمناً — وفي جوار الموضع بقعة أُخرى دُفع بثلثي ثمنها ١٢٧٥٠٠ ريال فاستقبل ملاكها القيمة وابوا بيعها

تلك عَلَى ما يقول العارفون بضعة شواهد تدل عَلَى مبلغ غنى هذا المنجم ويستفاد منها ان استثماره الى حد التمام لا يتم الاَّ للميسورين القادرين عَلَى بذل المال في شراء حقوق النقب وادارته — ولكن ذلك لا يحول دون انتفاع الذين لا يملكون مالاً فان الشباب والنشاط والهمة الناهضة والجد المتواصل قد تملأ الفراغ الذي يحدث عن قلة المال لانها رأس مال كبير في الاعمال وبها يتمكن العامل من العيش الهنيء في الاسكا. لكن اذا تيسرت للنشيط ثروة تتراوح بين الالف والخمسة آلاف ريال واستخدمها في عمله جنى منها ربحاً عظيماً لانه يستطيع ان يشتري الآلات التي ذكرنا ويمتلك حق النقب والتعدين ويستخدم الرجال. والا فهو يبقى فاعلاً لغيره وعاملاً مأجوراً لاملاء جيوب المقتدرين حتى تبسم لهُ السعادة بحشد الدريهمات المقتصدة من اجوره فيعمل بها لحسابه

واما منجم كلونديك فهو عظيم القدر وقد ادعى اكتشافه كل من روبرت هندرسون وجورج كارماك بشراكة هندي وطني اسمه سكوكوم جيم فاما الاول فقد طلب الى حكومة كندا ان تسجل الاكتشاف باسمه مستنداً في صحة دعواه الى انه كان يصوّل الذهب في الموضع المسمى هانكر كريك وقد اقام فيه المصاول قبل ان ادعى بالاكتشاف مناظراه اي قبل شهر تموز (يوليو) سنة ١٨٩٦ وبعد ان قدم للحكومة طلبه برح مقامها واتى بلدة اوجيلفي ليستبضع منها ما يلزمه من القوت فلما قضى لبانته عاد ادراجه لتأييد حقوقه فلما بلغ مصب نهر يوكون وجد جورج كارماك وشريكه سكوكوم جيم ومعهما رجل آخر اسمه تاجيش شارلي فنصح لهم ان يذهبوا الى الموضع المسمى ال كولد (كله ذهب) وللمكان الآخر كولد بوتوم (قاع الذهب) وهنالك يأخذون بقعة ويعملون وانهم امتثلوا اشارته وعملوا برأيه واجتازوا النهر الى بونانزا كريك فاوصاهم قبل الرحيل انهم اذا اصابوا ثمت ذهباً او رأوا تباشير الخير يرسلون اليه رسولاً فيعطيه الاجرة الوافرة قال اما هم فبوصولهم الى المكان المقصود حفروا فاصابوا الركاز الوافر وسروا به ايما سرور حتى نسوا ما وعدوه به من تبشيره ولم يرسلوا اليه رسولاً بل بالعكس ذهب كارماك الى بلدة فورتي ميلس وهنالك سجل الاكتشاف باسمه مدّعياً انه اول من وجد الذهب في كل ذلك القطر — حتى اذا جاء هندرسون بعد حين مطالباً بحقه انبئ ان كارماك نال حق الاكتشاف. عَلَى ان الرجل ما برح قائماً بدعوى السبق مستنداً عَلَى انه ادّى لخزينة حكومته الرسم عن حق يقدر بمبلغ ٤٥٠ الف دولاراً غير ان خيبة امال هذا الرجل من احراز حق الاكتشاف لم تبعده عن نخره فيه بل ناله من طيب الاحدوثة ما

كفاه وفوق هذا فقد فاز بحقوق المكتشف التالي

اما جورج كارماك فيقول — ومعظم الناس يصدقون قوله — انه كان ورفيقاه الهنديان يصطادون سمك السلمون في مصب نهر كلونديك فلم يجدوا من الصيد كفافاً فضربوا عنه صفحاً وعزموا علَى الرحلة راجعين ولكنهم خطر لهم ان يبحثوا عن الذهب في طريقهم لعلهم يصيبون نجاحاً وفي ماهم عائدون علَى محاذاة نهر كلونديك باحثين مفتشين كانوا يعثرون احياناً بشيء من التبر ومراراً لا يصيبون ما يُذكر وما زالوا علَى هذه النسق بين الفوز والخيبة حتى السادس عشر من شهر آب فانهم جلسوا عند الظهيرة يأكلون الطعام الاَّ ان عيونهم لم تكن تفارق اخوار النهر وقلوبهم تخفق حوالى مياهه فابصر كارماك علَى الشاطئ الايسر امارات تدل علَى وجود الذهب فنهض للحال وجعل ورفاقه يجمعون و يصولون فما مضت عليهم هنيهة حتى اصابوا ما ثمنه اثنى عشر ريالاً — وكان ذلك المكان يسمى حتى يومئذٍ خور الارنب (رابت كريك) فسمي بعد ذلك خور بونانزا

وفي اليوم التالي التمسوا لانفسهم حق الاكتشاف في تلك البقعة وجوانبها ثم انحدروا الى مصب النهر وعندما بلغوا الموضع الذي خططت فيه بعد حين بلدة داوسون بنوا لهم طوفاً في النهر وركبوه وانحدروا فيه الى اليوكون حتى بلغوا بلدة فورتي مايلس حيث كان مقام المعدنين ومركز الاعمال وحكومة القطر ولما بلغوها رفعوا طلبهم للحكومة وقصوا علَى عمالها حكاية حالهم غير ان سمعتهم لم تكن مما يضمن لهم تصديق روايتهم فوراً ومع ذلك فان اهل فورتي مايلس نهضوا علَى بكرة ابيهم يطلبون الرحلة الى كلونديك سعياً وراء الذهب

وما باتوا تلك الليلة الا ومعظمهم متأهب للذهاب في غدها

ومع ان القوم ازدحموا فيها وشرعوا يعملون فان اخبارها لم تتصل بالعالم الخارجي (ويراد به ماوراء قطر الاسكا من العمران) الا في صيف سنة ١٨٩٧ واما في البلاد فقد ذاعت اخبار هذا الاكتشاف العظيم وملأت الاسماع عَلَى طول مجرى اليوكون وحوالى جوانبه فتهافت الناس للانتفاع بالعمل

ومرّت بعد انتشار الخبر في العالم عشر سنين فبلغ عدد قصاد تلك البقعة نحواً من خمسة وسبعين الفاً بين عامل وتاجر ومتفرج وسائح ورائد ونشأ من امتداد الاكتشاف واهمية الكنز المدفون ان اتسعت البقعة ذات النتاج حتى صارت معاول الناقبين تضرب في فسحة من الارض سعتها ثمانمئة ميل مربع. ونشأ عَلَى اثر ذلك حركة تجارية تزداد عَلَى مرّ الايام نشاطاً واتساعاً ولا تنحصر في موضع مخصوص بل تتصل من الثغور البحرية حتى الداخلية وتدر عَلَى عمالها اخلاف الثروة ورغد العيش

وكانت مساعي الباحثين عَلَى الذهب في بدء الامر منحصرة في الخورين بونانزا والدورادو والقوم يومئذٍ ينصرفون لجمع ما ظهر منه بين الحصى والتراب وتصويله اما وقد نضب هذا الكنز الظاهر فقد استخدم الناقبون الآلات الجارفة والرافعة واستخدموا قوة الماء في تحريكها واستعانوا بنواميس الطبيعة عَلَى فتح كنوزها فجنوا من ذلك نفعاً عظيماً لان المقادير التي صاروا يجمعونها زادت زيادة كبرى عما كانوا ينالون بعمل ايديهم وقلت عليهم نفقات العمل وفوق هذا فقد اظهرت الآلات ما لم تكن الايدي والمعاول قادرة عَلَى كشفه حتى ان كثيراً من البقاع التي كانوا يشتغلون بها وقد حسبوها فرغت من كنزها

صارت تدر عليهم ما لا يحصى من الكميات • ومما يدل عَلَى مبلغ عمل الآلات ان جماعة يملكون نحواً من ستين سهماً من التربة الواقعة في التل الذهبي (كولدن هيل) بين ملتقى الخورين الدورادو و بونانزا كان اصحابها يحسبونها فرغت او كادت فاجتمعوا و باعوها من احدى الشركات بثمن ٥٦٢٥٠٠ دولاراً فاستخدمت الشركة آلاتها واستدرت منها ربحاً كبيراً وهي الآن تحسب من اثمن البقاع

وبما ان خوري بونانزا والدورادو صغيران جداً والماء الجاري فيهما قليل فهما لا يقومان بحاجة الناس الى المساء في تصويل الذهب ولذلك خطر لبعض العملة الاذكياء ان يزيدوا ماء الخورين بماء آخر يجرونه بالقساطل من ينابيع بعيدة فان تمّ لهم العمل عَلَى ما يحبون سدّوا الحاجة ووفوا وزاد ربحهم كثيراً

ويقدر العارفون ان قيمة ما استخرج العملة من منجم كلونديك بلغ الثلاثين مليوناً من الريالات حتى سنة ١٩٠٧

عَلَى ان هذا الذهب اذا قابلته بغيره من نتاج المناجم الاخرى سيما في الاسكا تجده خشناً بعض الخشونة و يراد بذلك انه يوجد عَلَى شكل حبوب بعضها كحبوب الذرة والبعض كحب الارز ومنها كالحمص وقد وجد ما كان كبير الحجم كأنه الريال او اكبر قليلاً ووجوده عَلَى هذه الصورة حمل القوم عَلَى ان ينعتوه بالحصى الذهبية وقد جرت عادة القوم الذين اشتغلوا اولاً في استخراجه ان يصولوا هذا التبر من التراب بالوعاء الصغير او بالمصاول • وطريقتهم في ذلك ان يملأوا الوعاء بالتبر الى نصفه ثم يمسكون به و يدنون من سبلة النهر و يضعونه في الماء فيغمره و يدخل اليه من جهة و يخرج

من الاخرى حاملاً ذرات التراب وانهم ليهزوا الوعاء في الماء فتطفو الحصى الكبيرة فوق سطحه فتؤخذ باليد و يرسو التبر ولا يزالون عَلَى هذا النهج حتى لا يبقى في الوعاء الا التبر مجتمعاً في احدى جوانبه. وهذا العمل يستدعي من الوقت نحواً من عشر دقائق او اكثر قليلاً ولا غرابة ان تعطى الأجور الباهظة عَلَى العمل لان ريع هذه الدقائق القليلة قد يتراوح بين النصف ريال والريال ونصف مهما انحط مقداره مع انه قد يبلغ النتاج مئة دولار في المواضع الوافرة الخير

واما المصول فهو عبارة عن صندوق هزاز يتخذ من الخشب ويملأونه الا قليلاً ثم يهزونه هزاً يشبه الغربلة وبما ان التبر اثقل وزناً من الحصى فهو ينحدر الى اسفل وتطفو الحصى والتراب وتستخرج من ثقب عند القعر

وقد يعمل في هذا الصندوق الهزاز رجلان فيسمون صندوقهما توما الطويل (لون توم) لان طوله يناهز العشرة اقدام او تزيد. فترى احد الرجلين عَلَى جانب الصندوق يحرك الركاز والرجل الآخر يصب الماء فيه من الجانب الثاني فيتصول الحصى ويخرج من ثقب سفلي بينما يكون التبر قد تجمع

واما في المواضع التي يكون ماؤها غزيراً فان المصاول تكون كبيرة الحجم بحيث تبلغ المئة وخمسين قدماً طولاً ويحال عليها مجرى من الماء السريع السير فيدخلها بقوته وثمت كثيرون من الرجال يحركون الركاز فيتخلل الماء اجزاءها ويحمل ما بينها من الحصى والتراب وسائر المواد الاخرى التي ترافق التبر وتنزل بها الى القسم الاسفل فتخرج منه واما التبر فيجتمع الى جانب عَلَى ان من الناس من يظن لاول وهلة ان الماء السريع قد يحمل الذهب ايضاً مع

رفاقه من الحصى والرمل فيذهب بها ضياعاً ولكن التجربة الدقيقة دلت على سداد هذه الطريقة وحكمة واضعي المصاول فانهم عرفوا ان الذهب من اثقل المواد فهو يرسب في القاع وثمت وضعوا له شراكاً يعلق فيها ومتى تم العمل يستخرجونها ويرفعونه منها فالطريقة جيدة واصلح ما تكون في منجم كلونديك حيث تبرها الخشن يعلق في الشراك وانما متى كان التبر ناعماً كما هو في غير كلونديك فهذه المصاول لا تصلح له وانما يستعملون له هنالك الزئبق فيمتزج به ومن ثم يستخرجونه منه بالحرارة

على ان اهم ما يعاني المعدنون في هذا العهد في قطر كلونديك واعظم ما يفكرون به هو الماء فان المقدار الموجود منه في المنجم قليل لا يكفي لحاجة العمل. فتراهم يعقدون الامال بهمة حكومة القطر ان تسعى جهدها في جرّ الماء اليهم من الانهار والينابيع القريبة وما هذا الامل بخائب ان شاء الله لان لحكومة كندا كل العناية بالمناجم وشؤونها وحسبنا ثبتاً انها مهدت الطرق ومدت السكك واجرت العربات حتى وصلت قطر كلونديك بالعمران وفتحت له باب الحضارة المغلق عن سواه من اقطار تلك الديار فلا غرابة ان تبذل وسعها في ذلك

على ان في منجم تردول ماء غزيراً استحوزت عليه الشركة واحتكرت استخدامه على ان تبيع منه للمعدنين باثمان معتدلة ولكنها لم تجرِ شيئاً مما تعهدت به وظلت متمسكة باحتكارها فلما رأت حكومة كندا منها هذا الطمع الغت امتياز الشركة في الماء فصار مباحاً

وليس ما تقدَّم ذكره من تصويل التبر لفصله عن التراب كل العمل الذي

يتعين عَلَى المعدنين الاخذ به للبلوغ الى غرضهم بل ثمت عمل آخر لا يقل عنه اهميةً وهو تذويب التبر وسبكه سبائك تصلح للتصدير الى اسواق التجارة ٠ فترى هنالك بعض الشركات والبيوت المالية الكبرى والتجار المقتدرين يشترون من المعدنين والنقابين ما يجمعون من التبر ويعملون في صبه سبائك والنسق الذي يجرون عليه هو وضع التبر في خلقين واسع ورفعه فوق اتون تضطرم تحته نار حامية فلا يلبث التبر ان يذوب ويصير سائلاً فيصبونه في القالب فيخرج منه سبيكة في حجم الاجرة (القرميد) الذي يرصفون به وثقل السبيكة الف اونس (ثمانية آلاف مثقال تقريباً) وثمن الاونس من ذهب كلونديك يتراوح بين ١٥ و ١٧ دولاراً بحسب صفاء النوع ثم يأخذون من السبيكة عبرة ويعينون لها ثمناً ويختمون عليها بطابع المحل وفيه بيان الوزن والعيار وبعد تمام هذا العمل ترسل السبائك الى دار الضرب — ومعظم سبائك ذهب كلونديك يُرسل الى سياتل في الولايات المتحدة ويسك عملةً في دار ضربها مع ان لحكومة كندا مضرباً في بلدة فانكوفر غير ان الذين يصدرون السبائك يفضلون الارسال الى مضرب سياتل لان البواخر ترتاد ثغر سكاكواي منها ارتياداً منتظماً فيستسهلون التصدير اليها ولذلك تجد معظم الذهب المستخرج من كلونديك يباع في الولايات المتحدة

ووضع اليد عَلَى بقعة من ارض المنجم مقيد بسنن وقوانين لا بد من الالماع اليها ففي قطر كلوندبك يُراد بمعنى البقعة من الخور ما كانت مسافته ممتدة نحو خمسمئة قدم يعني ان النقطة المسماة تعم حرماً يجاورها مسافة ٢٥٠ قدماً من فوقها و ٢٥٠ من تحتها عَلَى ان يكون عرضها الفين قدم

الاَّ ان هذه السنن احتملت منذ اول نشأَتها الى الآن تغييرات جمة فقد كان قبل اول نيسان سنة ١٨٩٨ اذا وضع رجل يده علَى موقع نال الحق المطلق في التصرف ببقعة تمتد من سفح التل المتصل بهذا الخور مسافة ٥٠٠ قدم صعداً الى اعلاه ونازلاً منه الى السفح الذي يقابله وفي التاريخ المذكور (١ نيسان سنة ١٨٩٨) تبدل هذا القانون واصبحت حقوق المالك ممتدة مسافة ٢٥٠ قدماً صاعداً ونازلاً ولكن لم يمضِ علَى هذا القانون سنتان حتى تغير ايضاً بحيث يبقى للمالك الحق ان يقيس ٢٥٠ قدماً من فوق ومن تحت والف قدم من كل جهة وبدأَ العمل بهذه السنة من سنة ١٩٠١ ولكنهم وجدوها لا تخلو من الصعاب لان الاخوار لا تستوي في شكلها فقررت الحكومة انه متى اكتشف احدهم علَى ركاز الذهب في بقعة من الارض يبقى للحكومة حق مراقبة ذلك لتحديد الموقع

واما تملك التلال فيراد به احراز الحق في استثمار بقعة عرضها لا يزيد عن الف قدم بحيث تكون مقابلة للخور الذي ازاءها اذ تمتد علَى محاذاته ٢٥٠ قدماً فقط ولكنها تكون في عرضها ذات الالف قدم

فيستدل من هذا علَى ان امتلاك الارضين هنالك لا يكون بالشراء من الحكومة ولكنها تؤْخذ قطعاً بحق وضع اليد — وهذا الحق يقال له في عرفهم STAKING ACLAIM ومعناه الحرفي مستفاد من الطريقة التي يجرون عليها في وضع اليد ذلك ان المكتشف يغرس في تخوم البقعة التي يختارها عصاً يكتب عليها او علَى ورقة تعلق بها اسمه ولقبه وتاريخ وضعه العصا واسم البقعة وان لم يكن لها اسم تعرف به يطلق عليها الاسم الذي يختار فيكون نصب

العصيّ عَلَى تخوم البقعة دليلاً عَلَى امتلاكها ويغلب في واضعي اليد ان ينصبوا عصوين ليس الاَّ احداهما عند اعلَى الخور والثانية عند اسفله

ولكن نصب العصيّ لا يكفي لوحده بل لا بدّ لتأييد الحق ومنع الخصام عليه من تسجيل وضع اليد في اقرب المدن الى البقعة حيث يوجد مكتب للتسجيل ويعطى عشرة ايام مهلةً لاتمام ذلك لكن الطالب لا يتمكن من اجراء معاملة التسجيل واعطاء البيان الكافي قبل ان يتزوّد من مأمور التعدين برخصة تخوله ملءْ الحرية في العمل عَلَى مدى سنة فيؤدي رسم الاجازة قيمة سبعة ريالات ونصف ريال اميركيّ اي حوالى ثمانية وثلاثين فرنكاً ومتى احرز هذه الاجازة تقدم الى التسجيل فتحررت البقعة لاسمه واصبحت له كأنها الملك الحرّ ينقب فيها ما شاء ويستخرج منها كنوزها ويتصرف فيها تصرف المالك في ملكه · كل هذا والحكومة تظله بحمايتها وتذود عنه من اراد الاعتداء عَلَى حقه

وبما ان امتلاك هذه الارضين الملئ بالمعادن لا يكون بالثمن بل تعطيه الحكومة مجاناً لطالبيه قطعاً قطعاً فانها تضن باحراز الشخص الواحد اكثر من قطعة واحدة في البقعة الواحدة كأنها تريد تعميم المنفعة لا حصرها بافراد قليلين · عَلَى ان خطتها هذه لا تمنع الافراد النشيطين من امتلاك اكثر من قطعة واحدة اذا هم سجلوها باسماء اخرى يستعيرونها من انسبائهم واصدقائهم وكذلك لا تحظر عَلَى الانسان ان يشتري حصصاً اخرى سجلت باسماء غيره فهي من جهة تريد تعميم المنفعة ومن الاخرى تطلق للانسان حرية الانتفاع بماله ونشاطه · وكذلك لا يحظر تعدد الاستملاك الاَّ اذا كان في البقعة الواقعة من خور او نهر او مسيل ماء ولكن اذا وضعت اليد عَلَى بقاع اخرى في مواقع

غير التي تملك بها اولاً ولو من ذات القطر فلا بأس به الاَّ ان امتلاك منافع البقعة لا تتم لواضع اليد اذا اكتفى بتسجيلها واحرازها لان الاجازة بذلك تمتد الى سنة واحدة فهو يضطر خلالها ان يعمل في الارض لاستثمارها فان اخلَّ بذلك لا تُعطى لها اجازة تمديد الاجل في منتهى مدته بل يصرف عنها وتعود البقعة الى الحكومة كأنها ارض سائبة لا يدَ عليها ولدفع هذه الغائلة ترى الذين يملكون الحصص الجمة اذا عجزوا عن تشغيلها كلها بحيث لا يصيب البقعة منها فوق عمل العشرة ايام فانهم يستأجرون من يعملها ويؤدون الاجرة عن ذلك مئة ريال . ويبقي واضع اليد مسؤولاً بقعود المستأجر لها عن تشغيلها فلا تجدد له في السنة التالية — وحق بيع التصرف بالارض يوجب عَلَى الشاري التقيد بشرط العمل فيها عملاً يقدر بمئتي ريال في السنة فان اراد صرف النظر عن العمل يؤدي للمسجل عن ثلاث سنوات ٦٠٠ دولار فان مضت ولم يعمل تعين عليه ان يدفع عن كل سنة اربعمئة ريال ويتعين عَلَى واضع اليد ان يحرز من المسجل وصلاً بما دفع او علماً بانه اتمَّ ما عليه من الشغل والاَّ فانه اذا قصر بذلك تحرمه ادارة المناجم من تجديد الاجازة له

هذا اهم ما يشترط عَلَى الراغب في وضع اليد عَلَى مناجم الذهب لتعدينها واستثمارها — عَلَى ان الحكومة تشدد في لزوم الاشتغال لتسعد حال الاهلين وتمكنهم من الارباح وهي ترى في هذا القانون مانعاً للذين يريدون ان يحتكروا المنافع فلا يعملون بها بانفسهم ولا يتركون غيرهم ان يعملوا ومن ثمَّ فان امثال هؤلاء المانعين للخير كثار حتى بين اهل التمدن واكثر منهم الذين تهمهم الارباح ولا يلتفتون ولو قليلاً لمنفعة البلاد فان هؤلاء يعجزون عن العمل

بمواضع جمة في وقت واحد فيتركون بعض المواقع سائبة ويكتفون بتسجيلها باسمائهم ولكنهم لا يمدون لاستثمارها يداً مؤجلين ذلك حتى تسنى لهم التمكن منها عَلَى ما يحبون — ولكن قانون العمل في كل بقعة وقف في وجههم معارضاً ٠

غير ان للحكومة ذرائع جمة تسهل بها عَلَى طلاَّب الذهب سعيهم وتمهد من سبيلهم الصعاب وتنشطهم بكلما تستطيع لينتفعوا وينفعوا — وترى الجرائد عندهم تفصل الحوادث المتعلقة بالذهب واعمال الناس فيه تفصيلاً يستلفت الانظار ٠ وتدلّ برواياتها عَلَى المواقع المكتشفة حديثاً — وهذه الكتابات كانت سبباً فعالاً لاجتذاب الجماهير الى المواضع المكتشفة وحسبك ان طلاَّب المعدن النفيس وضعوا ايديهم في جوار مدينة نوم عَلَى مسافات شاسعة تعد بالاميال — وقد تبلغ عدة هذه الحصص المملوكة او المسجلة باسماء مستملكيها نحواً من عشرين الفاً وترى في اواخر كل سنة ان الناس يزدحمون حوالى دائرة التسجيل حتى اذا وجدوا من واضعي اليد من قصر بالعمل او باداء المال فحرم الاستمتاع بالارض نهض غيره واتخذها لنفسه حقاً

عَلَى ان شروط الاستمتاع بالذهب غير ما يطلب لسواه من المعادن الثمينة الاخرى فانها تختلف بقيمة الضمانة ومدة اجل التعطيل ٠ وبان واضع اليد عليها يكون بمثابة مستأجر يبقى عَلَى التصرف فيها ما عمل بشروط الاجار واما في معادن النحاس فان الحصص تعطى مربعاتٍ من الارض مساحتها مئة وستون اكر ولا يجوز لمتملكها احراز حصة اخرى ما لم تبعد عنها عَلَى الاقل عشرة اميال مربعة وفوق هذا فانه لا يجوز لمعدني النحاس ان يشتغلوا بتعدين معدن

آخر لا يختلط بالنحاس

ومن شرائط الحكومة الاميركية في الاسكا انها تحصر منافع التعدين بابناء قومها الاميركان او الذين تجنسوا برعويتها وتجعل احراز الرعوية الاميركية شرطاً لاحراز رخصة الاستمتاع بخلاف الحال في الاقطار الخاضعة لحكومة كندا البريطانية فان قوانينها لا تحظر التعدين على غير المتجنسين بجنسيتها

النحاس . ان قطر الاسكا لا يخلو من معادن اخرى ثمينة يستغلها المعدنون ومن اهمها النحاس وهو موجود بكثرة عظيمة بين رواسب النهر المعروف بنهر النحاس وفي البقاع الفسيحة التي تجاوره يؤيد هذا ان في سنة ١٩٠٣ اتى ذلك القطر ثلثة وفود يمثلون ثلث شركات نحاسية من اقوى الشركات غنىً ويساراً في الولايات المتحدة والمكسيك وطافوا ارجاء النهر والجداول التي تصب فيه وبذلوا جهدهم في تحقيق ما اتصل بهم من اخبار المنجم ووفرة غناه فاتضح لهم الحق ولكنهم كتموه ولم يعلنوا امره غير ان واحداً منهم قال لاحد اصدقائهِ من نزلاء فالدز ان هذه المناجم اذا كشفت واستخرج معدنها وعرض في الاسواق التجارية بات النحاس المستخرج من بعض مناجم الولايات المتحدة والمكسيك بائراً وقد صدق الرجل لان استخراج النحاس في الاسكا يكلف نحو ربع او ثلث النفقات عليه في سائر مناجمه عندئذٍ يستطيع مستخرجوه ان يخفضوا من اثمانه ما يجعله رائجاً وكل نحاسٍ سواه بائراً كاسداً ولهذا السبب قصرت ايدي الشركات النحاسية عن الاهتمام بمناجم الاسكا حرصاً على بقاء منافعها من مناجمها في اميركا — حالة كون هذه عاملة وتلك تحت العمل والمثل يقول عصفور باليد ولا عشرة على الشجرة فضلاً عن ان اصحابها انفقوا عليها حتى الآن مبالغ عظيمة

فلا تطاوعهم قلوبهم ان يذهبوا بها ضياعاً وبما ان كل شركة منهم عزيزة الجانب حتى انها يلقبها الاميركان بالملوك فان عزتها تزداد بالمحافظة عَلَى اساس شهرتها وقوتها وهذه المحافظة تقضي عليها بالاَّ تنام لمناظريها عن الحذر والترصد لئلا ينهض واحد منهم ويسبق الآخرين وهذا التناظر يحصرهم جميعاً في مراقبة بعضهم و يصرف نظرهم عن الاهتمام بفتح مناجم جديدة — كل هذا صرف هؤلاء المقتدرين عن الاهتمام بمناجم النحاس في الاسكا وجعلها طعمةً لضعاف الناس الذين يستملكونها و يستعملون لاستثمارها ما لديهم من الوسائط الضعيفة التي لا تغني عن تلك القوى العظيمة · ولكن المفكرين يرون ان اهمال الاسكا ليس بطويل الامد فلا بد من يوم قريب تتناظر به الشركات القادرة عَلَى استملاك مناجم النحاس وعندها تبرز مكنوناتها فتدهش العالم بغناها وتنفع القطر

الفحم الحجري — ان شهرة الاسكا بما احرزت من مناجم الذهب كادت تطمس عَلَى ما فيها من الكنوز الاخرى · ولكنَّ طلاَّب الثروة من التعدين لهم عيون باصرة وايدٍ غير قاصرة ومن ورائهم رجال حكومة يهدونهم الى سواء السبيل ان ضلوا ويسعفونهم عَلَى الاستهداء الى كنوز الارض الدفينة اذا قصرت ابحاثهم عن كشفها · ولقد شاع وذاع بين نزلاء ذلك القطر انه لا يعدم الفحم الحجري في شبه الجزيرة وفي خليج الكونترولر قرب مصب نهر النحاس وقرب نوم وفي مواضع اخرى الاَّ ان ادارة المعادن هنالك ترى عَلَى اثر ما قرَّر رئيسها الفرد بروكس ان الفحم الموجود عند خليج الكونترولر لا يضارعه فحم آخر مما يخرج من ساحل اميركا عَلَى الباسيفيكي ولئن كان كل فحم القطر من ادنى الانواع واهم المناجم المعروفة حتى اليوم واقعة في المواضع المذكورة وعَلَى

الساحل الغربي وفي الياكون لكن اعظمها من غير خلاف منجم واقع عند رأس ليسبورن

غير ان وطوء النوع وكثرة النفقات علَى استخراجه تجعل الارباح منه قليلة تافهة ولذلك قلما تجد له من الرغاب من يعتمد عليه او يرجى منه اقدام عظيم ففي نوم مثلاً ينفق علَى كل طن من الفحم ما يتراوح بين ١٥ و٢٠ ريالاً ولكن المستخرج من الداخلية ولو علَى بعد قليل من نوم يصرف عليه من ٤٥ الى ٥٠ ريالاً

البترول — يزعم بعض العارفين باحوال الاسكا انها ملءٌ ايضاً بالبترول وانها لا تلبث ان تفتح ينابيعها وتبعث منها للعالم بالمقادير الوافرة من النوع الرائج في اسواق التجارة ويحدثون ان قريةً اسمها كاياك واقعة فوق فالدزازاء مصب نهر النحاس احتفروا فيها ثلثة ابار للبترول وان في برها ما يدل علَى وجوده بكثرة ولقد اهتمَّ بعضهم بما وجد من البترول في كاياك فحللوه وامتحنوه فقالوا ان نوعه جيدٌ يحاكي ما يستخرج من بانسلفانيا في الولايات المتحدة

وبذلت الادارة الجيولوجية في حكومة الولايات المتحدة عنايتها بسبر القطر فاستدلت علَى وجود البترول في كثير من المواضع علَى الشاطىء الجنوبي من حد رأس ياكتاك الى شرقيّ مصب نهر النحاس حتى شبه جزيرة الاسكا في الصوب الغربي من مدخل كوك

القصدير — ومما ظهر موخراً في «معرض» البيع في «لوزيانا من الولايات المتحدة انه وجد في القسم الذي جمعت فيه حاصلات الاسكا شيء من القصدير المكتشف فيها عند رأس يورك الواقع في اقصى الجهة الغربية من شبه جزيرة سيوارد علَى انه لم يتصل بنا حتى ساعة

كتابة هذا الفصل بيان واضح عن شأن المنجم المكتشف من جهة سعته ونوع المعدن ومقداره وانما يقولون انه جيد ووافر وان طلابه ازدحموا لتسجيل حقوقهم بالاستمتاع وان اربعة عشرة حصة اتفق اصحابها فباعوها صفقة واحدة باربعين الف دولار · وان واضعي اليد يسعون جهدهم لاستقدام العملة واقامة معمل للتذويب في سياتل من الولايات المتحدة لانهم عازمون عَلَى نقل ما يستخرجون اليها

الرخام — قيل ان الباحثين عثروا منذ بضع سنوات في الجانب الغربي من جزيرة البرنس اوف وايلس عَلَى مقادير وافرة من الرخام البديع الفاخر وهي انواع كثيرة تبلغ ستة وعشرين نوعاً كلها تصلح للزينة والزخارف

الفصل الرابع

(الزرع والضرع والغابات والصيد)

مرَّ بنا في مجرى الحديث ذكر الغنى الوافر الذي يستخرجه العاملون من ارض الاسكا ونحن الآن ذاكرون تفصيل ما اجملنا ليكون القراء عَلَى بينة من حال الاقليم ويصبح الكتاب مفيداً عميم النفع لذيذ الحديث

١

الزرع

يُقال عَلَى السنة بعض الذين لم يسبروا غور الاسكا ولا عرفوا حقيقة حالها انها بلاد عقيمة لا تنبت شيئاً من الزرع بل يتجاهلون في السؤال قائلين وهل ينبت ذلك الاقليم الاَّ الثلوج وركامها ؟

والحال انا رأيناها وقرأنا عنها انها لا تخلو من بقاعٍ كثيرة ذات تربة

صالحة لنمو ضروب النبات وانواع البقول والقطاني والزهور وانها في اكثر من موضع واحد تجد ارضها مدبجة بالزهور مرصعة بالاخضرار ترتاح اليها العين التي لا تستقر في معظم القطر الاَّ عَلَى بياض الثلوج · كل هذا يدل عَلَى ان تربتها اذا بذل الانسان بتحسينها وسعاً وعالجها بالمعرفة والحكمة يجني منها نفعاً كبيراً

وحسبك ما ذكرنا من ان ارضاً بجوار سلكيرك ادرت عَلَى زارعها ريعاً عظيماً وما علمنا من ان عَلَى مقربة من ايكل موضع اسمه فورت اكبرت يبعد عن داوسون الى الشمال الغربي نحو مئة ميل وفيه انشاء قائد الجند المرابط حديقة لا تتجاوز سعتها الخمسة اكر وجعل الجند يتلهون بزرعها والاعتناء بها فاينعت واثمرت كثيراً من البطاطة والملفوف واللفت واللوبياء والخس والفجل وغيرها من القطاني والبقول حتى كفت الحامية ما يحتاجون —

اما في المواضع الشمالية كسركل سيتي مثلاً فقد جرّب بعضهم زراعة بعض ضروب القطاني فوجدوها تنمو نموًا حسناً ولكنها لا تسرع بالبلوغ لبرودة الاقليم وتمهلها يقضي عليها بدخول فصل البرد القارس قبل ان تثمر ومع هذا فزراعة ذلك الاقليم البارد لا تعدم واسطة لنيل جناها وان قصرت الوسائل عن استثمار الزرع فلا يحرم الناهضون به منه فائدة هي ان يصلح النبت للعلف

لا جرمَ ان القطر لا يقال انه كله يصلح للزرع والاستغلال لان بعض بقاعه باردة جداً كما وصفنا وانما حسب المعتنين باستثمار الارض ان يكون لهم مثل وادي يوكون تربة — فثمت الخصب والريع الوافر ومثله عَلَى ضفاف نهر النحاس والتنانا — بل يؤْخذ من تقرير رفعه رجل من موظفي ادارة التلغراف

في حكومة اميركا بعد ان طاف البقعة لمد الاسلاك — ما يستفاد منه ان نهر التنانا ينبع من الصوب الشمالي من جبل سان الياس غير بعيد عن التخم الفاصل بين كندا والاسكا ويجري الى الشمال الغربي حتى يصب في اليوكون ويقال ان النهر يسير في وادٍ خصيب عرضه نحو ثلاثين ميلاً وطوله ينوف عن المئتي ميل . وبعض ارجاء هذا الوادي مكسوٌ بالغابات والاحراج ذات الاشجار الضخمة وبعضها مدبج بالاعشاب والنباتات البرية والزهور المختلفة النامية نموًّا عجيبًا يدل عَلَى خصب تربتها

وهواء الوادي اخف بردًا من الاقليم الواقع في اليوكون الاعلَى حتى ان الصيف فيه يطول نحو شهر اكثر منه في ذلك الموقع . ومع ان تربة هذا الوادي معروفة بين الناس فان القوم لم يقدموا عَلَى تجربتها لاستغلالها ولو فعلوا لوجدوها تدر عليهم خيرًا كثيرًا لانها تنبت القطاني والبقول بوفرة وحسبك ما يقول في ذلك بعض نقلة البريد الذين يسافرون من فالدز الى ايكل فيأتون ذلك القطر ويجدون فيه علفًا وافرًا لخيولهم عَلَى ان ساق هذا النبت ينمو طويلاً ولكنه لا ينضج ثمره وقد رأى احد كتبة الاميركان في بلدة فورتي مايلس ساقًا طوله ثلثة اقدام ونصف

ومما يقول الخبيرون ان الزراع اذا لفتوا نظرهم نحو هذه القطر وبذلوا عنايتهم بزراعة البقول التي يحتاجها سكانه لقوتهم وغرس الاشجار المثمرة للتفكه فانهم يستغنون بريعها ويجبون القطر فائدة اقتصادية جليلة تغنيه عن جلب ما يحتاجه نزلاؤُه من البلدان العامرة

نعم ان الاقليم بارد اذا نظرت اليه نظرًا اجماليًا ولكن العلم والصناعة

يحولان الصعب سهلاً ولعلهم متى باشروا العمل انتفعوا من بعض الخصائص وحكموا في الامر عقولهم فافلحوا

غير ان وادي تنانا ووادي اليوكون ولئن شاركا القطر كله بطول زمن الشتاء فيه فان زمن الصيف فيهما ينيلهما من حرارة شمسه ما يكفي للانبات والانماء الا ترى ان شروقها يدوم فيهما في شهري حزيران وتموز من ١٨ الى ٢٢ ساعة في اليوم ويغلب ان يرتفع ميزان الحرارة يومئذٍ فيهما الى الدرجة تسعين من ميزان فهرنهيت — وفضلاً عن هذا فان في الواديين وغيرهما من الاسكا — من الاسباب الطبيعية ما يحاكي السائد في الشمال الغربي من الولايات المتحدة وفي كندا وانت خبير بان العناية جعلت النبات في ذينك القطرين ان يبلغ اشده في زمن الصيف فماذا يمنع نزلاء الاسكا ان ينالوا منها ما نال الاميركان والكنديون من ثمرات جهدهم ؟

لا جرمَ انهم اذا اجهدوا النفس جعلوا ذلك القطر زراعياً يكفي ذاته علَى الاقل كما هو الحال في القطرين المشار اليهما حيث التربة صالحة وتعرض في زمن الصيف ساعات كثيرة لحرارة الشمس وهذا يجعل القمح فيهما ان ينمو نموًّا غريباً بسرعته وعلو ساقه بينما تكون اصوله راسخة في الارض تغتذي من رطوبتها الكافية غذآء حسناً · ولا تصاب بالجفاف الذي يصيب زروع بعض الاقطار الاخرى في سنيّ القيظ

والباحثون يرون ان هذه اسباب النماء موجودة علَى اتمها في الاسكا حيث يقع الثلج ويقرس البرد فيقع التجليد حتى الى عمقٍ بعيد عن سطح التربة ولا يذوب الاَّ تدريجاً في الصيف وعلَى مداه فيشبه في التغذية واتقاء الجفاف ما هو واقع

في الشمال الغربي من الولايات المتحدة وفي كندا — نعم انه لم يجرِ في الاسكا تجربة الزرع وامتحان نموه واقباله ولكن الاعشاب البرية البالغة في تلك البقاع موضعاً عالياً تدل عليه

والذين فحصوا التربة في الاسكا فحصاً علمياً وجدوها في البقاع المرتفعة من الاقاليم القليلة البرد رملية خفيفة ولكنها في السهول والاودية اخصب واثقل وكلها تعلوها الاعشاب والطحلب فتظهر كأنها البساط الممتدّ فوقها متصلاً بعضه ببعض واذا داسها المرء شعر كأنه يطاء اسفنجة تمتص الرطوبة ولكنها تذود عنها حرارة الشمس

وقصارى القول انه يخلق بنا ان نعيد ما ذكرناه في الفصل الاول من هذا الكتاب عن الاستاذ جورج جورجسون عن ان في الاسكا مئة الف ميل مربع من التربة الزراعية — وكذلك ما قاله المهندس بنروز الاميركيّ

٢

الضرع

يغلب عَلَى رأي الناس قولهم ان بلاد الاسكا لا تصلح لتربية الانعام لان الثلج يغمرها والبرد فيها قارس — وانما يظنون هذا مع انها تكثر فيها الماشية وقد جرَّب الكثيرون تربيتها فاصابوا نجاحاً

ومن الغنيّ عن البيان ان ورود السفن الصيادة بكثرة الى البحار الشمالية وسعيها في صيد الحيتان افضى بهذه الى الابتعاد عن مسارحها عَلَى مقربة من الشواطىء وكذلك فعلت العجول والفقم وبابتعادها عن السواحل تعزر عَلَى الاهلين ان يجدوا لهم طعاماً وافياً بحاجاتهم. لانهم كانوا يتخذون من لحمانه

اكلاً ومن جلده كساءً وستراً

وفوق هذا كله فانهم كانوا يستعينون ايضاً بصيد الطيور يتصلون الى ذلك بما لديهم من الوسائط البسيطة فيصيبون ما يتبلغون به وما زالوا كذلك حتى دخلت بلادهم الأسلحة الحديثة الطرز يحملها قوم مدربون عَلَى اطلاقها فصاروا يصطادون بها حتى نفر الطير من مكامنه سيما بعد اذ تعلم بعض الاهلين هنالك استخدام هذه الأسلحة الحديثة ودرج بينهم استعمالها فاسرفوا في اذى الطير وحملوه عَلَى مبارحة القطر الغربي من الاسكا

كل هذا اقلَّ مصادر الطعام عن الاهلين وحال دون نيلهم منه كفافهم فرأى ذلك بعض المحسنين وهالهم ان تصير الاسكا الى العوز مع انها ينبوع الثروة الذي لا ينضب فسعوا وسعيهم المشكور الى ادخال الماشية

وانت خبير ان الاسكا واقعة ازاء سيبيريا يفصلها عن بعضهما بوغاز بيرين وما هو بالحاجز الحصين الذي يخفي عن نزلاء الاسكا حال سكان سيبيريا فعرفوا ان اولئك ولئن كان اقليم بلادهم مماثلاً لاقليم الاسكا فهم اسعد من هؤلاء حالاً وانعم بالاً والعيش الساذج عندهم هنيءٌ ميسور لانهم يربون الاوعال قطعاناً ينتفعون بدرها ولحمانها — فلما رأى رجال الخير ذلك دفعت بهم نفوسهم الطيبة لاستجلاب هذا الحيوان الداجن وتربيته في بلادهم — عَلَى ان استيراد الوعل الداجن ايسر منالاً واسهل عملاً من استدجان نوعه البري العائش في قفار الاسكا والمعروف باسم CARIBOU

وكان الساعي في العمل قس اميركي اسمه شلدون جاكسون — قضى حيناً من الدهر ناظراً عاماً للتعليم في الاسكا فعرف حاجيات القطر واكتنه شأن

الاسكيمو فاستحصل من والي الايالة سنة ١٨٩١ عَلَى اجازة تبيح له السفر عَلَى بارجة من قاطعات الجليد اسمها ثاتيس ليطوف عليها ثغور سيبيريا ويأتي بما يستطيع شراءه من الاوعال · عَلَى ان عمله هذا كان يحتاج الى المال فطلب من الحكومة ان تخصص مبلغاً من الخزينة لشراء الاوعال فابت عليه ذلك لان رجالها لم يكن لهم ثقة بنجاح عمله· فاضطر ان يقتصر عَلَى ما نال من مساعدات بعض اصدقائه وتلك لم يكن مقدارها يزيد عن الالفين ريال ·

ولما بلغت به البارجة الى الثغور السيبيرية لقي فيها مانعاً آخر هو ان اصحاب الاوعال كانوا يفتخرون باحرازها ويحسبونها من اسباب وجاهتهم واعتلاء قدرهم ومع شدة جشعهم وطموحهم الى احراز النقد لم يرتضوا بيع الوعل لئلا ينخفض شأنهم بقلة ما يبقى لهم منه · وعبثاً حاول جاكسون اغراءهم عَلَى البيع لانهم يحسبون المقام عندهم عالياً بنسبة ما يملك واحدهم · فاضطر ان يطوف بالسفينة نحواً من الف وخمسمئة ميل وهو يشتري الاوعال واحداً بعد آخر حتى تسنى له احراز ستة عشر وعلاً ليس الاَّ فحملها الى جزيرة اماكناك من جزائر اليوتيان

ومع خيبة مسعاه تقريباً في تلك السنة الاولى اعاد المسعى في السنة الثانية فاحرز ١٧١ وعلاً نقلها الى بورت كلارنس واقام لها هنالك مركزاً · عَلَى انه ما عتم ان فاز بمواثقة الحكومة الروسية فاصبح يأخذ من السيبيريين اوعالهم عارية فترد اليهم بعددها في اجلٍ معين

ومرتع الاوعال في الاسكا خصيب فسيح حتى انه يقال ان سعته تمتد اميالاً تعد بمئات الالوف والعشب الذي ينمو فيها وترعاه يقال له طحلب الوعل

ومنه غذاء الوعل البري المسمى كاريبو في زمن الشتاء اما في الصيف فكلا النوعين الوعل والكاريبو يرعيان العشب الاخضر

ولما جاء بالاوعال الداجنة الى القطر سرحوها وجعلوها في ظروف تماثل ظروفها في وطنها السيبيري فنمت وتوالدت وايدت رأي القائلين بانها تصلح لسكنى الاسكا. ولما رأت الحكومة ما صارت اليه من الوفرة اقرَّت سنة ١٨٩٤ عَلَى صرف مبلغ ستة آلاف دولار في اكثار هذا الصنف النافع وشرعت تزيد المنحة حتى بلغت زهاء ٢٥ الف ريال وحتى اصبح عدد الاوعال سبعة آلاف. وهي قطعان جمة منتشرة في ارض فسيحة من حد بارو بوينت في اقصى التخوم الشمالية التي يسكنها البيض عَلَى الاوقيانوس المتجمد حتى بثل مشن عند مصب نهر كوسكويم جنوباً

ولم يكن الاهلون قد اعتادوا تربية الاوعال الداجنة والاعتناء بها والانتفاع منها فرأت الحكومة ان تدربهم عَلَى ذلك فاستقدمت نفراً من اللابلانديين والفن والسيبيريين واستخدمتهم في تعليم وطنيي الاسكا كيف يرعون الاوعال ويستفيدون منها

وجعلت الحكومة تقيم الحظائر للوعل قريبة من مراكز التبشير لان المرسلين لاهتمامهم بتنصير الاسكيمو الوطنيين وتعليمهم يقيمون عَلَى قرب من القرى التي يسكنها اولئك فينشئون لهم المدارس واليها يزدحم كثيرون من فتيان الوطنيين فيستطاع ان ينتخب منهم من يصلح للاعتناء بتربية هذه الحيوانات

ومتى تقيد الواحد منهم في الرعاية يقيم متعلماً واجباتها نحواً من خمس سنوات وينال عَلَى خدمته عدداً معيناً من الاوعال في كل سنة تفصل عن القطيع

فمتى مرّت به السنون الخمس اصبح وقد اجتمع عنده قطيع مخصوص به فيرعاه ويربيه عَلَى ما تعلم منفصلاً به عن مستأجريه

وقد احسنت الحكومة بعنايتها هذي لانها قصدت بما فعلت افادة الاسكيمو الوطنيين لا النزلاء البيض الذين يعملون لكسبهم اعمال اخرى يستفيدون منها وتوصلاً لغرضها حظرت بيع الاناث من الوعل لغير الاسكيمو لئلا يتملك غيرهم القطعان فيزاحمونهم ويغلبونهم — ولعلها تبقى عَلَى هذا النهج حتى يشتد ساعد الوطنيين . ولم يمضِ عَلَى عملها هذا الاَّ بضع سنوات حتى رأت انها اصابت لان نحواً من ستين وطنياً صاروا يملكون قطعاناً كباراً من الاوعال ادرت عليهم اخلافها فخرجت بهم من حال الفقر والعوز الى العيش الهنيء

والفائدة التي تجنى من الاوعال عظيمة جداً سيما في مثل بلاد الاسكا لانهم فضلاً عن اكل لحمانها واصطناع الملبس من جلودها فانهم يستخدمونها وهي حية لحمل الاثقال فيضعون عَلَى ظهورها نحواً من ميئتي ليبرة او يجعلونها تجر زحافة ثقلها خمسمئة ليبرا مسافةً تناهز ٣٥ ميلاً في اليوم

وصاحب الوعل يستدر منه ربعاً حسناً اذا اعده للاجرة وحمل عليه الاثقال ولا يزال يجني منه حتى يمله او ينحل بدن الحيوان فيذبحه ويبيع لحمه — ومع كل هذه الفوائد لا تجده يسوم صاحبه كلفةً تبهظ عاتقه لانه يسرّح بعد ما يعاني مشاق العمل في النهار فيضرب في الضواحي مهتدياً بسليقته واختباره الى مرعاه فيجرف عنه الثلج ويرعى وبذلك يوفر عن مالكه الاهتمام بتهيئة علفه فيفضل الحصان والبغل والحمار والكلب والهر لانها وغيرها من الدواجن تحتاج الى عناية اصحابها بها والتفاتهم المستمر لتهيئة علفها

والذين ذاقوا لحم الوعل يقولون ان طعمه يحاكي طعم وعل البر والغزال بل يقرب كثيراً من لحم العجل الاميركيّ . ولذلك تجد باعة اللحوم يشترون الوعل الذبيح بثمن يتراوح بين الاربعين والستين ريالاً مع ان ثمنه وهو حيّ من المئة الى المئة وخمسين ريالاً اذا كان مروضاً ومدرّباً عَلَى حمل الاثقال

ولقد مرَّ بنا في الفصل الثاني كيف ان الربان جرفس ذهب بامر حكومة الولايات المتحدة سنه ١٨٩٨ لانقاذ الصيادين الذين حبستهم الثلوج فهذا الربان الباسل استصحب من حوالى خور نورتون ميئات من الاوعال فحملها ما جاء به حتى اذا بلغ بوينت بارو ووجد اولئك الصيادين في حالة يرثى لها من الجوع والبرد شرع يطعمهم ويعالجهم حتى بلغ ما ذبح من الاوعال ميئتين وستين وعلاً . فبلغ ما تمنى وعاد بهم سالمين

ولهذا صارت حكومة الاسكا تعتبر وجود الوعل في بلادها من معدّات رقيها وهي تعاقب من استنفر وعلاً عن قطيعه بغرامة خمسين ريالاً ومن سرق وعلاً بسجن لا تقل مدته عن سنة

وليست الاوعال عَلَى فائدتها للبلاد هي الحيوان الوحيد الذي ادخله التمدن وحسبك ما ذكرنا في الكلام عن كودياك كيف ان الاميركان يسعون بتربية الغنم فيها

وكذلك ورد انه منذ بضع سنوات جاء بعضهم بنحو الف رأس من الغنم الى داوسون فكانت تسير وترعى اعشاب القطر حتى بلغت المدينة وهي عَلَى تمام الصحة لم يلحق بها نقص يزيد عن الواحد في المئة فاستدل القوم من ذلك عَلَى انهم يستطيعون ان يربوا الغنم في تلك الديار وان يستدروا منها ريعاً كافياً

٣

الصيد والقنص

مرَّ بنا في تضاعيف الكلام ان سكان الاسكا الاصليين كانوا يقتاتون قبل دخول الاجانب الى بلادهم بما يصطادون من حيتان البحر وطير السماء وحيوان الارض وبما يجنون من ثمار الاشجار البرية عَلَى انهم كانوا يومئذٍ قليلي العدد متفرقين في بقاع ارضهم الواسعة فلا يحرمون القوت من خيرات الطبيعة ولم يكن غذاؤهم ليضر بهم بل بالعكس كان كافياً لقيام اودهم وحفظ حياتهم ونشاط اجسامهم اما وقد ادخل الدخلاء بينهم انواعاً منوعة من الاطعمة فقد اعتادوا لهذا العهد عَلَى اكل الخبز وشرب القهوة والشاي واشتهوا السكر ·

ولكنهم لم يأخذوا عن معلميهم التفنن في الطبخ لان المواد التي ظلوا يعتمدونها لا تمكنهم من التنويع · فتراهم كأنهم ما برحوا يأكلون عَلَى طرزهم المألوف منذ اقدم العصور الاَّ في ما تعلموه حديثاً فهم حتى اليوم يجففون سمك السلمون ويدخنونه ويأكلونه مغموساً بزيت الفقمة ويحسبون هذه الطعام لذيذاً جداً · عَلَى ان من الباحثين قومٌ يقولون ان تكاثرهم في العدد وتناقص الصيد افضيا بهم الى القلة · وان الاطعمة التي كانت تكفيهم في الماضي لقلة اعمالهم صارت اليوم غير وافية بحاجات غذائهم · ولكن بعضاً يردون عليهم بانهم مرَّت بهم الدهور وهم يأكلون طعامهم الساذج ويجدون منه شبعاً ويشربون من مائهم القراح فيصيبون منه رياً ويأخذون من جلود ذبائحهم ما يلبسون فيتقون البرد القارس وعَلَى هذا النمط قضوا سحابة ايامهم وهم اشداء

ممتعون بالعافية فلما جاءهم التمدن واخرج بعضاً منهم الى التلذذ بمآ كله ومشروبه وملبوسه سلبهم عافيتهم وشدتهم وعرّض باجسامهم للامراض والعلل . واشد ما كان بلاؤهم من ملابسهم الحديثة ذلك لان الجلود التي سبق لهم اعتياد لبسها كانت تقيهم البرد مهما اشتدت لذعاته فلما عافوها وجاروا المتحضرين في لبسهم لم يجدوا من جيوبهم قدرةً عَلَى شراء الكساء الواقي من الانسجة الحريرية او الصوفية التي تحفظ حرارة الاجسام وتصونها بل تجدهم يشترون نفاية الانسجة فلا تفي لهم بالحاجة وانما تعرضهم للاصابة بامراض الصدر والرئتين والشعب فتفتك بهم فتكاً ذريعاً . ولم تنحصر مضرتهم بهذا بل تجدهم يحبون الاقتداء بالفرنجة في كل شيء وقلة وسائلهم لا تمكنهم من ان يأخذوا عنهم الأ التافه . ولا تستطيع الحكومة الاميركية ان تحظر عليهم التمتع بما يرونه خيراً ولذلك يزداد فيهم الوبال

بل ترى حكومتهم قاصدة تحضيرهم وفائدة مجتمعهم ولكنها قلما تنال الارب في القريب العاجل . فهي رأت ان دأبهم عَلَى صيد الحيتان واقتناص الثعالب ولئن كان مفيداً لهم بما يدر عليهم من المال وما يأكلون من لحمه فهو يفضي الى استئصال الانواع اذا ظلّ التهافت عَلَى الصيد جارياً بنسبة رواج ما يجنون فسنت للصيد شرعةً يحظر بها صيد الحيوان في ابان ازدهاء جلده واستحسانه فرواً وانكى من هذا انها منعت التجار من مشترى ذلك وتصديره فكانت سنتها هذه وبالاً عَلَى الوطنيين وعَلَى التجار الامناء الذين يراعون جانب القانون ولكنها فسحت لبعض المتجرين الصغار الذين لا يحافظون عَلَى النظام ولا يصغون الى صوت الضمير ان يملأوا جيوبهم بما يختلسون . ذلك انهم يخفضون الاثمان

الى احط ما يمكن ويحببون للوطنيين ان يصطادوا خلسةً ثم يأخذون الفرو منهم بتلك الاثمان البخسة ويصدرونها تهريباً فيعود المصاب مزدوجاً عَلَى الوطنيين

كل هذا لان حكومة الولايات المتحدة تسن لالسكا ما يلزمها من القوانين من غير ان يسبق لها اختبار شؤُون البلاد اختباراً يمكنها من وضع ما يناسبها — ولكنَّ اقلام صحف اميركا واصوات خطبائها لفتت الانظار الى ذلك القطر فلا بدَّ ان ينال عناية جلى تجعل الصيد والقنص يدر عَلَى سكان البلاد ريعاً كبيراً

ولقد اتينا في ما مرَّ عَلَى ما كان من الروس من صيد عجول البحر والاتجار بالفرو واكتشاف الجزائر التي تأوي اليها العجول عَلَى بعد ٥٠٠ ميل الى جنوبي نوم

ولما اشترت الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٦٧ الاسكا من الدولة الروسية امتلكت بحق شرائها كل ما وقع في البحر من منتصف بوغاز بيرين الى نقطة تقع في منتصف المسافة بين اقصى جنوب جزائر اليوت وجزائر الكومندر عَلَى مقربة من شطوط كامشاتكا وبهذا اصبحت جزائر العجول البحرية في حوزة اميركا فمنحت شركة التجارة الاميركية في الاسكا امتياز صيد الحوت لمدة عشرين سنة اي من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٩٠ ولما انتهت المدة منح الامتياز لشركة اسمها الشركة التجارية في اميركا الشمالية لمدة عشرين سنة اخرى . وكانت الحكومة تقيم لها معتمداً في جزيرة سان بول واخر في جزيرة سان جورج ليراقبا تنفيذ الشركة شروطها

ولا خفاء ان في زمن تسلط الروس عَلَى القطر لم تكن هذه الجزائر مأهولة وعدم وجود الساكن فيها هو الذي افضى بالحيتان الى سكناها سيما وان جوانبها سهلة يستطاع لتلك الحيوانات تسلقها من غير كبير عناء غير ان الروس لما رأوا

فائدة الاتجار بالفرو جعلوا يأتون بالناس من جزائر اليوت لسكنى هذه الجزيرة حتى استقدموا منهم المئات واسكنوهم فيها بعد اذ بنوا لهم الثكنات والاكواخ وكانوا يطعمونهم ويكسونهم ويعلمونهم اصول الديانة المسيحية عَلَى المذهب الارثوذكسي فلما حازت الشركة الاميركانية عَلَى امتياز اخذ الفرو وجدوا هؤلاء سكان الجزيرة في حالة يرثى لها من الاستعباد لانهم جيء بهم من وطنهم الاصلي قسراً ولم يؤدوهم الاَّ الاجور التافهة وكانوا يعاملونهم معاملة العجماوات فصاروا عقيب انتقالهم الى الحكومة الاميركية اصلح حالاً لان الشركة الاميركية بنت لهم بيوتاً وجعلت اجورهم اربعة اضعاف ما كان يعطيهم الروس وشادت لهم مدرسة لتعليم احداثهم وحظرت مبيع المسكرات في ما بينهم واقامت مستشفى لمرضاهم فصارت حالتهم احسن من حالة سائر الوطنيين . الاَّ انهم لم يكن معظمهم بالراغبين في تعليم اولادهم في المدرسة الاميركية لئلا يأخذوا عن اصحابها مبادئ المذهب البروتستاني وهو يخالف التعليم الارثوذكسي الروسي

واما الفرو الذي نتج للشركة سنة ١٩٠٣ فيقدر بنحو ٢٢ الفاً وصيد حيوانه لا يكون الاَّ في الصباح الباكر عندما يكون الطقس بارداً ومن عادة الحيوان ان يصعد الى الجزيرة فتقيم الاناث مع صغارها بين صخور الشواطىء واما الذكور سيما الحديثة التي لم تتزوج فانها تبعد عنها حتى حضيض التلال فمتى اراد الاهلون اصطيادها يبكرون فيدخلون بين الفريقين الذكور والاناث لانهم لا يريدون بالاناث شراً لابقائها عَلَى حفظ النسل وتنشئته ومتى حالوا بين الفئتين انسلوا الى ان يدنوا من الذكور ومن ثم يأخذون باخافتها بما يحدثون من الجلبة اذ يصيتون بملء اصواتهم ويضربون بالاخشاب وعَلَى التنك الفارغ

فتراع الذكور وتنفر خائفة مزعورة فتخرج من مكامنها بين الصخور وتأتي الى بين الاعشاب النامية نموًّا كبيراً . وقد يتفق ان يكون بين هذه النوافر بعض الاناث وصغارها وهي لا تبدي شيئاً من المقاومة ولا تحول دون غرض الصيادين فيتركها هؤلاء غير مهتمين بفصلها عن سائر الحيوان حتى يبلغوا الى الموضع الذي يقتلون به الذكور وهنالك يفصلون الاناث وصغار الذكور لانهم لا يريدون بها شراً ويحملون بملء قوتهم عَلَى سائرها .

ومما يُذكر ان هذه العجول لا تحمل للدفاع عن انفسها حملة صادقة ولكنها لا تخلو من بعض افراد تدفعها القحة لمواثبة الانسان ويغلب في هذه ان تكون من العجول المسنة او الحديثة العهد التي لا فائدة من قتلها .

غير ان عجول البحر عَلَى شدتها وسرعتها وخفة حركاتها في الماء وعَلَى بُعدٍ قريب منه لا تجدها كذلك في البر بل بالعكس تجدها متثاقلة فيه ولا تقوى عَلَى النزال طويلاً فهي لا تستطيع ان توغل في البر اكثر من بضع عشرات من الاقدام . ولذلك متى نفرت وسيقت الى مجزرتها يناهضها الصيادون ويضايقونها فتثب وتسقط الى الارض وهي ذات اجسام ثقيلة فتحتمل العناء الشديد بنهوضها وتريد تكرار الوثوب فتعجز عنه حتى لا يمضي عليها زمن طويل الاّ وقد خارت قواها وضعف حيلها وصارت كالغنم مساقاً الى الذبح

وبما انها سيقت بعنفٍ مسافةً تربو عن ٢٠٠ قصبة فان حرارة جسومها ترتفع ارتفاعاً عظيماً يضر بجلودها اذا ذبحت ساعتئذٍ فيصبر الصيادون لها حتى تبرد بمدى ثلث ساعة وعندئذٍ يبدأون بذبحها واحداً بعد آخر ثم يسلخونها ويأخذون جلودها فرواً تتنعم بلبسه ربات الخدور مع انهن لو اتيح لهن ان

ينظرن الى هذه المجزرة ولو مرةً واحدةً في العمر لاضربن عن ولعهن بالفرو ولنبذنه ظهريًا

ومع انَّ طريقة هؤلاء الصيادين اخف ضيماً من غيرها فانها بحد ذاتها بالغة من القسوة مبلغاً عظيماً لان القوم يتسلحون للصيد بهراوةٍ يصطنعونها يُقال لها بلغتهم مميليكا يجعلون طولها حوالى الخمسة اقدام ويدملكون رأسها ويجعلونه ضخماً ثم هم يخرجون زرافات لا تنقص عدة افرادها عن الستة حتى اذا برزوا لمناضلة الحيوان شرعوا يضربونه عَلَى رأسه فتجحظ عيناه ويصيح من الألم محاولاً جهده التخلص من المنية بحركاتٍ كان حتها ان يلين لها الجماد ولكنها لا تؤثر شيئاً في عواطف اولئك القتلة الذين الفوها

ومتى قتلت تلك العجماوات شرَّ قتلة تقدَّم اليها بضعة من الرجال وبايديهم المدى القاطعة وشقوا الاديم من تحت الجانب واستخرجوا المعى وسائر الاحشاء ثم يجيء دور السلاخين وهم من اكثر القوم خبراً فيسلخون بملء السرعة ويلقون الجلد عَلَى العشب والفرو ظاهر

ولهذا العمل ميعاد هو شهرا آب وايلول من كل سنة ففي بادىء عملهم تراهم يتركون الحيوان بعد قتله في موضعه غير ملتفتين الى لحمه ولكنهم في اواخر الموسم يضنون باللحم ان يذهب ضياعاً فيأخذون منه المقادير الوافرة ويعالجونها لتكون طعاماً لهم في زمن الشتاء بطوله ومنه يستقطرون زيتاً يأتدمون ببعضه ويتجرون ببعض آخر

غير ان الفرو الذي يسلخ عن عجول البحر يكاد لا يشبه ما نجده بين ملابس الحسان لان الجلود المسلوخة يغلب فيها ان تكون ذات شعرٍ نأتيءٍ

يغطي الزغب الذي هو الفرو النفيس · وهذا لا يظهر بلونه الجميل وصقاله البديع الأ بعد ان يمرّ عَلَى الفرّائن في اورو باسيما في لندن في عاصمة الانكليز

واحسن انواع الفرو ما اخذ من العجول التي تجاوز عمرها السنتين ولم تكن مسنة ولا من الاناث لان فرو تلك يخرج خشناً تكاد لا تصلحه الصناعة ولكن بالرغم عن عناية وكلاء الشركة واهتمام الصيادين لا بد من وجود فراء من هذه بين المجموع ·

وقبل ان تؤْخذ هذه الجلود وترسل للاصلاح تجمع من مسالخها ويجعل كل جلدين منها عَلَى بعضهما من صوب اللحم ويضعون بينهما مقداراً من الملح وتبقى معرضة للجفاف مدة اسبوعين او ثلثة ثم تحزم وترسل الى لندن حيث تجد سوقها رائجاً ومبيعها رابحاً وهنالك اقيمت لها المعامل والمدابغ الاّ ان الاميركان انتبهوا الى استصناع الفرو واتقانه فلا بدّ لهم من مناظرة الانكليز

واما مقادير الناتج من هذه الفراء فعظيمة حتى انه يقال ان الروس اخذوا من الجزيرة في سنة اكتشافها نحو مليوني جلد فامتلأ بها السوق وغصّ فانحطت الاثمان انحطاطاً بلغ بها الى ثمن ريال واحد · وظلّ الصيد جارياً عَلَى اهواء الصيادين حتى كاد يفنى النوع لولم تقم الحكومة الروسية وتضع من القوانين الصارمة ما يضمن له طول البقاء ثم تعطي احدى الشركات الروسية امتيازاً بحصر فيها استحصال الفرو من تلك الجزائر ولما صارت البلاد للولايات المتحدة جرت عَلَى منهاج الحكومة الروسية واعطت مثل ذلك الحصر لشركة اميركية سنة ۱۸۷۰ عَلَى انها اشترطت عليها ان لا يكون جملة ما تأْخذ في السنة زائداً عن مئة الف فرو والحق ان الشركة وفت بما تعهدت به بل لم تصل الى اتمام

المئة الف الاَّ في النادر ولعلها لم تصب من العجول عدداً كبيراً لان وجودها بين صخور الجزيرة قلَّ عن الاول قلةً ظاهرة وعوضاً عن ان يتابها في السنة الالوف المؤلفة كما كانت في الماضي اصبح العدد الحاضر منها في عقود الميئات. والباحثون يظنون ان هذه القلة مسببة عن تفضيل معظم العجول البقاء في البحر فاذا قصدها الصيادون اليه ونازلوها فيه يقتلون منها عن غير هدىً لانهم لا يستطيعون التفريق بين الذكور والاناث

وعادات هذه العجول غريبة جداً وفي دراستها فائدة عَلَى ان الباحثين لم يهتدوا حتى الآن مع كثرة ما راقبوا من شؤُونها الى المواضع التي تأْتي منها في الربيع واوائل الصيف ولا الى الاماكن التي تمضي اليها في الخريف. ولذلك يغلب عَلَى ظن بعضهم انها تبحر في الاوقيانوس الباسيفيكي الى جنوبيه ولكنها لا تستقر عَلَى برٍّ لان البحر موطنها الطبيعي

ومما راقبه القوم انه متى ذابت الثلوج عن ارض الجزيرة قدمت اليها الذكور المسنة وشرعت تختار لها بين صخورها المأْوى الذي يلائمها في الصيف وقد يحدث لها من جراء ذلك خصام ونزاع بين بعضها ومتى استقرت هذه الذكور في منازلها جاءَت الاناث. ويغلب في سكناها ان تقيم زرافاتٍ مع بعضها تحت عناية الذكر كأَنها حرمه وعدة افراد الحرم تختلف من الستة الى العشرين

ومتى استقرت الاناث في منازلها بدأَت تلد صغارها ولا تضع الواحدة الاَّ فرداً وبعد الوضع ببضعة ايام تمضي الام الى البحر لتلتمس منه طعامها ولا تغيب طويلاً حتى تعود ومن الغريب انها تذهب تاركةً جروها بين الاجراء

الجمة التي تبلغ الالوف عدًا حتى اذا رجعت عرفته من بين سائر الاجراء · ولا تزال الام تذهب الى البحر لتصيب رزقها من صغار سمكه غير ان جوار الجزائر يصبح بعد حينٍ خالياً من فرائسها فتضطر ان تضرب في عرض البحر وتبعد عن مقرها نحو مئة ميل ولهذا تطول سفراتها وتبعد عن اجرائها · ومتى بعدت عنها لم يبقَ من يذود عن الصغار فيغتنم الصيادون الفرصة السانحة لاقتناصها وثمت امرٌ آخر هو ان حظر الصيد في الجزيرة الاَّ علَى رجال الشركة ولحسابها يمتد مسافة ثلثة اميال في البحر حولها فالصيادون الاجانب كانوا يقفون في ما وراء هذا التخم ويترصدون ما يمرّ بهم من العجول فيقتلونها ومنها كثير من الامهات بل ربما كان معظم قتلاهم منها لانها هي التي تبعد في طلب القوت · ومتى ماتت الام لا يجد جروها من يقوم علَى اعالته لان كل امٍ تعيل صغيرها فيموت جوعاً ان لم يمت صيداً · اما الذكور المتزوجة فمتى دخلت الجزيرة للاصطياف بين صخورها لا تعود الى البحر الاَّ نادراً حتى تحين الرحلة منها في ايلول · وهي في غضون اقامتها الشهور في البريكاد يأخذها الجوع فتصبر علَى آلامه وتهزل اجسامها ولا تبالي الاَّ بالبقاء محافظةً علَى ما احتلت من المنازل · وانها انتظل قائمةً حواليها اناء الليل واطراف النهار حاميةً حمى مساكنها وكلما شعرت بما يزعجها صاتت وكشرت عن انيابها وابدت نواجذها وانها بالرغم عن كبر جثثها تراها اذا اقترب من مرابضها بشر او حيوان آخر او فرد من افراد نوعها نهضت واسرعت اليه سرعةً هائلة لا يتمكن معها من الرجوع الى الوراء قبل ان تلحق به · ولطالما راقب المراقبون اقتتال العجول بعضها مع بعض فوجدوها لا يثني واحدها عن ساحة القتال حتى يضرّج احدهما بالدم او يلحق به العطب

ومما اهتمت له الحكومة الاميركية كل الاهتمام خيفةً عَلَى النوع ان ينقرض او يقل بصيد اناثه في عرض البحر انها جعلت تراقب الصيادين حتى في ما وراء الثلاثة اميال عن البحر — واولئك الصيادون من الاميركان انفسهم ومن الكناديين وغيرهم وهي تدعي ان هذه العجول ملكها المطلق لا يشاركها فيها احد من الناس ولذلك لا تسمح بصيدها لكل من اراد وفي كل مكان شاء ولذلك جعلت بوارجها تراقب وتقبض عَلَى السفن الصيادة وتطاردها ولم تكتفِ بما فعلت في المياه القريبة من ثغورها بل حاولت ان تحظر الصيد في بحر بيرين

اما الامم الاخرى فلم يرضها مناهضة اميركا لصياديها الى هذا الحد ولذلك قامت حكوماتها تنكر عليها فعلتها واشد ما كان من الخلاف عَلَى ذلك بينها وبين حكومة كندا وبما ان هذه الحكومة خاضعة لدولة انكلترا قامت المراسلات بين الدولتين عَلَى ساقٍ وقدم واحيل الخلاف لمجلس تحكيم يُعقد في باريز فنظر المحكمون في الامر وحكموا عَلَى الولايات المتحدة ان دعواها بتفردها في الصيد غير جائزة ولكنهم جعلوا لكل امةٍ تخماً من البحر تنتهي عنده سلطتها وهذا التخم جعلوه ستين ميلاً عن البر الخاضع لها وان تقام سفن خفارة من قبل الحكومتين الاميركية والكندية فتمنع الصيادين من تجاوز التخوم الاَّ ان هذا الحكم الذي يخضع له الاميركيون والكنديون لا ينفذ في غيرهم من ابناء الامم الاخرى لانهم ينكرون عَلَى الحكومتين هذا الحق فترى صيادي اليابانيين لا يحجمون عن تجاوز الحد متى ارادوا

ولقد كان الصيادون في زمن انخفاض اثمان هذا الفرو يأْخذون اجرتهم عَلَى معدَّل ريال ونصف عن كل حيوان قتلوه فلما ارتفعت الاثمان (من ٩ ريالات

الى ٢٢ ريالاً او اكثر) ارتفعت الاجور ايضاً فصارت خمس ريالات عن كل فرو

ونقص العجول اضرّ بالشركة صاحبة الامتياز واقل من ارباحها لانها تكاد لا تستحصل في هذه السنين المتأخرة اكثر من عشرين الفاً فرواً . وكانت الحكومة الاميركية تستوفي رسماً سنوياً من الشركة مقداره ستون الف ريال لانها اجيز لها استحصال مئة الف فرو فلما لم تصب هذا القدر خفضت الحكومة رسمها السنوي الى ١٢ الف ريال ومع ذلك ظلت الشركة لا تجني نفعاً لان مصارفها فاحشة ولان الصيادين في البحر يستحصلون اكثر مما ينتج لها

وانخفاض عدد العجول التي ترتاد الجزيرة سنة بعد سنة افضى ببعض الكتبة الى ان ينصحوا حكومة الولايات المتحدة ان تمسك عن ايجار الصيد مدى بضعة سنين بعد انتهاء المدة المعطاة للشركة ففي خلال هذه الفترة تعود الكثرة والوفرة ويجنى من هذه الحيتان شيء كثير وانهم ليؤملون ذلك قياساً على ما كان في زمن الروس . فقد ورد ان بلغت قلة صيدهم سنة ١٨٣٤ مبلغاً منخفضاً الى ثمانية آلاف ليس الا فامرت حكومتهم بمنع الصيد من الجزيرة والبحر وتمادت فيه حق بحر بيرين وظلّ هذا نهجها مدى ٣٣ عاماً حتى باعت القطر . فلما وضع الاميركان يدهم عليه وجدوا الحوت قد تكاثر كثرةً فاحشة اذ عدوه حوالى اربعة ملايين

فما تقدم يتضح جلياً ان تجارة الفرو قد قلت فائدتها سيما وان القوم العاملين انصرف معظمهم بما لديهم من القوى العاقلة والماديات لاستخراج الذهب والبحث عنه . واصابوا فيه نجاحاً رنّ صدى شهرته في العالم واستلفت اليه

الانظار حتى اصبح الناس لا يتصورون عند سماع اسمي الاسكا وكلونديك الا انهما منجمان عظيمان يتدفق منهما الذهب كمن افواه القرب · والحال ان هذا المعدن النفيس ليس كلما وعت تلك البلاد من الخير ولا هو الشاغل الوحيد لنزلائها · ولقد رأى بعض الباحثين ان ثمت من الاعمال ما يدر علَى المشتغلين بها خيراً اوفر من الذهب · واعظم هذه الاعمال صيد الاسماك فهي علَى ما يقول المحققون تشغل من الاموال المقادير العظيمة التي تربو علَى رؤوس المال المعدَّة للذهب فتدر عليهم من الريع قدر ما يكسبون من الذهب او اكثر وكانت كولومبيا ونهر فريزر وخور بوجث محسوبة اهم مصائد السمك المعروف بالسلمون او حوت سليمان ولكن الحقيقة هي ان كل سواحل كولومبيا البريطانية وشطوط الاسكا الجنوبية والجنوبية الشرقية والجهات المحيطة بنهر اليوكون كل هذه الاقطار مملوءة بحوت سليمان وغيره من انواع السمك الفاخر · بل ان في كل نهرٍ او ميل ماء جارٍ من البحيرات الداخلية تجد حوت سليمان كثيراً جداً حتى يكاد يسد المجرى سيما في زمن فقسه

وصيادو الاسماك يعرفون هذا ويقصدون تلك المواضع وانهم ليلقون الشباك ويصطادون المقادير الكبيرة وبعض شباكهم طويل جداً يبلغ الالفين الى الثلاثة آلاف قدم في عرض نحو عشرة اقدام ومتى القيت مثل هذه الشبكة تمتلىء بالسمك فتحتاج الى قاطرة بخارية لجرها ويستخرج السمك منها ويوضع في سلالٍ في القوارب ليبقى الماء متصلاً اليها

ويغلب في مثل الشبكة الطويلة ان تصيد من ١٢ الف الى ٢٠ الف سمكة — ومتى غصت القوارب بحمولها اتجهت صوب المعمل واخرج السمك

منها اليه فيشرع العملة في تقشيره وقطع رؤوسه واجنحته وزعانفه واستخراج احشائه وتنظيفه ثم يقطع ويعبى في علب صغار من التنك وتعبى العلب في الصناديق · ومعظم هذه الاعمال تقضى بالآلات · وبملء السرعة والعملة الذين فيها اكثرهم من الصينيين وقد صار لهم مهارة وخفة يدٍ في العمل · حتى انه يقال ان البارع منهم يقرع على العلبة عند انتهاء سدها فيعرف من الصوت اذا كانت محكمة الغلق او لا ·

ومتى انتهت تعبئة الصناديق صارت معدَّةً للشحن · ومما يُذكر ان معظم المعامل تصطنع ما يلزمها من العلب والصناديق في مصانعها الخاصة · واغرب من هذا انها كلها مجهزة باحسن الادوات الحديثة والالات البخارية ومن جملتها آلة تضع في كل علبةٍ المقدار اللازم من الملح لتملح السمك ومتى تمت تعبئتها تهز العلبة بحركة واحدة تكفيها لايصال القدر اللازم من الملح الى كل سمكة من الاسماك التي فيها

والعملة اللازمون لصيد حوت سليمان ومعالجته يؤخذون على الغالب من الولايات المتحدة وفيها على ما يعلم رجال من اممٍ شتى ويعطون ٣٥٠ ريالاً اجرة عملهم في الفصل المناسب ويقدم لهم الطعام والمبيت واجور النقل من الولايات المتحدة واليها

ومن اكلة هذا السمك قوم في الهند والصين واليابان لا يهمهم منه ان يكون معبىً في التنك بل يرتضون ان يصل اليهم مملحاً فينالون منه ما يريدون مجففاً مملوحاً ومعبى في براميل كبيرة تسع الالوف منه ويغلب في ما يعد منه للهند ان يقدد ويدخن حتى يقتم لونه فيضارع المجفف الذي يأكله الوطنيون

مغموساً بزيت عجل البحر

ومن غريب طبائع هذا السمك انه لا يفقس الا في الماء العذب ومتى نقف عن صغاره ذهب بها الى الماء الملح . الا ان الباحثين لم يهتدوا الى المواضع التي يأتيها ولا فقهوا شيئاً عن عيشه فيها مدى خمس او ست سنين يحسبونها المدة التي يقضيها بعيداً عن الماء العذب ولكنه متي اراد ان ينقف عاد الى الانهار فغصت به مجاريها . وانما يحسبون ان هذا السمك لا يتوالد الا متى بلغ السادسة او السابعة من عمره ولذلك يأتي جماً كبيراً ذكوراً واناثاً الى مجاري المياه العذبة محمولاً اليها بفطرته

ولكن متى خرج من الماء الملح وبلغ العذب انحط شأنه لان المادة الملحية قوام عيشه ولا يلبث ان يفسد نوعه وتصبح ذكوره وقد اصطبغت بالاحمر الارجواني وتظهر بقع عَلَى ظهورها وجوانبها وبعلو معاطسها نتوات بيضاء هي دليل انحلال اجسامها . ولذلك تسرع في العودة الى مياه البحر المالح فان بلغته في الحين اللازم نجت والاَّ ماتت

ومتي حانت لاناث هذا السمك ازمنة وضع بيوضها حفرت بمعاطسها في الرمل نقراً وباضت فيها — وبيوضها تكاد لا تحصى حتى ان عدد ما ينقف منها لا يزيد عن عشرة بالمئة من البيوض . وسائرها يذهب ضياعاً لما يطرأ عليه من الافات

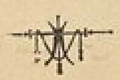
ومن خصائص سليقة هذا السمك انه بدخوله الانهار لا يقصد مجاريها لوضع بيوضه عَلَى جوانبها بل يتطلب الاعالي اي ينابيعها وهنالك تقام اهم المعامل لصيده . عَلَى ان الحكومة فرضت عَلَى صياديه ان يعطلوا العمل في مدى فصل

الصيف ستا وثلاثين ساعة في كل اسبوع ليتسنى بها وصول جماهير السمك الصاعدة في الانهر صوب الاعالي . وان تلقى عوض كل سمكة بالغة تصطادها عشر سمكات صغيرة . لتعوض عن المفقود فلا يبيد النوع وتخسر البلاد منافعهُ مع ذلك لا تعمل الشركات كلها بهذا الامر بل تتجاوزهُ لانها اذا عملت بهِ انفقت من مالها كثيراً .

وتضرب الحكومة عَلَى صيادي هذا السمك مكساً يعادل واحداً في المئة فيبلغ نحو تسعين الف دولار في السنة . وترى بعض الناس يطالبونها بانفاق هذا المال عَلَى تنشئة النوع وتكثير افرادهِ وانها اذا لم يكفها المكس فلتزد مقداره فيستوي في احتماله كل المنتفعين من الصيد

وقيمة الاموال الموضوعة لادارة هذه المصائد تبلغ ٢٥ مليون دولار وثمن المصانع يناهز الستة ملايين ونصف وقد صدر منها سنة ١٩٠٣ نحو مليونين وربع من الصناديق المملوءة سمكاً ثمنها ثمانية ملايين ونصف دولار . وهذا الصنف وحده يزيد ريعهُ السنوي زهاء المليون ونصف من الدولار عن الثمن الذي باعت به روسيا القطر كلهُ

وليس حوت سليمان هو السمك الوحيد الذي يجني نفعه من الاسكا بل ثمت انواع جمة يستدر منها الخير الجزيل ولكنها لم تنل حتى الآن كل العناية بشأنها وسيأتي وقت ليس بالبعيد يكثر فيه صيد القد والهرن وغيرهما من سابحات البحار ومن يعش يرَ



الفصل الخامس

« سكان القطر »

مرَّ بنا ان اهل الاسكا من اصل اسيوي كما تدل عليه بعض عاداتهم وصناعتهم الا ان ذلك لم يكن في عصرٍ قريب بل ربما كانت هاجرتهم الى القطر في الزمن السابق لعهد التاريخ · واذا صحت نسبتهم لاسيا فانما قدموا منها مجتازين بوغاز بيرين وهو جمد · وعدة السكان بحسب احصاء سنة ١٩٠٠ تناهز ٣٣ الفاً وهم منتشرون في طول القطر الواسع وعرضه الان معظمهم في جنوبيه ·

الا ان مجيء الشعوب المتمدنة الى الاسكا وتهافتهم عَلَى ذهبها سيما في سنة ١٨٩٨ وسنة ١٨٩٩ قضى بفقد العدد الكبير من هوءلاء الاصليين · فظهر مبداء بقاء الاصلح في اجلى مظاهره · وكان ظهوره فيهم شوءماً عليهم لانهُ ورد ان اربعين في كل مئةٍ من السكان الاصليين في جوار المناجم بادوا وانقرضوا وهب كان هذا القول مبالغاً فيه فانهُ لايخلو من حقيقة · حتى ان السائح اينما ذهب في القطر يرى قرىً خلت من اهلها ومنازل قوم عفت اثارهم · ولا غرابة في ماقيل لان القطري الساذج لم يكن معتاداً عَلَى اسباب الراحة والترف والانغماس في معاصي المتحضرين فلما جاء هوءلاء استهوته الاغواء الجمة فحملته في تيارها لانه لم يجد من عقله قوىً راجحة تدفع به عن الشر ولا من دينه رادعاً ينهاه عن العمل ·

وحسبنا ما كان منذ بدء دخول الروس الى القطر فأنهم جاءوا اليـه مثقلين ببعض الرزائل وحملوا ايضاً شيئاً من الامراض والعلل فاناخت عَلَى الاهلين وفتكت بهم فتكاً ذريعاً· ولكن هوءلاء الروس كانوا البلاء الخفيف

أما الاميركان ومن تلاهم من الاوربيين فانهم اشد وطأة ٠

ذلك لان الروس افادوا من جهة واضروا من اخرى اما فائدتهم فبمعاملتهم الاهاين واستخدامهم والاتجار معهم بالفرو واما الاميركان فقد مرّ بنا انهم حظروا التمادي في الصيد ونظموا اصوله فبارت تجارة الفرو وبات الاهلون من جراء ذلك في ضيق الخناق وزادهم الحال ضيقاً وبلاءً بانهم خالطوا الدخلاء وقلدوهم في مناهجهم فاخذوا عنهم رذائلهم وامراضهم واسرفوا فيها فكانت عليهم وبالاً

ولا يراد بهذا الكلام القول بان الامم المتبربرة تخلو من الرذائل والفحش بل هي في فطرتها وجاهليتها اقل انغماساً ولا تجد السبيل للمحرمات ميسوراً فمتى تمهد الطريق اوغلت فيه لانه يستهويها ببهارجه فتقع في حبائله

∴

والاهلون اربعة صنوف ولو فسح المجال لافضنا في الكلام عن كل منهم حتى نأتي عَلَى وصفه العلمي

فالصنف الاول هم سكان القطرين الشمالي والشمال الشرقي وكلهم من الاسكيمو ولهم شبه قريب ببعض الشعوب الاسيوية سيما اليابانيين

الصنف الثاني ٠ سكان جزائر اليوت

الصنف الثالث اهل الداخلية ويعرفون باسماء شتى منها الانويتس والتيناس والاتاباسكانس

والصنف الرابع عَلَى الساحل الجنوبي وفي جزائر الارخبيل وهم جماعات شتى يغلب عَلَى مجموعها اسم ثلنكت وبينهم اسباط من الشلكات والهيدا والتسميات

ومما يذكر ان ابعد هذه القبائل عن الحضارة واعرقها همجية هي اشدها

انساً واكراماً للغريب وحباً للضيافة مع ان الاسباط النازلة عَلَى قربٍ من تخوم الولايات المتحدة هي الاشدشراسةً والابعد عن السلام — ولا غروَ ان تكون كذلك فان في جوراها قبائل شديدة العداء لجيرانها قائمة عند التخوم الاميركية

غير ان هؤلاء الوطنيين الاصليين ليسوا كل سكان القطر بل هم النصف تقريباً واما النصف الاخر فمن الجنس الابيض · وعدتهم ثلاثون الفاً او يزيدون بعضهم من الولايات المتحدة الاميركية والبعض من غير قطر في اوروبا واميركا · وهم من اهل التمدن المعتادين عَلَى العمران والآخذين منه بالنصيب الوافر حتى كأن الاسكا بهم جامعة النقيضين

ووجود هؤلاء المتحضرين للتجارة والتعدين والجهد في ميدان اعمال الحياة لايحرمهم من وسائل الراحة فتراهم في المدن وسائر المراكز الهامة يمتعون بجميع معداتها · وعندهم البرد والتلغراف والتليفون وكل ذلك عَلَى قلةٍ ولقد شادوا المدارس الابتدائية لولدانهم فضلاً عما اسسوا لتعليم ابنـاء الوطنيين وفي بعض المدن العامرة منتديات للقراءة ومطابع وجرائد وغير ذلك من الاعمال التي يتفكه بها الناس ويتفقهون

ومن اعمالهم في هذا القطر ان شابين من نزلائه خطر لهما وهما قادمان اليه من سياتل في الولايات المتحدة ان دخول الناس الى هذا المهجر محفوف بالمكاره فاذا وصل المرء اليه سالماً معافىً لايجد نفسه الا غريباً لاسمير له ولا انيس فيأخذه الانقباض حتى يستأنس بمن يتعرف عليه من نزلائه · وما زالا ينعمان النظر حتى فتق لهما عقلهما ان يؤسسا جمعية تجمع ابناءهـا عَلَى الحب والولاء وتعقد بينهم اواخي الصداقة المحكمة وما وطئا البر حتى باحا بما قام في خاطرهما

فتأسست جمعية سرية عرفت باخوية المنطقة الباردة · وما لبثت ان ازهرت وامتدت حتى عمت فروعها جميع المدن في القطر بل لم يمضِ علَى نشأتها سنتان وبعض الثالثة حتى نشاء لها فرع في سياتل حتى اذا قدم البلدة المستر روزفلت رئيس الجمهورية يومئذٍ ادبت له مأدبةً حافلة نخطب فيها عن شؤون الاسكا خطاباً مشهوراً وكأن هذا الفرع في سياتل عبارة عن تهيئة المهاجر وضمه الى الجمعية بالتكريس بعد الامتحان ليتسنى له الدخول الى قطر الثلوج وهو علَى ثقةٍ من وجود الاخوان والاصدقاء الذين يعاملونه بالولاء فيخففون عنه مايجد من لوعة الفراق

ومن عادة هذه الجمعية انها تكرم العظماء بعضويتها الفخرية ومن ذلك ان فرعها في رامبرت ادخل الوفد الذى قدم الاسكا مفتشاً باحثاً في الشؤون ومعظم اعضائه من رجال مجلس الشيوخ الاميركي (السيناتو) وفيهم بعض الصحافيين وحملة الاقلام — وعقيب ادخالهم منحوا العضوية الفخرية للرئيس روزفلت وهو غائب عنهم لانه كان علَى كرسي رئاسته وعهدوا للوفد ان يبلغه ذلك

وللجمعية شارة يحملها اعضاءوها للتعارف في ما بينهم وهي زر من الصفر (البرونز) علَى شكل وعاء المعدنين محفور عليه حرفان انكليزيان مقتطفان من اسم الجمعية هما A. B. يكتبان في رأس الزر وتحتهما ثلث شذور ذهبية صغيرة

ومع ان هذه الجمعية مفيدة لاعضائها فانهم لو كانوا من الماسون اي البنائيين الاحرار لاغنتهم جمعيتهم المقدسة عن غيرها · لان الماسونية نبيلة الغاية واضحة السبيل لاتعتمد في سيرها القويم الا علَى الفضائل الدينية السامية

واداب الاجتماع العالي وتوجب عَلَى اعضائها ان يتحدوا يداً واحدة ويكونوا اخواناً في السراء والضراء وان يعملوا الخير ويمنعوا الجور والحيف وبالاجمال ان يحسنوا ويخلصوا ·

هذي هي الماسونية الشريفة التي تعشقها الملوك في منصاتهم والرؤساء من كراسيهم والوزراء والعلماء وسراة الناس لانها اظهرت لهم انهم بشر لا ينبغي لهم ان يترفعوا عن سائر الناس بل اوجبت عليهم ان يساووهم في الحقوق والواجبات ولئن كانت درجاتهم عاليةً ومكانتهم سامية · وهي هي التي هام بها وبمبادئها عامة الناس من كل ذكيّ الفؤاد حرّ الطبع طاهر الذيل · ولهذا عمت وانتشرت في كل مكان وضمت تحت لواء الانسانية الملايين · ولم يقم لمعارضتها الا الذين يرهبهم الاتفاق ويزعجهم النور ولا يريدون الانسان الا عبداً رقاً ·

فلو عدل نزلاء الاسكا اليها لاحسنوا صنعاً وكانت لهم زخراً وعوناً ليس فقط في ذلك المهجر بل في كل مكان قصدوه من المعمور

الفصل السادس

« رحلات المؤلف »

١

« الرحلة الاولى »

ليس من قصدي ان ادون في هذا الفصل كيف سافرت واي باخرةٍ ركبت ولا ما يلابس ذلك من الحوادث الطفيفة لاني احسب هذه الامور مما لا تأتي القاريء بكبير فائدةٍ وانما اقتصر عَلَى ذكر ما لقيت في اسفاري من

الاهوال وما تضمن الكلام عنها من الفائدة

قصدت الاسكا في جملة من قصدها للاشتغال بالذهب وجئت نوم وفي عزمي ان اقتحم ماشاء الله من المخاطر حتى ابلغ اربي . وكان اكتشاف الذهب حديث العهد بجوار نوم عند شاطيء البحر ولم يكن يطلب من العامل في استخراجه الا ان يصوله من بين الرمال فيكسب من عمله ما قيمته ١٠٠ الى ٣٠٠ ريال في اليوم .

فبلغنا ذات يوم ان بقاعاً من الارض تبعد عن نوم نحو مئة ميل صوب الداخلية وهي ملىء بالذهب وان من يكشفها اولاً يصيب ثروةً واسعة وغنى جزيلاً فخطر لي ان اذهب الى الموضع المسمى وخابرت بذلك صديقاً لي من المشتغلين بالذهب مثلي فارتضى وهيأنا من الزاد ما يكفينا موءنة اسبوعين ورحلنا . وكان الشتاء صارماً وبحر بيرين يجمد في اثنائه ويجلد تجلداً يحمل المارة عليه باثقالهم لان ثخن الجمد يكون غليظاً . فسرنا وليس بيننا وبين ماء العمق الهائل الا ذلك الثلج الجامد ومازلنا نسير حتى اخذ منا التعب والكلال ودنت ظلمة الليل البهيم وهي متى حلكت في تلك الاصقاع اعمت العيون عن النظر الى الامام ولو بضعة اذرع . فاقمنا حيث وصلنا واكلنا من الزاد ماتيسر ثم التففنا بثيابنا واستسلمنا للذة الرقاد فما مضى علينا الليل ونحن نيام لانا قبل الفجر قمنا مزعورين لهول ماسمعنا من دويّ الرعود ثم ابصرنا البرق يلمع فيخطف الابصار وعلَى نوره رأينا الجو متلبداً بالغيوم الكثيفة فلبثنا لانبدي ولا نعيد منتظرين الفجر ومستسلمين لحكم القدر فلما لاح زاد الهول لان العواصف من وراء الغيوم كانت شديدةً .

ويالله من ساعةٍ رأينا فيها علَى نور الصباح ان ماخفنا حدوثه في الليل الحالك تمَّ فعلاً . ذلك انا وجدنا الثلج الذي نحن عليه لم يكن الا قطعةً واحدة لاتزيد عن الميل وانها انفصلت عن سواها فصارت في البحر كأَنها التاوف وخفنا انها تزداد تفككا حتى يقل تجمعها وشدتها وتذهب بما يحملنا من جمدها الى قاع البحر .

الى اين المفر من هذا الموقف الحرج؟ وهل في اليد حيلة؟ فجلسنا كالمأخوذين نندب حظنا في سرنا . واذا نحن نشعر بقطعة الثلج التي تقلنا سائرة بنا فصدق حزري انها صارت طوفاً يدفعها التيار وخفت ان تنقطع اوصالها فيصدق حزري الاخر ايضاً وقبل ان اسر بفراستي الجديدة اراني قد صرت طعمةً للحيتان

اجدني الان اكتب هذه التصورات بصورةٍ اجمالية لكنني مهما احسنت في سردها لايمكنني ان اجعلها تدل علَى ما كان من حقيقة حالي في تلك الساعات الطويلة . فقد كنت علَى ابواب القبر العظيم الفاغر فمهُ ليبتلعني ولم يكن رفيقي اقل مني خوفاً واضطراباً فكنا تارةً نشكو حالنا وطوراً نعود باللائمة علَى انفسنا لركوبنا الخطر واحياناً نلجاء الى السكوت لانه علامة الحزن الشديد .

اقمنا علَى هذه الحالة التعيسة كل النهار ونحن لاندري الى اين المسير فلما اظلم الليل زاد بنا الكرب ولكننا اردنا التخلص من الافكار المقلقة والبلبال العظيم بالنومِ فما زار اعيننا الكرى . وظللنا علَى حالنا المشوم حتى لاح الصباح فشرعنا نتلفت ذات اليمين وذات الشمال واذا نحن ندنو من جزيرةٍ عرفنا بالفكر انها من جزائر سيبيريا لان موقعها منا الى الشمال . وعندها وقفت بنا

قطعة الثلج فطفرنا سروراً وعزمنا ان نلجاء الى بر الجزيرة ونقيم فيها حتى تتيسر لنا العودة منها · وللحال اسرعنا نحوها ولكن قبل ان نبلغ الى طرفها شعرنا بتغير الريح وما لبث ان عاد التيار فجرف الثلج الذي نحن عليه الى المكان الذي خرجنا منه فبلغناهُ سالمين

٢

الرحلة الثانية

ان من خصائص طلاّب الذهب انهم اذا قضوا وطرهم في بقعةٍ من الارض تاقت نفوسهم للمزيد وتطالت عناقهم لتنسم اخبار المكتشفات الجديدة ليصيبوا من كل تربةٍ تبراً ويكون لهم في كل عرس قرصاً كما يقول المثل ولذلك قلما يستقر رغابه في ارض ولو افاضت عليهم سحاب جودها وملاءت جيوبهم ثروةً ويساراً

ولم اكن من الذين يشذون عن هذه القاعدة التي كادت تكون مطردةً بين المشتغلين بجمع التبر لاني طمعت في المزيد ورغبت في الطواف فكان اجتماع الرغبتين دافعاً بي الى اقتحام الاهوال · حتى اني لم اكن ارتاح من سفرة واسكن الى ما فيها من العمل حتى يقوم في ذهني ان اقصد بقعةً اخرى

ولم اكن ممن يستطيع السير ماشياً عَلَى القدم بين تلك الثلوج المتراكمة والمياه المتجمدة فاخترت ان اعمل عَلَى شاكلة السياح المقتدرين بان اتأهب للسفر عَلَى مزلجةٍ تجرها الكلاب واعددت كلما يلزمني من طعام و كساء يقيني لازعة البرد وخيمةٍ آوي اليها متى نزلت للمبيت وعلفٍ كافٍ للكلاب لكي تقوى عَلَى جرّ المزلجة وسرت اقطع تلك الفيافي الجامدة احث الكلاب لتجهد

ذواتها بالجر فتسير الى الامام

وما زلت اضرب في تلك البيد ولا اجد فيها سميرا او انيسا بل لا ارى على مدى النظر سوى ثلوج متراكمة وجمد متصل واكام كسيت حلة البياض وسهول متسعة تساوت بالرغم عن تضاريسها فصارت منبسطاً لا يتخللها ارتفاع او انخفاض اللهم الا ما كان من تل او وادٍ وكلها لابسة بياضاً ناصعاً يبهر النظر وليس فيها من انسان او حيوان داجن بل لا يسرح في جنباتها الا ضاريات الوحش او يطير في جوها الا جوارح الطير

وما زلت اسير بمزلجتي حتى اري التعب قد اخذ من الكلاب ماخذه فاقف لتستريح وتأكل علفها ثم اوالي الزحف حتى ارى النهار قد مال واخشى الظلمة وادمان السير فيها في تلك المجاهل من الارض فاقف في مكاني واحل الكلاب من المزلجة فاطعمها واختار لي موضعاً انصب فيه خيمتي . فآوي اليها واتقي بها لذعات البارد القارس . واترك الظلام يخيم في ظاهرها ماشاء وحلك وانام مرتاحاً من عناء السفر حتى يلوح الصباح بنوره وتعود المناظر البديعة فتتجلى لناظري ساعتئذٍ اعود الى مزلجتي واسير

وفي ما كنت سائراً ذات يوم وقد قطعت مسافة طويلة من غير ان تقع عيني على بشرٍ رايت عن بعدٍ دخاناً يتصاعد من الارض ثم يضيع في السحاب فاستبشرت باقترابي من الناس وادهشني في بادىء الراي امرهم ثم تذكرت انهم ربما كانوا من الهنود الوطنيين — فما لاح لي ذلك حتى اتجهت صوب المكان وعجلت سير الكلاب فما طال بي الامر حتى صرت اليه

فاوقفت مزلجتي على مقربةٍ ومشيت نحو ما لاح لي واذا هو بيت هندي

مبني من غصون الشجر في الداخل ملبس من الظاهر بالتراب المجبول بالماء ومن حوله حفرة عمقها نحو خمسة اقدام . فلما رءآني القوم هبوا للقاءي وترحبوا بي مظهرين الارتياح والسرور وشرعوا يلحون علي بالدخول الى بيتهم بقصد التعرف بجميعهم والجلوس معهم حيناً فاجبتهم الى ما ارادوا ودخلت كهفهم واذاهم يبلغون زهاء الاربعة عشر شخصاً من رجال ونساء واولاد بعضهم جالسين متربعين وغيرهم القرفصاء واخرين متمددين — ورأيت منهم من اقام عَلَى الارض لايحول بينه وبينها ستر ومنهم من افترش الجلود ومذ دخلت عليهم واومأت بالسلام نهضوا يحيون ويرحبون وعلامة البشر بادية عَلَى وجوههم — ثم انبرى غير واحدٍ منهم وجاءني بجلد كبير ذي زغب كأنهُ الفرو وبسطهُ عَلَى الارض واشار اليّ بالجلوس عليه

ولا اكتم القارئ مقدار مسرتي بهؤلاء القطريين ووجودهم في ذلك المكان القفر واستئناسي بهم فشرعت احدثهم بلغة البشر العامة اريد بها الاشارات لان فهم لغتهم الناطقة كان عسيراً عليّ ذلك لان لهؤلاء القوم لغةً ينطقون بها ويتفاهمون وهي تختلف عن غيرها من لهجات سائر الهنود اختلافاً يعسر عَلَى الغريب ان يفقه منه مايريدون . وقد تبين لي ان الالفاظ التي يعبرون بها عن مقاصدهم قليلة ضعيفة حتى انها لتقصر عن الاحاطة ببيان حاجياتهم — مع ان حاجياتهم قليلة جداً لانحطاطهم بين المجتمعات وضعف علاقاتهم وبعدهم عن المعمور — فهم يعوضون عن قصور لغتهم لاداء المعاني التي يريدون بمرافقة نطقهم بالاشارات لبيان مقاصدهم . ومن كان هذا حالهم من النطق لايرجى منهم ان يكونوا اقرب الى الانسان منهم الى الحيوان .

ومع انهم على ماوصفت فاني رأيتهم صناع اليدين يأتون الاعمال الدقيقة والجليلة بمنتهى الاحكام كما عرف عن غيرهم من الفطريين — وما جلست اليهم حتى اومأت اني اريد ان ارى مصنوعاتهم فلبوا بملء الارتياح ونهضوا وجاءوني بالشيء مما يصنعون . من ذلك قطع من عظام الحيوان والسمك والحيتان وعليها نقوش بديعة محكمة دقيقة الصنعة من رسوم حيوانات وغيرها مما لو رآها غريب لايعرف مصدرها لحكم انها من صنع قوم راقين في سلم الحضارة — لانهُ لايتصور ان هذا الفطري الساذج يبدع في الرسم والتصوير حتى لاتفوته دقيقة من ملامح المرسوم وخصائص مواقفه . فيجيء صنعه شبيهاً بالطبيعي كأنه اياه .

ولقد فهمت من هؤلاء القوم ومن غيرهم من الهنود ومعاشريهم ان الانسان اذا اراد عملاً يتسلى به او يظهر عليه اثر صناعته قضى في عمله واحكامه السنة والسنتين وربما اكثر حتى يجيء محكماً يحفظ في العائلة اثراً لصانعه الحاذق

وما ذلت اقلب النظر بين طرف صناعاتهم واعجب من امرهم حتى حان لهم ان يأكلوا العشاء فقلت في نفسي لقد سنحت لي فرصة اراهم فيها يأكلون طعامهم في بيتهم وهي فرصة قلما تسنح لمثلي فظللت جالساً مكاني واذا بهم قد جاءوا بشيء من السمك المقدد ووضعوهُ في وسط البيت ثم اتوا بقصعة واسعة فيها مقدار من زيت الحوت والتف اهل البيت حول الطعامين وشرعوا يأخذون من قطع السمك و يغمسونها بالزيت ثم يأكلونها وما زالوا كذلك حتى شبعوا ثم جاءوا بشراب من عشب بري يشبه الشاي يغلونه فشربوا منه

حتى ارتووا وعند ذلك اذن عشاءوهم بالانتهاء فنهضوا عن الطعام وعادوا الى مجالسهم كما كانوا

فلما قضيت وطري من التفرج عَلَى جلوسهم للأكل نهضت عائداً الى خيمتي وثمت هياءت طعامي فأكلت ونمت مرتاحاً الى الصباح فلبست ثيابي ورجعت لزيارة هؤلاء الاصدقاء فلقيت منهم ترحاباً — وعدت فطلبت اليهم بالايماء ان يعرضوا عليَّ مصنوعاتهم ثانيةً لاني خطر لي ان اختار شيئاً منها احمله معي الى العالم المتمدن كتذكار سفري هذا · ذلك لاني عرفت مقدار اعجاب المتحضرين بهذه الاثار النفيسة سيما وانها قلما تنال لان الوصول اليها محفوف بالمكاره ·

فلبى القوم طلبي بملء الارتياح وجاءوا بالاعلاق النفيسة فعدت امعن فيها نظري حتى تبينت قطعة من العاج الفاخر مصنوعة صنعاً جميلاً لما نقش عليها من صور الحيوانات والاسماك والطيور و بعض البيوت وكلها غاية في الاتقان فاعجبت بها واومأْت برغبتي في احرازها وانها ان اهديت اليَّ اعطي القدر الذي يطلب بها فبرز من الجمع رجل واشار انها له وانهُ يحزنه جداً ان يرفض طلبي باستهدائها منه لانه لايقدر ان يجيبني الى مااردت لان الطرفة من صنع ابيه شيخ القبيلة وقد قضى في عملها عشرين سنة وخلفها له ارثاً ·

فلما سمعت هذا اظهرت الاسف وبداءت اعرض عليه المال فلم يجبني الا بالضحك فظننته استقل القدر الذي اعطيت وجعلت ازيد له وهو يزداد ضحكاً واخيراً اشار اليَّ باني مهما اعطيتهُ لاانال الارب لان لاحاجة له بالمال ولئن كان لم يسبق لهُ ان رءاه من قبل

وحدث انه رأى ماصحبت معي ومن جملتها بارودة صيد فاعجب بها ولم يفقه اي شيء هي واذ مرّ بنا طير صوبت واطلقت عليه النار فاصبته فلما رأى صاحبي ما كان طفر سروراً وابتهاجاً وشرع يرقص اظهاراً لارتياحه ثم سألني فبينت له سرّ اطلاق البارودة وكيف يوجه الطلق الى الرمية فاعجب وادهش واسرع فاتى بما صنع ابوه وباشياء اخرى من الطرف ووضعها في حضني واشار اليَّ انهُ يعطيني ما جاء به بديلاً من البارودة فارتضيت وتمت صفقتي الرابحة

يدلك هذا الحادث ان الفطريين هم الذين يغررون بانفسهم في الاتجار بالمقايضة اكثر مما يغرر بهم المخادعون. لانهم تستهويهم الصناعات الغريبة اكثر من النقد. وحسبك اني عرضت في ثمن الطرفة الصناعية ثمناً يزيد علَى الاقل ثلاث مرات عن ثمن البارودة

ثم ان اولئك الهنود شرعوا يقدمون لي الهدايا من الفرو طالبين اعطاءهُ ما بقي معي من البارود والرصاص فارتضيت وتبادلنا

كل هذا وقد اشار اليَّ هوءلاء القوم عن مكانٍ بعيد في ما وراء المنطقة الشمالية المتجمدة لايخلو من الذهب فازجيت اليها الركاب وسرت حتى دنوت من المنطقة الشمالية والارض منبسطة امامي بثلوجها الناصعة البياض فراءيت علَى جانب الطريق رجلاً جالساً ولكنه لايبدي حراكاً فللحال اوقفت مزلجتي وترجلت منها وقصدته وكلما دنوت منه يلوح لي مظهره كأنه اخذه التعب فجلس يستريح وما زلت كذلك حتى دنوت منه فتبينته شاباً دون الثلاثين من عمره فكلمته ولكني لم اسمع جواباً عندئذٍ اقتربت منه واذا هو جثة هامدة ! ! !

فاسفت لهذا المنظر كل الاسف وقلت يالله من مجاهدة الاحياء كيف

يمضي على كثيرين منهم قبل الفوز . وقلت في نفسي ماذا اعمل لهذا الميت واية خدمة استطيع ان ابديها في سبيل الانسانية وليس لي من يعينني على حمله وهب كان لي من يسعفني فاني بعيد عن الحضر مسافة لا تقل عن ٣٠٠ ميل فهل يستطاع حمله اليها ؟ ولا تسل عن حزني لتركه على حاله المشوم واطلاق العنان لكلابي لتسير بي في وجهتي وقد بقي علي لاجتيازها حوالى الاربعمئة ميل

تركت الرجل وشرعت افكر في انه ذهب في طلب ما انا ساع اليه ولكنه مات دون نيل ما تمنى . فلم تقعد بي هذه الافكار ولا رجعت بي الى الوراء بل كأنها كانت تزيدني ثباتاً واقداماً . ولذلك ادمنت السير والتلهي بما ينبسط امامي من المشاهد الرائعة حتى قطعت المسافات واجتزت الابعاد وبلغت موضع القصد او على قرب قريب منه

ولكن كان الليل قد دنا او كاد فنصبت خيمتي واقمت فيها الى الصباح حتى اذا لاح اتممت البقية الباقية من الاميال ووصلت سالماً معافى ثم شرعت ابحث فاصبت في الارض تبراً ووضعت يدي على بقعة من الارض بحسب الاصول المقررة بعد اذ اقمت هنالك شهراً من الزمن باحثاً مفتشاً — وانا وحيد لا رفيق لي في العمل الا رجل نروجي وجدته قد سبقني الى السعي والموضع فاصاب ايضاً

ولما ازمعت الرحيل تزودت ورحلت اقصد الحضر فسرت متكلاً على الله مسروراً بنجاحي حتى تجاوزت ثلث الطريق تقريباً وقد كاد يفرغ الزاد الذي صحبته وانا احث السير خيفة ان يذوب الثلج فلا اقوى على بلوغ الغاية بل احبس فاموت كما مات ذلك المسكين شهيد الثلوج

وفي ما كنت ذاهباً راءيت جماعةً من البيض يشتغلون في بقعةٍ من الارض باحثين عن الذهب فاستبشروا بوصولي ورحبوا بي وعلمت منهم انهم عازمون علَى البقاء لا يبرحون عملهم وانهم احتاطوا لذلك باستجلاب المقادير من من الزاد علَى الزحافات تكفيهم موءنة السنة كاملةً — ثم التفوا حولي يسألونني عن الموضع الذي جئت منه فأنبأتهم بما اعرف وبت عندهم تلك الليلة استأنس بهم ويستأنسون بي . وفي الصباح التالي اردت متابعة السير فمنعوني والحوا عليّ بالبقاء بينهم يوماً اخر انال فيه راحة من عناء السفر ويستفيدون هم علماً عن حال المكان الجديد فارتضيت بذلك سيما وان واحداً عزم علَى مرافقتي

فقضيت ذلك النهار وفي صباح تاليه هياءت زاداً يكفيني حتى بلوغ المحطة — وهذه المحطة هي احدى امثالها تبعد عن غيرها نحو خمسين ميلاً وانما يقصد بها تموين الذاهبين والآيبين فترى تجارتها رائجة وفيها مطاعم يأكل بها الناس ويوءدون ثمن الوجبة من الطعام خمسة دولارات واما المنامة فيتقاضون عليها خمسة دولارات اخرى ومتى بلغ المسافر احدى هذه المحطات تزوّد منها ما يلزم له من الموءنة حتى يأتي المحطة التي تليها

رحلنا في الموعد المضروب بعد اذ ودعنا هوءلاء الاصحاب الحديثين وشرعنا نعلو المرتفعات ونهبط الى منبسط الارض مدى ثلثة ايام متتابعة من غير ان نهتدي الى المحطة المقصودة .

ومما يذكر ان المشاهد العالقة في الذهن اختلفت في نظري عما رأيتها اولاً والسبب في هذا الاختلاف ان الثلج ذاب عن بعض المواضع فانجلت التربة للنظر الان المصيبة الكبرى هي انا نقلّ زادنا وضاعت علينا الوجهة التي نسير فيها فبتنا بين خوف الموت

جوعاً والضياع في سعة هذه الارض الفسيحة

وفي مانحن في اشد الويل والكرب لاح لنا من بعيد منظر بيتٍ هندي فاتجهنا بمزلجتنا نحوهُ واسرعنا السير حتى وصلنا اليه وفي نفوسنا امال النجاة والخلاص من البلآء ولكن ماكان اشد اسفنا ويأسنا حين رأينا البيت خراباً بلقعاً لاانس فيه فتصورت ان المنية صارت الينا اقرب من حبل الوريد واننا عَلَى وشك ان نتجرع كأسها المر في تلك البقاع المقفرة من غير ان يدري بنا احد او يسمع في ندبنا صوت باكٍ حزين

كل ذلك قام في خاطري ونحن عَلَى مقربةٍ من جبلٍ شاهق يكسوه الثلج فخطرلي ان اصعد الى القمة واستكشف ما حوله حتى منتهى الافق لعلي اجد بشراً او تقع عيني عَلَى مخيم او بيت وللحال تركت رفيقي عند المزلجة وذهبت في طيتي وحملت نصف ما بقي عندنا من الزاد تاركاً النصف الاخر لرفيقي · وما زلت اصعد في الجبل لاهثاً حتى كدت اسقط عياءً ولكني تجلدت فبلغت القنة · وما ارتحت من العناء طويلاً حتى نهضت اتطلع فلا ارى الاّ مناظر بديعة ومشاهد تأخذ بالقلوب ولكن هذة المرئيات لم تكن غرضي وما هي في نظري ساعتئذٍ الا كادوات العذاب او ككاس السم الناقع · حملقت عيني بكل جهدي لعلي ارى اثراً للبشر فانجو بحياتي ورفيقي من مخالب المنية فما نظرت شيئاً بل كان ما ارى هو سيف الجلاد القاسي مصلطاًعَلَى عنقي يريد ان يضربه غير مشفقٍ عَلَى شبابي ولا راحم بشريتي — تصورت هذه الخيبة بمنتهى شدتها فهالني امرها وكدت اقنط من النجاة ومن السعي اليه لرنة نعيه في قلوب ذويه ثم جهر بان له حبيبةً يحزنه فراقها وتمنى

لو انها تكلمه بكلمة واحدة من فمها العذب فتلطف من اشجانه او ان تقع عينه عَلَى حمرة خديها فيجني ورداً واقاحاً — ثم تأوه عَلَى تحسرها لبعاده وموقف وداعهما وتحريضها له عَلَى سرعة الاوبة غير حاسبةٍ لطمعه حساباً ثم شرع يخاطبها كأنها تصوَّرت له وخاف عليها ان تضحي صباها وجمالها عَلَى مذبح هواهُ الى غير ذلك من كلام العاشق الواله — فحزنت لحزنه ورثيت لحاله وزدت كربة ان امكن المزيد وربما كنت اتمادى في التأثر له لو لم اقل في نفسي انما العشاق كالشعراء يهيمون في كل واد ويلبسون احبتهم برد الكمال مما تصورهُ لهم المخيلة الملتهبة غراماً واعجب العجب فيهم انهم يدينون لسلطان الهوى حتى في الساعات الاخيرة من حياتهم · فما لي ولما يقولون ان في حالنا ما يكفيني شقآءً وعذاباً فحسبي المزيد

واخذت اندب سوء حظي بما وسعني من الكلام والفكر ·

ثم جلست مكاني ولجأت الى مراحم الله ليغفر لي اثامي ويعفو عني فما مرَّت بي الا هنيهةٌ من الزمن حتى شعرت كأني تقمصت من الرجاء ثوباً جديداً انهضني الى التطلع ثانيةً كأني لم اعباء بالاربع ساعات التي صرفتها في ذلك وشرعت اطوّف ذهاباً وجئة ومن نقطة الى اخرى واطلّ واحدق — فما رأيت شيئاً فعاودني اليأس سيما اذ شعرت ان عينيَّ كلتا من التحديق وعيل صبري فعلاً وكدت اسقط في حالة شوئم ولكنني استملكت رشدي ولذت ثانية بمراحم الله

ومالت الشمس للغرب فملت الى منحدر الجبل نزولاً الى رفيقي وما زلت اسير حتى بلغت اليه فاذا هو نائم كأنه لايشعر بما نحن فيه فايقظته وانبأتهُ

بخيبة المسعى وضياع الامل وان عملي وتحديقي وتعبي كل ذلك ذهب عبثاً فخاك هذا الكلام فيه وكأني جئته انعي اليه وجوده فاخذ يبكي ويشكو وينوح عَلَى صباه ويتوجع غير ان رفيقي كان قد تمادى في البكاء والنحيب وتعداد احزانه ومصائبه فهيج بي البكاء وما كنت صابراً عنه الا استسلاماً لامر الله تعالى · وما زلنا نسفح الدمع ونئن ونشكو حتى عاد الي الرشد فتمسكت بالصبر ومسحت دموعي واخذت اعزّي رفيقي واسكن مابه الى ان سكن جأشه وهداء روعه فاكلنا مما بقي عندنا من الطعام مانمسك به الرمق واضطجعنا فنمنا الى الصباح

ثم شغلنا عن الحزن وتجديده باعداد المزلجة والسير وكأن الامل الذي رأيناه خائباً بالامس قد عاود كلاً منا ولو قليلاً — ما اضيق العيش لولا فسحة الامل وانما وطنا نفسينا عَلَى مصابرة الكوارث واقتحامها بما بقي فينا من عزم وان نقابل الجوع بالصبر عَلَى اهواله ولا نستسلم لخوار العزيمة حتى لانجد من الموت بداً ولست لادعي ان هذا العزم كان عن شجاعة فانما اضطرنا اليه ظروف الحال وانا لم نجد عنه محيصاً ومن يركب الاهوال ويقع في ما صرنا اليه لاتكون شجاعته اختيارية ولكنها اضطرارية اوجبتها مرلعاة الحال فهي التي يصدق عليها المثل العربي مكره اخوك لابطل

سرنا وابعدنا عن الجبل ولم نجد اثراً للاحياء فكأنا في تيهٍ لاحدّ له ولا نهاية — مضى النهار علينا ونفدت بقية الزاد الذي معنا ولم نهتدِ الى ما نريد وبعد ان مضى علينا يوم وبعض الثاني رأينا ان نعود الى الجبل ونسلك منه طريقاً اخرى لعلنا بها نصيب فرجاً · عزمنا عَلَى هذه العودة لانا قدرنا الهلكة

في الطريقين فالاولى ان نسعى في السبيل القويم الموصل الى الغرض · فادرنا رؤوس الكلاب وسارت عائدة بنا ادراجها واجهدت نفسها بجر المزلجة بالرغم عن جوعها · حتى عدنا الى الجبل بعد فراقه بثلثة ايام او اربعة ونحن خلالها عَلَى الطوى ·

وما بلغنا الموضع الذي خرجنا منه الا وقد خارت قوانا وظهرت علينا اعراض الجوع فصارت ارجلنا متراخية لانقوى عَلَى حملنا وثقل سمعنا وقلّ اقتدارنا عَلَى الكلام لان كل قوانا انحطت وكادت السننا تلصق ولا تحرك وجفّ الريق وصرنا نشعر بالبرد ولو كان لباسنا مما لا تخترقه لذعاته اللافحة — كل هذا جعلنا نحسب ان ساعات وجودنا في الحياة صارت معدودة ·

فجلسنا عند سفح الجبل وقد اخذ منا التعب والكلال كل مأخذ ولم يبق لنا من حيلةٍ للتخلص الا بان نداوم السعي والسير لان الموت ونحن دائبان عَلَى النجاة من مخالبه اولى من انتظاره ونحن جالسان · فعزمنا عَلَى نمتمّا لمسير

وللحال نهضنا الى المزلجة وسرنا نطلب الطريق الذي بداءنا منهُ ويالله من صبر الكلاب عَلَى العمل الشاق فانها عملت كأَنها لم تشعر بالآم الجوع وبالتعب والجهد لاننا لم نعطها راحةً لا في الليل ولا في النهار ليتسنى لنا بذلك ان نخفض من مرور الايام علينا ونحن جياع فواصلنا الجهد وقد اعيانا حتى مرّ بنا يومان اخران وبلغت الروح التراقي لان صومنا بداء منذ ستة ايام ولم يبقَ في قوس الصبر منزع

وفي مانحن عَلَى اخر رمقٍ من الحياة وقد قطعت الامال وخابت المساعي لاحت منا التفاتة صوب جبلٍ هنالك فرأَينا شجرةً عند سفحهِ فادهشنا لمرآها

وقلنا كيف ظلت هذه قائمةً في القفر ؟ ورابنا امرها واتجهنا صوبها حتى بلغناها واذا هي كبيرة الحجم جداً فشرعنا نتأملها من جزعها الى اغصانها وللحال انحدرنا من المزلجة اليها وشرعنا نطوّف حولها لنتبين امرها واذا في جزعها نقرة ذات غلقٍ فرفعنا الغلق ودخلنا منهُ الى جوفها واحداً بعد رفيقه فرأيناها مجوّفة ذات سعةٍ وفيها موأنة من الدقيق وعلب اللحم القديد وغير ذلك من الزاد

فادركنا سر هذا وهو ان الذين يمتلكون الارض او يبحثون عن تبرها يضطرون حيناً بعد اخر للمجيء الى كنوزهم وانهم لوجودهم في مواضع بعيدة عن العمران يحتاجون من الزاد الى ما يكفيهم مدى السنة ولكنهم قلما يتمكنون من ايصال ذلك دفعةً واحدة الى الاماكن التي يقيمون فيها فيحملون بعضاً من الزاد مسافاتٍ من الطريق ويودعونها المواضع التي تقيها ثم يعيدون الكرة . ومتى امتلاء المستودع يذهبون الى موضع قصدهم وكلما اعوزهم الزاد التمسوهُ من المستودع .

فهذه الشجرة القائمة في ذلك المكان منفردةً عن امثالها انما نخرتها يد الزمان فكانت مستودعاً اذدخر فيه بعض العملة زادهم وكانت بها نجاة شابين من مخالب الموت جوعاً فسبحان الخلاق العظيم

راءيت ورفيقي ذلك الزاد ولمسناهُ بايدينا ومع هذا كنا لانصدق اعيننا لان الفرج بعد الضيق الشديد جاءنا فجأةً

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها * فرجت وكنت اظنها لاتفرج

وحقاً انا هاجمناها هجوماً — فتحنا العلب ونحن نكاد نبلعها بتنكها وخشبها وما اكلنا الا لقمات معدودة حتى خطر لنا ان الصوم الطويل اذا اعقبه الاكل

الكثير دفعةً واحد آذى واضر فامسكنا عن املآء الجوف واكتفينا بالتبلغ وحمدنا الله تعالى على وفور نعمته

وبما ان عزائمنا كانت قد وهنت قضت علينا الضرورة ان نلبث في ذلك المكان حتى تعود الينا العافية فاقمنا وكانت تمرّ بنا الايام ونحن نطوّف في الارجاء القريبة ثم نعود الى جوف الشجرة حتى عاودتنا العافية وزال عنا اثر التعب والجوع بعد مضيّ نحو اسبوعين فتجهزنا واخذنا من الزاد ما يكفينا مؤنة شهرٍ وحسبنا ثمن ما اكلنا وما حملنا وزدنا عليه قليلاً وجعلنا ذلك نقداً وضعناه في الموضع وركبنا المزلجة وسقنا الكلاب وقد عادت بعد الاعياء والجوع نشيطةً قادرة

عدنا نسير على الثلوج ولكنا لم نعد نجد منها ذلك الجمد الذي يسهل سبيل المزلجة لان الذوبان بداء فيها · سيما في النهار متى عملت الشمس واحتدمت حرارتها فانها تذيب الجليد في مواضع وتقلقل سائره · اما الليالي فانها قصرت ولفحات البرد فيها كعكس عمل النهار · فيصلب الجليد الذي بتراخى ويتقلقل في النهار · وبمقدار مايكون الليل في الشتاء طويلاً شديد الحلك محفوفاً بالمخاطر يكون في الربيع قليل الخطر لتماسك الجمد من برده · بعكس النهار فانه صار خطراً · ولذلك صرنا نكثر من السرى ونجعل النهار للراحة والنوم

وما زلنا نسير ونقطع المسافات ونرى الجداول والانهار والآكام والتلال تمرّ بها وتحول احياناً دون سبيلنا فلا نجد محيصاً عن الالتفاف حولها · كل هذا عاد بنا الى الحالة الاولى التعيسة فمرت الايام عشرون او تزيد والبلاء يتلاحق بنا وينقض علينا حتى اوشك الزاد ان ينفد ثانيةً واذا كان الله تعالى

قد يسر لنا النجاة بما وجدنا في قلب الشجرة مرةً فهل نعلق الآمال بمثل ذلك ثانيةً ؟

وبعد العناء والجهد رأينا نهراً كبيراً لا سبيل لنا الى قطعه فاتخذنا من الاشجار طوفاً وسرنا عليه ولكني قبل التمكن منه سقطت في النهر فجرني الماء الى شجرةٍ قائمة في الوسط فتمسكت باذيالها ونجوت

ثم اتممنا السير مشاةً حتى اشرفنا عَلَى محطةٍ هي التي اضعناها من الاول فسررنا ايما سرور واذ تقدمنا نحوها وجدنا من الماء قويَّ الحمولة يحول بيننا وبين المكان فشرعنا نسعى لايجاد سبيل اليه فما اهتدينا وفي آخر الامر قال رفيقي انه ماهر في السباحة معتاد عليها منذ نعومة اظفاره ولذلك اخذ قطعة من المرس فربطها بشجرةٍ نابتة هناك ومسك طرفها الآخر بيده والقى بنفسه الى الماء فنجا الى الشاطىء الآخر وركض مسرعاً نحو المحطة وما عتم ان عاد وقال انه وجد الباب مغلقاً ففتحه وطلب اليَّ ان ارمي بنفسي في الماء بعد ان اربط المرسة في وسطي وهو يسعفني بجرها ففعلت

ودخلنا المحطة فاوقدنا ناراً واصطلينا وصبرنا حتى جفت ثيابنا من البلل فقمنا فتشنا عَلَى ما نأكل فوجدنا دقيق الشوفان فمزجناه بالماء ووضعناه عَلَى النار ثم أكلنا منه الاَّ ان رفيقي كان جائعاً فاسرف في ما اكل فكان ذلك سبباً لتلبك معدته حتى اشتد عليه الامر ووقع في البحران ثم افرج عنه وتعافى وقص عليَّ مناماً طويلاً عريضاً ترآى له اثناء بحرانه

ولما تعافى رفيقي وكان قد مرَّ علينا في المحطة يوم كامل نظرنا الى صوب البابا فاذا برجل طاعن في السن تقدم ليدخل علينا وهو مندهش لرؤيانا ولكنه

طارحنا السلام وسألنا عن حالنا وكيف بلغنا سالمين الى ذلك المكان اذ ليس من السهل ان يطارقه طارق لتعذر اجتياز النهر اما هو فان له قارباً يسير عليه وقد عاد الآن من ايصال رجلٍ كان عنده واراد المضيّ لتفقد املاكه فكيف استطعنا نحن الوصول ؟ فشرعنا نقص عليه حكاية حالنا وهو يستزيدنا تفصيلاً وايضاحاً حتى كنا كلما توقفنا هنيهةً يتأفف من الابطاء عن سرد الحكاية ولما حان وقت المنام ونحن لم ننهِ روايتنا اردنا الانصراف فتلوى وتأوه وقال اني لا اقدر ان انام في هذه الليلة وكيف يغمض جفني وقصتكم نصب عيني والى غرائبها اتجهت بكليتي

وفي ما نحن نيام بعد نصف الليل بساعتين شعرنا بارق الرجل وانه يتمشى ولا يعطي لجسمه راحةً فنهضنا واكرمناه باتمام روايتنا

ولما ازف وقت رحيلنا انضم الينا الرجل الشيخ وركبنا الزورق وقطعنا النهر الى الجهة الاخرى ثم ودعناه وشرعنا نقطع الابعاد ونحن نحمل ما زودنا من الطعام علَى اكتافنا لان الزحافة ومحمولها غابت عن ابصارنا فرأينا عن بعدٍ رجلين يهرولان صوبنا فاتجهنا اليهم واذا هما عائدان الى المدينة من موضع شغلهما فتاها عن طريقهما مثلنا ونفد زادهما فاتفقنا واطعمناهما مما حملنا وسرنا جميعاً في طيتنا وما زلنا نسير حتى اعيا احد الرجلين اللذين لقيناهما لانه كان شيخاً فانياً وخارت قواه فحرنا في امرنا وعظم علينا ان نتركه لوحده فيموت في ذلك القفر واستخرنا الله فصرنا نخفف السير رحمةً به ولكنهُ ازداد خواراً في عزيمته فكنا نتناوب حمله حتى مرّت بنا الايام وفرغ الزاد — كل هذا ونحن لاندري اين نحن من الدنيا ولا ماهي المسافة الباقية لوصولنا الى المعمور

ومع ما حاق بنا من الهم والخوف الشديد من الموت جوعاً مابرحنا نتقدم بالرغم عن حالنا لان الانسان مهما انقطع رجاءوهُ من الحياة يبقى مثابراً عَلَى السير في سبيله معللاً نفسه بالامل ولو لاح لعينيه ضئيلاً ضعيفاً

كل هذا ونحن نزداد خواراً في قوانا ووهناً حتى صرنا لا نقوى عَلَى حمل الرجل فوجدنا في طريقنا بيتاً هندياً ولما اتيناه لم نجد فيه احداً من الناس لكن رأينا فيه بعض الآنية من قدور وغيرها انما لا فائدة منها لنا لخلو الموضع مما يُطبخ ·

وبعد ان استرحنا قليلاً خرجنا نطوف في الارجاء لعلنا نصيب منها ما نأكله فما خاب سعينا لانا وجدنا حمامةً واقعة عَلَى الثلوج · فجئنا بها الى البيت واذا بالرجل الشيخ قد ساء حاله وبلغت روحهُ التراقي

فاخذنا الحمامة واضرمنا النار وسلقناها حتى نضجت والحق اننا لم نصبر لها حتى يتم نضجها لان الجوع حملنا عَلَى اكلها سريعاً — فكانت هذه الحمامة عَلَى صغرها ماسكةً لرمقنا

ولما اكلناها خرجنا ثانيةً للطواف فوجدنا نهراً كبيراً يشق بين الثلوج ولكن لم نكن نستطيع اجتيازهُ لان ماءهُ بارد جداً لايمكن للانسان ان يقيم فيه اكثر من بضع دقائق وليس لنا من قاربٍ نسير فيه

وبرجوعنا الى البيت رأينا رفيقنا الشيخ باكياً ناحباً فلما رآنا امسك عن البكاء · وجلسنا للمشورة وبعد الاخذ والرد وتصورنا انا اضعنا الطريق وصرنا لا نهتدي الى طعام وان ذلك يفضي بنا عاجلاً او آجلاً للموت الزوءام · واذا كان لا بد من الوصول الى الموت جوعاً وقد سدت في وجوهنا المسالك فالاولى

بنا ان نلازم هذا البيت حتى يجيء الاجل فلماذا نزيد مصابنا عسراً وتعباً

وعليه اقمنا مكاننا وبتنا تلك الليلة وفي اليوم التالي زاد بنا الهزال وخوار القوى فالتفت الشيخ المدنف واراد الكلام نخنقته العبرات ولكنه ملك روعه وعاد فقال ما خلاصته انكم احسنتم اليَّ وها انا ذاهب الى الابدية ولم يبقَ لي في هذه الحياة المحفوفة بالمكاره الاَّ يوم او بعض اليوم فتضحية هذه الساعات القليلة الباقية لحياتي في سبيل استبقائكم تزيدني لكم منةً وشكراً فان شئتم فاذبحوني وكلوا لحماني لعلكم تصيبون قوةً . ان ذبحي يفيدني ويفيدكم لان به اراحتي من عذابي واعطائي احسن فرصةٍ لابرهن لكم علَى اني اذكر جميلكم وارعى ودادكم ووجه فائدته لكم انكم تستحيون باكلي اجسامكم وتنهضون هممكم الخائرة

فاجبناه بما حضر من الشكر وابينا عليه ان نعمل عملاً فظيعاً وكأن الانفعال وتصورنا تعاسة حالنا بلغا تلك الساعة اقصى اعماق قلوبنا فاخذنا نبكي ونحب غير ان الشيخ بدأ يعظنا ويبرد قلوبنا ويأمر بالصبر والتجلد

وبعد هذا تركناه ونمنا وفي الصباح التالي لم يستيقظ باكراً فتركناه وخرجنا نطوف ولما عدنا للراحة وجدناه نائماً ايضاً ثم عاودنا النظر اليه فاذا به قد مات منذ ساعات فسألنا لنفسه الرحمة وغبطنا نيله الراحة واما انا فتذكرت قول الشاعر كفى بك داءً ان ترى الموت شافياً

ولما تأكدنا موته حملناه الى ظاهر البيت وطرحناه علَى الثلج فاخذ رفاقي يتحدثون بوجوب اكل لحمانه ولو كان ذلك غايةً في الفظاعة . لان الاقدام علَى اكل لحم البشر لم يكن قط من خصائص اهل الدين والتقوى

والتمدن · الاَّ ان الضرورات تبيح المحظورات واذا لم يجد الانسان طعاماً الاَّ بنهش لحم اخيه الانسان فماذا يعمل حين اشتداد الحاجة و بلوغه حد الموت جوعاً ؟

وقصارى القول انا اتفقنا علَى اكل لحم الرجل الميت وانبرى رجلان منا وهما اندرو ونلسون واخرج احدهما من جيبه موسى واعملها في الجثة فاحتزا من الفخذ قطعة كبيرة حملاها الى البيت ووضعاها في القدر علَى النار · ومع اضطرامها في الموقد ظلت تغلي مدة ست ساعات من غير ن ينضج اللحم او يلين ومع ذلك لم يكن منا من يستطيع الصبر اكثر فجئنا به وجلسنا حوله ولكننا لما نظرنا الى لون هذا اللحم المسلوق وانه كالمصبوغ بالزعفران الداكن وقفت ايدينا عن الاخذ منه وظللنا حيناً ونحن بين راضٍ به ومحجم عنه وفي آخر الامر اقدم نلسون فاخذ فدرة وادناها من فمه فنظرنا اليه لنرى تأثيرها فيه فاسرع الى ادخالها فمه ولكنه اقام علَى مضغها طويلاً يريد ان يبتلعها فلا يطاوعه حلقه فعزمنا ان نقتدي به ومددنا ايدينا لنغرف واذا برجل قد ظهر عند الباب

دخل الرجل علينا ونحن جلوس علَى الطعام التافه فوقف حائراً مبهوتاً اما نحن فبعكس ذلك رأيناه فاستبشرنا به وسررنا بلقياه ولما تقدم الينا ينعم بنا نظره كلمنا فعسر علينا ان ننطق بالجواب لان قوانا كانت خائرة دون الاجابة

ومع هذا اجهدنا انفسنا فاجبناه وارتاح باله لما رآنا بشراً مثله ذلك لانا فهمنا منه بعد ذلك ان منظرنا كان اقرب للوحوش منه للبشر او هو علَى ما تراءى له منظر الجن الذي ورد ذكره في الحكايات كيف لا وشعورنا كانت متدلاة علَى اكتافنا لطولها وعيوننا جاحظة وكلما فينا وحشي

ولما استأنس الرجل بنا وسمع نتفة من حكايتنا طيب خاطرنا وانبأنا ان معه زاداً وانه ماضٍ ليأتي به ثم ذهب وما غاب طويلاً حتى عاد بالمأكول فأكلنا وارجع الينا القوى والعزيمة ثم انبأنا انه اتى الى هناك على زورقٍ يسعنا جميعاً فسررنا بل طربنا وذهبنا معه اليه فركبناه وسافرنا في النهر مدى ثلثة ايام من غير مشقةٍ ولا عناء آكلين مرياً وشاربين هنيئاً حتى بلغنا المدينة

ولما وصلناها اجتمع الناس علينا من كل جهةٍ وشرعوا يسألوننا عن سفرنا وما لقينا ثمة من الارضين المملوءة ذهباً — واذ كنت انا وحدي الذي عدت من تلك الاقطار حياً كنت الرجل الذي ازدحم عليه الرغاب وشرعوا يسمعون ما القيت عليهم من الاخبار والافادات واذ كنت حتى يومئذٍ لا املك قياد قوتي لاستطيع التكلم طويلاً جعلت لالقاء المعلومات وقتاً في الصباح وآخر عند الاصيل

وبعد ان مرّت عليَّ ايام وعاودتني عافيتي طفت في البلدة اتعرفها باحيائها وشوارعها فرأيت سكانها على جانبٍ من النشاط في التجارة وجميع ضروب العمل واهمها تصويل التبر من شاطئ البحر ومن السواقي والتلال فشاقني عملهم وجدهم وعزمت ان اماثلهم لعلي اصيب نجاحاً واتفقت مع احد المشتغلين على اصطناع مصول من النوع المسمى روكس (الهزاز) غير انا لم نجد منه هنالك صندوقاً معداً للبيع فاضطررنا ان نصنعه صنعاً فاتخذنا صندوقاً من الخشب وعملناه على ما نريد واشترينا الريش والمعول

ثم اخذنا نشتغل باخذ الرمل من شاطئ البحر وهو ممزوج بالتبر ونبذل الوسع في غسله فيبقى الذهب لثقله في القعر وتخرج سائر المواد كالحصى والرمال

وغيرها — وظللنا على عملنا نحواً من شهرٍ ونحن نربح في كل يوم ربحاً يتراوح بين ٢٥ و ٥٠ ريالاً . الاّ ان ما لا ينبع ينفد وهكذا بات ذلك الشاطىء الذي كان رمله يسطع بشذور الذهاب الوهاج وفي كل قدم منه رجل دفع به الطمع الى العمل فقلب الشاطىء ظهراً لبطن وانقلب الربح منه الى القلة القريبة من العدم لان الموفق المجتهد صار لا يمكن له ان يجد منه في نهاره اكثر من قيمة خمس ريالات فانكفاء الناس عنه يطلبون مواضع أُخرى .

ولا يخال القارىء اللبيب ان هوءلاء العملة الصارفين هممهم لاقتناص الذهب كلهم من ذوي العوز الذين يجهدون انفسهم لتحصيل المال بل ان جلهم من الاغنياء اصحاب الثروة الطائلة الذين يحسبون الدنيا دار جهدٍ وعمل وان اكثرهم عملاً اكثرهم تحصيلاً

ولما انكفأ جمهور الناس عن ارتياد الشاطىء الذهبي مالوا للبحث عن ضالتهم المنشودة في الجبال والآكام وعلى جوانب الجداول وعملهم هذا هو الذي فتح للكثيرين منهم ابواب النجاح كما ردّ الميئات والالوف بخفيّ حنين فسبحان من بيده الامر وهو يعطي من يشاء بغير حساب

٣

الرحلة الثالثة

وفي ذات مرةٍ كنت في اقصى شمالي الاسكا فخطر لي ان اتخذ مزلجةً واسير عليها ضارباً صوب الشمال فوق الجمد لعلي اصيب رزقاً آخر او افتتح موضعاً لم يهتدِ اليه غيري فاصطنعت المزلجة واستأجرت عشرة رجال وخمسة وعشرين كلباً وسرنا على بركة الله نقطع المسافات ونضرب في عرض الجمد

ونحن كلما امعنا في السير رأينا المسافة امامنا اكثر اتساعاً حتى اعيانا التعب وعزمنا على صرف بضعة ايام في الراحة وكنا نخشى ان تفاجئنا الارياح العاصفة او ينحل ذلك الجليد المتماسك فنذهب الى قاع البحر جملةً واحدة لان المتبادر الى ذهننا انا كنا نسير فوق الجمد

وما لبثنا ان رأينا اكمةً من الثلج بل ان شئت فقل جبلاً عالياً فقصدناه حتى اقتربنا منه وشرعنا نحفر في سفحه غاراً كبيراً يسعنا جميعنا وما معنا وبذلنا في ذلك جهدنا الجهيد فجاء الغار كما اردنا فآوينا اليه وبتنا تلك الليلة وقد بدأت العواصف الشديدة واخذت تحتدم وتزداد فظللنا يومين مستترين فيها وفي الليلة الثالثة زعرنا لاصوات هائلة طرقت مسامعنا فنهضنا وحاولنا الوصول الى باب الغار فلم نهتدِ اليه فحرنا في امرنا وزاد طين كدرنا بلةً وخفنا ان نصاب بما يقضي علينا . واعظم ما كان خوفنا ان يكون قد سقط عن ذلك الجبل جرف عظيم هوى الى امام باب الغار فسدَّه علينا ولم يبقَ لنا من سبيل الى النجاة

وما كان اشد انقباض نفوسنا ويأسنا عندما تحقق هذا الظن وصدق شوءم القول فاننا وجدنا بالتحقيق اننا قبرنا ونحن احياء فجلسنا للمشورة وبعد المفاوضة طويلاً قرَّ رأينا على ان نجاهد بالحفر لنخرج من لحدنا قبل ان يتعذر علينا ذلك فباشرنا العمل وبذلنا فيه الجهد الجهيد حتى مرَّت علينا عشرة ايام فلم نجد انا بلغنا الحدّ الذي انتهى عنده السد فاخذنا نحفر صعداً حتى فزنا بالاعتلاء فوقه وخرجنا بعد الجهد الجهيد وشرعنا نسير فلم نجد ما نحن طالبون وخفنا ان يقلّ علينا الزاد وقد ظهرت علينا اعراض قلته . فرجعنا على اعقابنا طالبين الحضر ولكننا احتطنا لعدم الوقوع في المهالك ثانيةً — فنجونا من كل شيء

الاَّ من مخالب الجوع لانه ادركنا ولكن بحمد الله وصلنا الى العمران قبل ان نفد ما عندنا تماماً

الفصل السابع

يظهر من مجمل ما روينا حتى الآن ان العمل في الاسكا جزيل الفائدة يدر للعامل المجتهد خيراً ولكنه لا يشذ عن سبيل سواه من نواميس العمل في كل زمان ومكان . فالمجتهد في كل مكان يصيب نجاحاً اذا وافقته ظروف الحال ولكنه يخيب ويرجع بالفشل اذا لم يتخذ الاجتهاد ركناً ويتربص للفرص . والبحث عن الذهب ليس بكسب طبيعي يقتدر كل انسانٍ عَلَى النجاح فيه . فالضرورة تقضي عَلَى العامل المجتهد ان يختار لنفسه عملاً يستدر منه كسبه وان يحسن مزاولته ليتسنى له النجاح فيه . فاذا قصد بلاد الاسكا او غيرها من ارض الذهب فلا يجب عليه ان يعتمد التعدين والبحث عن المعدن النفيس وهو يكاد لا يجد منه قواماً لمعاشه لان العملة فيه صاروا كثاراً فاذا خاب امله من جهةٍ يرجع الى العمل الذي هو بارع فيه فلا يقع من جراء خيبة مسعاه في الضيق وشديد الفاقة كما هو شأن الكثيرين ممن لا ينالون من الاسكا ارباً

ولكي يكون روَّاد تلك الاصقاع عَلَى ثقةٍ من حالة الديار التي يسكنونها والحكومة التي تظلهم فيها نلمع الى ذلك لان الناس يتشوفون في كل زمان ومكان لاستطلاع حال الحكام ومعرفة النسق الذي يجرون عليه ونوع النظام الذي يسودهم

وانت خبير ان الاسكا قسمان قسم واقع تحت الحكومة الكندية التابعة للدولة البريطانية وقسم تابع لحكومة الولايات المتحدة الاميركية . ونحن نبحث

في كلٍ من القسمين بحثاً اجمالياً للاحاطة به فنقول

فاما القطر التابع لحكومة كندا فهو علَى طاعة نظامها وترتيبها ولذلك تجد الحكومة فيها ذات نهجٍ سويّ كما هو الشأن في كل الاملاك والمستعمرات البريطانية

حتى ان السائح اذا جال فيها يرى اثر العناية بادياً في كل مكان وحسبك الاشارة الى ما في بلدة داوسون من الترتيب والانتظام والامن والراحة واسباب الرغد

فان المسافر من سياتل الى سيكا كواي يجتاز الالف ميل الحائلة بينهما اذا كان الوقت صيفاً والبحر رهواً في مدى اربعة ايام ثم لا ينزل المسافر البر في سيكا كواي حتى يركب السكة الحديدية فتسير به مسافة ١١٢ ميلاً علَى قرب السواحل في مدى اربع ساعات فاذا ما بلغ الى محطة هويت هورس ركب منها نهر لوسي ثم نهر اليوكون فقطع ٤٥٠ ميلاً يخوض الماء في السفن في مدى يومين . كل هذا يتسنى للمسافر في زمن الصيف اما في الشتاء فان السير في النهرين يصير متعذراً لانهما يجلدان ويغطي الجمد كل الارض غير ان الحكومة لا تترك سكان داوسون منقطعين عن العالم كل مدة الشتاء الطويلة بل جعلت تسير ثلث مراتٍ في الاسبوع بريداً علَى الزحافات والخيل وتجدن في الزحافة مركباً لتسعة ركاب وهذا البريد يتردد بين داوسون وهويت هورس

والشرطة في هذه المدينة واخواتها من التابعات لكندا يقظى كأَن عينيها لا تنام لان الامن في القطر ركن من اركان سعادته وهنائه فاذا اضطرب نفر الناس منه فضعفت اسباب نعمائه

ومن اعمالها انها لا تسمح بلعب القمار في المحلات العمومية لئلا تخرب بها البيوت العامرة وتقطع عَلَى الناهضين الى الراحة والعزة سبيل نجاحهم وليتها عممت هذا المنع حتى شملت الحانات وغيرها من مفاسد الاخلاق فانها كثيرة العدد شديدة الاذى والضرر الا ان الاحتفاظ عَلَى النظام في كل مكان شديد جداً اما الملاهي فكثيرة الوجود ومنها النافع والضار . حتى ان مجلس ادارة البلدة قرَّر اقفال خمس وثلاثين حانة دفعةً واحدة وانفذ قراره ولو جرى مثل هذا في ارض اميركية لحسبوهُ استبداداً وقامت قيامة الاهلين

غير ان هذه الحكومة التي تنفذ اوامرها بصرامة القوة وشدة البأس لا تنظر الا الى النفع العام حتى انها اذا ارادت للبلاد خيراً سعت اليه ولو خسرت عَلَى امل ان يكون نفعها منه مستفاداً من ربح الاهلين اعتبر ذلك بما جرى لها باعفاء الادوات الحديثة والآلات الموضوعة لاستخراج التبر وتصويله وسبكه من الرسوم

عَلَى اثر هذا الاعفاء صارت محطة سكة الحديد في هويت هورس كأَنها مستودع القطر لانها ازدحمت عليها تلك الادوات الهائلة الكبر فملأَتها لاجتماعها وبقائها فيها حتى تسهل الملاحة في النهر بذوب الجليد فتوزع عَلَى الانحاء

وفوق هذه العنايات فان الحكومة انشأَت لهم الطريق الحديدية التي ذكرنا واصلحت السبل لسير المركبات وسيرت البريد في الارجاء القاصية والدانية ومدت اسلاك التلغراف وعمرت المدارس واقامت المكاتب والمطابع فنشأت ما بينهم الصحف وكادوا يستغنون بها عن قراءة الصحف الخارجية لولا ان للغربيين ولعاً بمطالعة جرائد العالم لاستطلاع شوءونه الجمة . فكلهم قارئ

وكلهم لذلك خبير

نعم ان مثل هــذا صلاح لايطلب كله من الحكومة ولكن الاهلين اذا عملوا ولقوا مساعدةً حسنت احوالهم وعلا قدرهم ورقت بلادهم في معارج الفلاح · ولايخال لاحدٍ من الناس ان اهتمام الافراد بالصوالح العامة يصرفهم عن دقة النظر في مصالحهم الخاصة · فيقعون في الخسران لتقصيرهم عن جلب المنافع لانفسهم ودرء المفاسد عنها · لان النظر في العموميات يتناول الخصوصيات واذا تأَتى للانسان ان ينصرف بكليته الى العمل النافع لايراد بذلك انه اهمل نفسهُ ومصلحته · ولكن ذات المنفعة العامة اذا روعيت فانما نجاحها يشمـل خادمها لانه فرد من المجموع الذي نال الخدمة العامة · وكأَن هذا المبداء هو المعروف والشائع عند اهل التقدم والنهضة ولذلك اثمرت مساعيهم ثمراً شهياً

اما نسق الحكومة فحسبك فيه ان نذكر مثالاً هو معتمد حكومة كندا في اليوكون · وهو موظف كبير يقيم في بلدة داوسون في قصرٍ فخيم بني علَى اخر طرزٍ وابدع مثال وزين بالانوار الكهربائية والرياش الفاخرة بل جعـل كل بنائه دالاً علَى الغنى واليسار ونعيم العيش وهو يحوي علَى كثيرٍ من الحجر المعدة للمعتمد وكتابه وثمت قاعات فسيحة للاستقبال والحفلات الرسميـة والمآدب وامثالهـا

وسلطة المعتمد تمتد علَى كل قطر اليوكون الخاضع للعلم البريطاني وهو يأمر وينهي بصفة الحاكم الاعلى ويليه ثلاثة قضاة يتولون الاحكام القضائـة وكذلك مجلس مؤلف من عشرة رجال كان يحق للاهلين ان يختاروا منهم عضوين اثنين فلما التمسوا المزيد نالوا من حكومتهم حق انتخاب خمسة اعضاء

اي نصف المجلس وبقي للحكومة الحق في تعيين الاعضاء الباقين . على ان هذا المجلس يقوم عندهم مقام مجالس الادارة في بلادنا ولكنه لايعقد جلساته الا تحت رئاسة المعتمد وبذلك يبقى للحكومة اكثرية صوت واحد اكثر من مختاري الاهلين . ولذلك مابرح الناس يلتمسون التوسع في انالتهم حقوق الحكم الذاتي وحكومتهم الكندية تفكر في زيادة عدد منتخبيهم

الا ان لطف الحكومة بهم لم يقف عند هذا الحد بل تراها انعمت عليهم بحق الانابة عن اليوكون في مجلسها الاعلى الكندي حيث يمثله نائب واحد

وثمت من كبار الموظفين مأمور الذهب ومأمور الارض وناظر الطرق وغيرهم جمهرة من المستخدمين والكتبة

وبما ان سكان القطر ليسوا من اهله الاصليين ولكنهم دخلاء ومن امم شتى فقد جعلت الحكومة من سننها ان من يسكن القطر ثلث سنوات يحق له عند انقضائها ان ينال حق الانتخاب ولذلك ترى كثيرين من رعايا الدول الاخرى يتركون رعويتهم ويتبعون حكومة كندا تمتعاً بحقوقهم في ارضها اعتبر ذلك بما يُقال من ان ٦٥ في المئة من سكان اليوكون كانوا من اهل الولايات المتحدة فصاروا من تباع بريطانيا في حكومتها الكندية

اما القسم الثاني فهو الاسكا التابع للولايات المتحدة الاميركية بحق الشراء من دولة روسيا كما قدمنا في صدر هذا الكتاب على انه مما لا يخفى على القارىء اللبيب ان الولايات المتحدة من ارقى الحكومات واحسنهن نظاماً وترتيباً ومنهاجاً في الحكم جمهوري ديموكراتي بمعنى ان الكلمة العليا للشعب فهو يختار الرجال الاكفاء الصالحين لكل عمل عام فيتولون الامر ويجرون الاعمال

باسم الامة ولها · والحكومة التي تتألف منهم نوعان — نوع محلي يجري في وطنه وفي الولاية التي تتألف منها بلدته وما يجاورها ما يوافقها من الشرائع والقوانين ونوع شامل عام لكل الولايات التي تألفت من اتحادها الدولة بسائرها وارتبطت بسنة عامة تجمعها على ما يوافق المجموع ولا يمس بافراد الولايات فكأن كل ولاية في داخليتها دولة مستقلة قائمة بذاتها ولكنها خاضعة للنظام العام الذي يربطها بالمجموع وهذا المجموع اي الدولة يقوم على ادارته رئيس الجمهورية ويكون مسئولاً لدى الامة مطالباً باجراء قوانينها وجلب المنافع التي توافقها ودرء المفاسد عنها وبما ان مصالح حكومته شتى وكثيرة بحيث لا يستطيع ان ينهض بها كلها بما يجب لها من الحكمة والنشاط والاحكام يختار هو لمعونته رؤساء الادارات فيكونون منه بمثابة الوزراء لدى الملوك ويبقى هو مسؤلاً عن اعمالهم العامة لانهم مسؤلون لديه الا ان المنتخبين يختارون له نائباً · وكل هؤلاء الذين ذكرنا يمثلون القوة الاجرائية · واما القوة التشريعية فمودعة لمجلسين عاليين يقال لاحدهما الشيوخ او الاعيان والاخر النواب ويطلق عليهما معاً اسم الكونكرس كما يطلق البرلمنت على المجالس العليا في سائر الممالك

ومع ان الرئيس في جمهورية الولايات المتحدة مقيد بالقانون واجل رئاسته محدود باربع سنوات قد يمكن تجديدها اجلاً آخر مع هذا تجد سلطته اكثر اتساعاً ورايه اشد نفوذاً في الحكومة مما لبعض الملوك الدستوريين ولعل هذا نتج في الولايات المتحدة من كون احرارها لما وضعوا نظامها في اواخر القرن الثامن عشر اخذوه عن قوانين سابقة عهدهم كان الملوك فيها مطلقي السراح يفعلون ما يريدون غير مقيدين · فكان اولئك المؤسسون لحرية الولايات

المتحدة ازاء حالةٍ لا قيد فيها فبذلوا جهدهم في تقييد الرئيس ولم يتصوروا حالةً اشد مما وصفوا الا اذا مسوا كرامة الامة بجعل رئيسها مقيداً او لعلهم اكتفوا بمسئوليته لدى شعبه وتركوا له حبل الاجراء على الغارب ليفعل ما يريد ويختار •

قدمنا هذا وهو في ظاهره غريب عن موضوع الكتاب ليتسنى به ادراك مغازي الادارة الاميركية في الاسكا وما تحتاج تلك البلاد من المقدمات للوصول الى ما يؤهلها للاندماج في الولايات المتحدة •

ان الاسكا لم تكن قبل انضمامها حكماً للولايات المتحدة ماهولة بقوم متحضرين يعرفون معنى الاختلاف في الاحكام بين مطلقة ومقيدة وجمهورية لان جاهم ان لم يكن كلهم كانوا من قبائل الهنود الوطنيين السارحين في القفار المتجمدة او النازلين على سواحل البحر وضفاف الانهار وحالهم يومئذٍ وحتى الآن من الخمول والضعف والفقر والجهل بالغ في الانحطاط حتى اقصى دركات البشرية ولم يكن يساكنهم من المتمدنين ولو بالاسم الا بعض تجار من الروس — ومعظم هوءلاء من المعتادين على الخضوع الاعمى للحكومة القيصرية وهي حتى اليوم وربما الى حين مثال الحكومة المطلقة من كل قيدٍ • فضلاً عن ان الشعب الروسي العظيم لم يكن حتى يومئذٍ قد نبغ فيه الا افراد قليلون ممن يعرفون الحرية السياسية ويتوقون الى نشرها ويسعون اليها في كل سبيل

واذا لم يكن حال الروسية ذاتها على ما فيها من اهل النبل والمكانة والعلم والفضل الا ما ذكرنا فكيف يرجى ان توجد المبادىء الديموكراتية في بقعة من المعمور لا يسكنها الا احط البشر وهي تحت رعايتها وفوق ربوعها تخفق رايتها وباسم قيصرها المطلق يعمل حكامها

فلما تمت الصفقة الرابحة لاميركا — اشترتها الحكومة الشعبية الاميركية من الحكومة القيصرية المطلقة — يومئذٍ ظنت الدولة البائعة انها غبنت الامة الشارية · وكذلك ظن بعض قصار النظر من قوم الشارين انفسهم · وبهذا البيع اي بالسبعة ملايين ومئتي الف من الدولارات الاميركية انتقلت البلاد الفسيحة ذات الغنى الطبيعي الوافر والثروة المستترة تحت الثلوج من حال الجمود والسكينة الى الحركة الدائمة · بل انتقل اناسها من الرق والجهل والفقر الى الحرية والعلم والغنى — انتقلوا نظرياً ولا يعوزهم للانتقال عملياً الا ان يفقهوا معنى انتقالهم ويدركوا مبلغ النعمة التي نالوها عفواً عَلَى اثر رنة الدينار الاميركي

ولكن اذا غمّ هذا الامر المعنوي عَلَى القوم السذج فلم يكن ذلك بما يخفى عَلَى ذكاء المتحضرين

ان الذين نددوا بسياسة الحكومة الاميركية يومئذٍ ورموا رجل سياستها الداهية الخبير المستر سيوارد بقصر النظر لم يكونوا يعرفون حالة القطر الذي انفق القليل من مال الامة لاحرازه ولو عرفوا لما نطقوا · غير ان الظروف ما لبثت ان كشفت القناع وبرهنت للملاء انه اصاب المحز

أليس ان كل امة اعتز جانبها وتدفق معين ثروتها ترى من مصلحتها تعزيز مركزها الاقتصادي بتحسين صناعتها وتجارتها وزراعتها وهي اذا نظرت الى وطنها وقد ازدحم فيه السكان وامتلا وصار يكاد لا يسع النمو المتزايد فيه — فيخطر لحكومتها ان تمتلك ارضاً غير ارضها تجعلها مستعمرة يأوي اليها من ضاقت به ارضها · وينتجعه من يقصد التوسع في عمله ؟ ان لم يكن غير هذا لكفى سبباً في مشترى الاسكا من الحكومة الروسية

ومذ شاع وذاع نباء هذه الصفقة وان الحكومة الاميركية وضعت يدها عَلَى القطر تقاطر اليه الناس من ابنائها وغيرهم · وما هي الا نظرة دقيقة واختبار قليل حتى بان لهم الخير فوطدوا العزم عَلَى استعمار القطر · وهكذا جاءه الناس · وانصرفوا لامعان النظر في حاله فرأوا الذهب فكان اكتشافه كافياً لتكاثر الواردين وانصرافهم لمزاولة استخراجه والاتجار به وبسواه كما رأيت

فلما وضعت الولايات المتحدة يدها عَلَى الاسكا عقيب شرائها من روسيا ارصدت بعوثاً من جندها وجعلت الامر لهم حتى في الادارة والقضاء فلم تفلح في ما ارادت من الاصلاح العاجل · وترى الناس يتحدثون لهذه الاونة في الاسباب التي اعاقتها عن النجاح الذي اصاب قطر اليوكون · فمنهم من يتهم الحكومة بالاهمال وعدم المبالاة بالاسكا لانها مضى عليها ٤٣ عاماً وهي باقية في ادارتها عَلَى شأنها القديم · ومرور هذا الاجل الطويل عليها وهي باقية عَلَى حال اقرب الى الفطرة منه الى الحضارة دليل دامغ عَلَى ان الحكومة الاميركية لم تعرها جانب الاهتمام بل تركتها وشأنها

ويستشهد القائلون بما كان من دار الندوة العليا (السنا) فانها في سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٣ رأت لجنة التشريع فيها ان تضع لالسكا ما تحتاج اليه من السنن لتسير بحسبها فلما اخذ رجال اللجنة بالامر وجدوا انهم جميعهم يجهلون حقائق احوال القطر الذي انتدبتهم حكومتهم لسن نظاماته وانت خبير ان المشترعين يضعون الاحكام اللازمة بالنسبة لحاجة المحكومين وبالنظر للغالب عليهم من الاحوال والشؤون ولهذا يتعين عليهم ان يحيطوا علماً بما هنالك ليعرفوا غث الامور من سمينها فتجيء السنن التي يضعونها ملائمة عَلَى الاكثر لحال الناس

الذين تجلب لهم المنافع وتدرأ عنهم المفاسد

واذا كان هذا حال الهيئة المشترعة العليا في الولايات المتحدة فهل يخال ان رجالها البصيرين بشؤون بلادهم يظهرون جهلهم حال الاسكا ما لم يكن اهمالها بل نسيانها جملةً واحدة هو رائد افكارهم ؟

ولما راى رجال اللجنة انهم لايعتمدون عَلَى انفسهم في معرفة شؤون الاسكا طلبوا من الناس الذين يعرفون عنها شيئاً ان يبينوا لهم اراءهم فتواردت عليهم الانباء والاراء واللوائح فتبينوها ونبذوها لان اصحابها — جلهم او كلهم من الذين جروا في مضمار الغرض ومالوا صوب الهوى — وهذا موقف لايصح اعتمادهُ في مجالس الاشتراع . يوميئذٍ رأت اللجنة ان تقتلع شوكها بيدها وان تسعى بذاتها لاحراز ما ينقصها من العلم باحوال القطر فقررت ارسال وفد منها الى الاسكا يطوف ارجاءها ويفحص شؤونها السياسية والاقتصادية والادبية ليحيط بها علماً . واختارت خمسة رجال من كبار رجالها بزعامة رئيس اللجنة السناتور بفريدج وصحبهم للخفارة احد ضباط الدرك وكاتبان

كل هذا يدل عَلَى ان الحكومة الاميركية اهملت اوتناست الاسكا منذ اشترتها سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٩٠٣ ولعلها فعلت هذا تأثراً من تنديد الناقمين عليها الشراء او ان ثمت من الاسباب ما لم يتصل بنا علمه ثم كرّ الدهر وكاد ينسج عَلَى القطر وتذكاره عناكب النسيان

الا ان الحكومة الاميركيه لم يكن اهمالها الاسكا ليحرم هذي من كل عنايتها بل صرف نظرها عن تحسينها وادخال الاصلاح اليها واجراء السنن القويمة فيها ومعاملتها بالاجمال كقطرٍ الحق فيها — والا لو كان المقصود من

القول باهمال مايستفاد من الكلمة علَى اطلاقها او كما اعتدنا في الشرق ان نفهم من الاهمال في الحكومة البائدة لما وجدنا لحكومة اميركا اثراً في القطر المتجمد ولا يداً في ادارته . والحال ان اثارها موجودة ويدها هي العاملة — ولكن مبادئ الحكم في الاسكا ليست من مثل مبادئ الحكم في الولايات المتحدة

ومما يدل علَى هذا التغير في السياسة ان الحكم في الاسكا علَى سعتها وبعدها عن واشنطون وعدم ضبط مواقيت السفر والصلة بينهما كان حكماً يخالف المبداء الاميركي — فواشنطون هي الحاكمة في الاسكا واليها مرجع امورها — حتى ان كل شأن من الشؤون الادارية والتجارية والصناعية يدار بامر الحكومة المركزية نواً بحيث لايبقى لنظر الحكام المحليين الا بعض المصالح الطفيفة التي لايعباء بها — وهذه المصالح عهدت للمجالس البلدية التي سمح لنزلاء الاسكا بعقدها في المدن . وبهذا الترتيب اظهرت حكومة الولايات المتحدة انها لاتبالي كثيراً بحقوق هذا القطر . لانها امسكت عنه مامنح لهاواي وبورتوريكو مع ان في اهليهما يكثر بل يغلب الجنس النحاسي اللون وافراده لم يبرهنوا حتى اليوم علَى اقتدارهم في ادارة الاحكام بخلاف سكان الاسكا فان سوادهم من البيض العارفين بما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات واكثرهم من الاميركان او من الاوربيين غير ان من الناس من يقول هذا لايجب ان يحمل علَى عدم اكتراث الحكومة الاميركية بالقطر وانما هو نتيجة عملها منذ تمّ الشراء علَى ان تحكمه عسكرياً بمعنى ان تعهد بادارته الملكية لجندها الذي اقامته فيها .

ولكن الحكم العسكريّ يغلب فيه ان يكون شديداً صارماً ولذلك لم تفلح الولايات المتحدة بتجربتها بل سمعت باذانها تذمر الاهلين فاضطرت ان

تعدل عن خطتها العسكرية – ولكنها لم تمنح البلاد حق الحكم المحليّ منذ عدولها بل تدرجت تدريجاً بان ابقت الامر لها · وعينت من قبلها حاكماً ثم قاضياً و بضعة موظفين آخرين منهم مديرو الرسومات (الكمارك) ومأمورو المساحة والمسجلون وجباة الاموال والضرائب ونظار التعليم من قبل نظارة المعارف وغيرهم للزراعة والتجارة — كل هوءلاء الموظفين جعلت الولايات المتحدة تعينهم توًّا وتبعث بهم من ابناء بلادها بحجة ان لهم الماماً بمهام وظائفهم وسوابق حميدة في الادارة

وكلهم الاّ القليل النادر الذي لا يقاس عليه كانوا عند حد حسن الظن بهم اذ وفوا الامانة حقها ونهضوا بما عهد اليهم نهوضاً حسناً – ولذلك لم يكن للناس من شكوى عَلى هوءلاء الموظفين وانما كان تذمرهم من تداخل الحكومة الاميركية في توظيفهم واختيارهم من اهل بلادها مع ان اكثرهم ليس لهم معرفة بالقطر ولا خبرة بشؤونه · وانهم ولئن كانوا والالاسكيون خاضعين لحكومة واحدة فانهم يحسبون غرباء عن الاسكا – لان اهلها يطلقون عَلى كل من لا يكون من سكانها لقب العالم الخارجي — وبهذه الصفة لا يبيح النظام الجمهوري الاميركي هذا الهضم لحقوقهم · هكذا يقول بعض سكان الاسكا — غير ان الحكومة الاميركية لا تقدم عَلى العمل وتستمر عَلى اجرائه السنين الطوال وعلى اختلاف حكوماتها في مدى رئاسات جمة ونظارات شتى ما لم تكن قد اسندت خطتها الى قانونٍ مسنون — وهذا هو الواقع فان المجلس العالي في واشنطون وضع للعمل في الاسكا سنةً مخصوصة لاختيار الموظفين وتوظيفهم فاصبح عمل الحكومة قانونياً ولئن شذت هذه السنة بمجمل نحواها عن مبداء الحكم الذاتي

الذي تجري عليه كل واحدةٍ من الولايات التي تتألف منها الحكومة المتحدة

ولم يقتصر المجلس العالي علَى هذه السنة بل اشترع ايضاً لالاسكا قانونين احدهما حقوقي والآخر جزائي وامرت الحكومة فانفذت احكامها في ذلك القطر · فكأنها جعلته منفصل عن ام البلاد لان الاحكام الجارية فيها لا تتناولها

ولكن المجلس العالي اجاز لالاسكا ان تقيم لنفسها شبه مجالس بلدية او محاكم محلية للنظر في الدعاوى الجزئية والمسائل القليلة الاهمية التي تعرض هناك

غير ان الاهلين لم يرضهم هذا فتراهم يتذمرون ويتشكون لحرمانهم من منافع الحكم الذاتي الذي يتمتع به سائر ابناء الولايات المتحدة · وفي هذا يقول احد كتاب الاميركان انا لا نعجب من تذمر الالاسكيين ومن اقدامهم علَى طلب المزيد من المنح حتى تصير حكومتهم علَى النسق المعروف بالمحلي ولكن عجبنا انهم يحجمون عن الالحاح لنيل حقوقهم · اه

الاَّ ان من رأي بعض الباحثين ان الحكومة الاميركية لم تمسك عن منح القوم رغائبهم ضناً منها عليهم بما يوفر لهم اسباب الرغد والرفه ولكن لامرين مهمين اولهما قطر الاسكا الخاضع لها فسيح المدى مترامي الشقة ثانيهما ان عدد السكان الذين احصوا في العدّ الرسمي سنة ١٩٠٠ بلغ ٦٣ الفاً نصفهم او اكثر من الاسكيمو والهنود والمولدين منهم والنصف الآخر من الجنس الابيض الذين يغلب فيهم الاميركان

وان هذا النصف اي الثلاثين الفاً تقريباً من البيض منتشرون في طول البلاد وعرضها افرادا او جماعات قليلة العدد تستغرقها السعة البالغة فلا يكادون يظهرون فيها ويزيدهم حال الاتصاليات ضعفاً وبعداً عن الانتفاع بصفتهم —

لان الطرق بين موضع وآخر من منازلهم تكاد تكون منقطعة لتعذر المرور فيها زمن الشتاء بالنظر لتراكم الثلوج وفي كل حين لعثراتها وصعابها

واعتباراً لهذين السببين يعسر عَلَى الولايات المتحدة ان تعهد بالحكومة المحلية لقوم لا يتسنى لهم الاتصال ببعضهم ولا هم بالقادرين عَلَى تنفيذ احكامهم بالنظر لما تقدم

ولكن الباحث الدقيق النظر يرى ان وجود هذين السببين المانعين من الحكم المحلي هو نفسه حجة عَلَى الحكومة الاميركية لا لها . لانها لو مهدت الطرق ومدت الخطوط الحديدية فجرت المركبات تنقل الناس وتحمل البضائع ثم قربت الابعاد بالسلك البرقي وانشأت الجسور عَلَى الانهار والمعابر عَلَى الجداول لو فعلت هذا واشياء اخرى ضرورية لصارت الاسكا من بلاد الحضارة الراقية ولم تمضِ عليها الا سنون قليلة ثم جاءها الناس افواجاً فاستعمروها وتكاثروا فيها

نتج من كل هذا انها هي التي قصرت وجعلت من تقصيرها عذراً لها لمنع الحكم الذاتي هناك عن قومها المعتادين عليه والذين يحسبونه امنية نفوسهم ومطمح انظارهم

ومما يُذكر ان نحو عشرة آلاف من الجنس الابيض اي من الاوربيين والاميركان نازلون في الجنوب الشرقي من الاسكا اي من حد خليج ياكوتات حتى بوغاز بورتلاندا ومثلهم عداً يسكنون في نوم وشبه جزيرة سيوارد وما يجاورها من حد سان مايكل شمالاً حتى خور كوتزبو والباقون منتشرون عَلَى اليوكون والتانانا وعند ينابيع كويوكوك في شمالي الاسكا ومنها تنحدر منازلهم

الى كوسكو كويم في الجنوب الغربي وكذلك في فالدز ووادي نهر النحاس وفي شبه جزيرة كناي والجزائر الجنوبية الغربية

وانقسام الساكنين من المتمدنين الى هذه الاثلاث الثلثة لم يكن عن قصدٍ ومع ذلك فان حكومة الولايات المتحدة اتخذته قاعدةً لعملها وتابعته على الاكثر في اختصاص محاكمها الثلاث التي اقامتها للقضاء بين الناس

والعارفون باحوال البلاد يصدقون على شكوى الاهالي من هذا التقسيم الجائر لانه لم يراعِ فيه اتصال الناس وقرب مواطنهم وكثرة علاقاتهم فترى مثلاً الجنوب الشرقي من القطر قريباً من شبه جزيرة سيوارد والسكان فيهما يتواصلون ويتعاملون ولكن لا ترجع مصالحهم المشتركة الى حكومةٍ واحدة بل لكل من القطرين قضاء خاص به بخلاف الحال بين النازلين في شبه جزيرة كناي فانهم بسبب تعذر المواصلات بينهم وبين نزلاء اليوكون يجب ان لا يجمع بينهم قضاء واحد وحسبك مثالاً على حال الطرق ان حاضرة القطر اليوم هي جونو وهي متصلة بكل انحاء البلاد على طرزٍ واحد فلو فرضنا ان الحكومة الاميركية اجازت لنزلاء الاسكا ان يختاروا لهم نائباً يمثلهم في المجلس العالي في واشنطون ثم ان حكومة القطر بعثت باوراق الانتخاب الى حيث يقيم المنتخبون فهل في الامكان ان تعود الجداول كلها في الوقت اللازم ؟

ولكنا لو فرضنا مثلاً ان الانتخاب امر به في اوائل الصيف فالوقت اللازم لوصول الاذاعات واتمام العمل وتنظيم الجداول وارجاعها الى الحاضرة يستغرق شهور الصيف فاذا جاء في آخره وارسل الخبر الرسمي به لا يبقى في الامكان سفر المبعوث تلك السنة وعليه يجب ان يكون الانتخاب في سنةٍ وبدء العمل

في سنةٍ أخرى

ولا غرابة في هذا فانه اذا صدر الامر من جونو بطلب احد موظفي شبه جزيرة سيوارد مثلاً اليها فهذا الطلب لا يمكن ان يتصل اليه ويأتي الموظف المذكور الاَّ وقد انقضى زمن الصيف فكيف يستطيع ان ينهي العمل المطلوب لاتمامه الاَّ اذا مكث في جونو الى الصيف الآتي

هذه هي العثرات الهامة التي تجدها اميركا في سبيل منح الالاسكيين حقوقهم بمثابة امثالهم من ابناء الولايات ولذلك ترى بعضاً من النقدة المنصفين يعذرونها من هذا القبيل ولئن كانوا يطلبون اليها ويلومونها لانها تقطع اسباب هذا البعد الشاسع بين اطراف القطر بتقريب المسافات — وكأنها بدأت تعيرهم التفاتها فوجهت عنايتها لمد اسلاك البرق بين الانحاء كما سيأتي

ومما يدلّ علَى ان الالاسكيين يرغبون في الحكم الذاتي كل الولع انهم لما جاءهم الوفد المنفذ للبحث عن احوالهم من قبل مجلس الشيوخ كما مرَّ تقدمت له العرائض الجمة — غير ان من النزلاء من لم يروا رأي اخوانهم لصعوبة العمل ولهذا لم تكن كل اللجنة المعينة لتنظيم العريضة من الموافقين ومع ذلك فانهم قرروا الطلب باثني عشر صوتاً يخالفها احد عشر فالاكثرية قائمة بصوت واحد ليس الاَّ

ولكن لا يفهم من وجود هؤلاء المانعين انهم لا يرغبون في احراز الحكم الذاتي بتاتاً بل انهم لا يريدون في ظروف بلادهم الحاضرة ان احرازه مستطاع فيصرفون عنه نظراً

ورغبة الناس في ذلك لا تقتصر علَى احراز المجالس المحلية باختصاصاتها

المعروفة عندهم بل هم يرمون الى غرض ابعد وهو ان يعدوا بلادهم لصيرورتها جزءًا من الولايات المتحدة ويعقدون الامال عَلَى ان تنقلب بها الشؤُون فتصبح في القريب العاجل ولاياتٍ عامرة تدخل في الاتحاد الاميركي كاخواتها في ام البلاد فتعتز ويشتد بها ساعد الاتحاد · هذا مرمى غرض الطالبين وهم يتحدثون به بل ان العريضة التي قدمها سكان نوم المعت الى هذا القصد غير ان الحكومة الاميركية لا ترضى بذلك لان الرأي الغالب بين اعضاء مجلس الشيوخ ان الاسكا لا يجب ان تضم الى الاتحاد كولاية او ولايات لانها بعيدة عنها وانما يصح منحها سنن الحكم الذاتي مجرداً عن تلك الغاية ومن غير ان تعدها الحكومة المركزية بقبولها بين المتحدات عَلَى مثل ما لهنَّ من النظام وكأَن هذا الرأْي الغالب عَلَى مجلس الشيوخ لم يتصل باهل نوم فجهروا به وانما هو من جملة الاسباب التي حملت عَلَى امتناع محازبي الحكومة عن الارتضاء بذكره في العريضة

غير ان هذا الامتناع الذي يظهره مجلس الشيوخ ولئن كان سابق اوانه فهو غير عادلٍ ولا سديد لان القوم الذين سيطلبون الانضمام متى حان وقته ليسوا الاَّ من خيرة المتمدنين سواء فيهم الاميركان او غيرهم وانهم ليخلون متى تكاثروا وصاروا اهلاً للاتحاد من كل شائبةٍ تحول دون اعتبارهم لهم اخواناً في الحقوق · وهذا الاعتراض مؤَيد من كثيرين من الاميركان انفسهم

وترى كثيرين من عقلاء القوم يقولون ان لالسكا اسوةً ببعض ولايات دخلت الاتحاد الاميركي مع انها لم تكن عدة سكانها كعدد الالاسكيين ولا حالها اصلح من حالهم

والرأْي الغالب الذي لا تجد من الالاسكيين من يخالفه او يشذ عنه قد

شعرةٍ هو ان مصالح القطر مهملة وان هذا الاهمال يضر فيه حساً ومعنى ويمنع عنه الخير الذي يرجى ويطلب لكل ناحيةٍ من انحاء القطر وانه ما من سبيل لقطع دابر هذا الاهمال ولتذكير الحكومة بالاسكا ومنافعها واقناعها بما يحسن احوالها الا اذا سمحت الحكومة لها بارسال مبعوثٍ عنها الى المجلس النيابي في واشنطون

وهذا القول سديد والراءي حق ولا يخال ان الحكومة العادلة تمتنع عنه وله بين اعضاء المجلسين انصار اشداء كما انه يقاومه كثيرون . والظاهر ان مجلس النواب ينصره اكثر من مجلس الشيوخ لانه تقدمت سنة ١٩٠٤ لائحة اقترح بعضهم بها اعطاء الاسكا حق نائب عنها فاما مجلس النواب فاقرَّ عَلَى القبول واما الاعيان فانهم رفضوه والباحثون في الامر يرون ان الصعوبة التي تحول في سبيل نجاح المسعى هي تفرق الالاسكيين بحيث يعسر جمعهم في صعيد واحد لانتخاب نائبهم . فيشور بعضهم ان تجزاء الاسكا ثلاثة اجزاء ويقام لكل جزء منها نائباً منتخباً فيسهل بتلك التجزئة الحصول عَلَى الانتخاب في حينه او في اوقات متقاربة

ويرى البعض ان يكون النائب او النواب عن الاسكا من سكانها ولكن لايراعى في اختيارهم امر الانتخاب بل يناط تعينهم برئس الجمهورية وهو يختار للنيابة عنهم من بينهم من يصلح للعمل .

الا ان لبعض الكتبة رأياً ثالثاً يجمع بين الراءين الانتخاب والتعيين هو ان يباح لكل من نوم وتوابعها وجونو وملحقاتها ان تنتخبا عنهما نائبين واما النائب الثالث فيترك اختياره لرئيس الجمهورية

وسبق لمدينة نوم ان نالت من الحكومة حق اقامة الحكم البلدي فشيوخها يتألفون مجلساً يسمى BOARD OF ALDERMEN ويختارون من بينهم واحداً ليكون رئيساً او محافظاً MAYOR ويديرون الاحكام المحلية بالحكمة والسداد · وبما ان الدعاوى والخصام لا يمكن استئصالها من بين البشر فالمجرم في نوم يغلب فيه ان يقف بين يدي قضاته وقلَّ من فرَّ من اولئك الطغاة لانه اذا فسح الصيف للاثيم مجال الهرب والايغال في البلاد فان الشتاء قريب واجله طويل وبه لا يستطيع الهارب من وجه العدالة ان يلقى فرجاً · لان الثلج والجمد واستفحالها ثمانية اشهر متوالية تفضي بذلك الاثيم الهارب الى الموت دنقاً وجوعاً · ولهذا يحدثون ان كثيرين من الجناة الهاربين وجدوا بعد انقضاء فصل الشتاء جثثاً هامدة في مكامنهم بين الثلوج · فهذا الحال اي عدم وجود ملجاء للاثمة يلجئهم علَى الاكثر لتسليم انفسهم للعدالة فتقتص منهم · لانها مهما جنفت عليهم تكون ارحم بهم من الثلوج المتلبدة والجمد المنتشر · واراًف من الطبيعة الجامدة · وبالطبع ان الخشية من العقاب تفعل كثيراً في تنقيص الجرائم · ولهذا لا تجدنها هنالك كثيرة

ولا غروَ فقد توفق المجلس المحلي لتخفيف وطأة الفسق والفحش والسكر والمقامرة فقلت علَى اثر ذلك نتائجها الوخيمة ذات الجرائم

اما القضاء في طول الاسكا وعرضها فمنوط بثلثة قضاة موظفين ولهؤلاء الحق بان يعينوا عنهم نواباً · ومن مصلحة هوءلاء النواب ان يكونوا كمشائخ الصلح والمسجلين والمحققين وان يصدروا الاجازات والامتيازات والمنح وان يجبوا الرسوم والمكوس التي ترمى علَى الاعمال

فاذا اراد التاجر او الصانع او الصياد او ايّ عاملٍ نوى عملاً ان يباشره فعليه قبل كل شيء ان يرفع للنائب تقريراً مفصلاً فيه مانوى ومقرراً عن المقدار الذي يظن بنفسه قادراً عَلَى عمله في مدى سنة ثم يؤدي رسماً بنسبة المقدار الذي يرجو عمله فيجازله واذا انتهت السنة وقد اربى عمله عن المبلغ الذي قدره يؤدي الرسم عن الزيادة فالنواب في مثل هذا الحال يكونون هم الجباة ايضا ولهذا تجد منهم نائباً في كل قريةٍ اومزرعة اومنزل ينزله المعدنون اذا كان عددهم نحو مئتي رجلٍ او اكثر وهو فيهم القائم بوظائفه الجمة وبحسبها يكون الآمر الناهي المتفرد بسلطة اجراء القانون ومن كانت له مثل هذه المنزلة بين الناس وفي نظر الحكومة ينبغي عليه ان يكون من الطراز الاول عفةً واستقامةً وعدلاً وانصافاً فتجد لذلك معظم هؤلاء النواب من احسن الناس واكثرهم اقتداراً واجلهم خلالاً وانما يعتني رؤساؤهم القضاة باختيارهم بعد الخبرة الطويلة ودقة النظر لان استئناف احكامهم ومرجع اعمالهم عائد للقضاة انفسهم ومجلسهم واذا نقلت اليهم الدعوى استئنافاً او رفعت الشكوى والمراجعات فاصحاب الشأن ينفقون كثيراً في سبيل عملهم لما تقتضيه حالة البلاد و بعد المسافات سيما وان المدن التي تعقد فيها مجالس القضاة قليلة العدد مترامية الشقة وقد يقتضي الاستئناف اخذ الشهود من مكان الى آخر ٠ فالعناية بالاهلين والرغبة في توفير رغدهم ومنع الحيف عنهم تقضي وجوباً عَلَى ولاة الامر ان يبذلوا وسعهم بحسن انتقاء النواب ومما يذكر ان هؤلاء القضاة متى حان اوان عقد محاكمهم في المدن المقامة لذلك ازدحم الى تلك المدينة اصحاب الدعاوى والمصالح من اقصى البلاد الى اقصائها فغصت المدينة بهم عَلَى رحبها وصار لوجودهم حركة في تجارتها واعمالها ٠

وكسبت منهم كثيراً لان بعد المسافات وكثرة الاعمال تقضي بطول الاقامة في البلد

ومما روى احد السياح الاميركيين في كتاب له ان النائب ما كنزي المعين في كولدفوت من بلاد كويوكوك قضى سبعاً وعشرين يوماً مسافراً حتى اجتاز تسعمئة ميل تفصل مقره عن رامبرت مركز المحكمة

فكأنه جاء من اقصى تخوم دائرة القضاء اذ ورد ان هذه الدائرة تتسع تسعمئة ميل طولاً في خمسمئة ميل عرضاً اي تشمل كل الاقطار الواقعة بين الاوقيانوس الباسفيك والبحر المتجمد الشمالي وبين التخم الفاصل الاسكا عن متملكات حكومة كندا حتى مصب نهر كويوكوك

٢

حقوق الحكومة وواجباتها

كل فردٍ من الناس له حقوق وعليه ازاءها واجبات فهو لايستطيع ان يطلب حقوقه وينالها الا اذا قام بواجباته او سعى في القيام بها . وكذلك لايمكن ان تطلب الواجبات من ايّ فردٍ كان وهو في الوقت نفسه لايعطى ماله من الحق .

وهذه القواعد النظرية عامة شاملة ولكنها قد تصادف عند ظهورها لميدان العمل بعض الشذوذ والانحراف ويغلب هذا ان يكون لقوةٍ غالبة تمنع الحق عن صاحبه .

وشأن الجماعات كشأن الافراد . لان الفرد هو جزء من الجماعة . والجماعة موءلفة من مجموع الافراد فهي مجتمع الاجزاء وبهايتأ لف الكل . وبهذا تكون

كل امةٍ جرياً عَلَى النظريات المذكورة ذات حقوق وواجبات ايضاً

والامة باعتبار كونها مجتمع الافراد من حقها ان تحيى وتنمو وترتقي وهي تطلب هذا الحق الطبيعي بجملتها كما يطلبه كل فردٍ لوحدهِ . ولاحياة لها ولا نمو ولا ارتقاء الا بانتهاج السبل الراشدة التي يجري عليها الافراد الى مايريدون من ذلك

فكما يطلب القوت لغذاء الفرد ونموه وكما يسعى ذلك الواحد الى العمل لتحصيل القوت وكما يحفظ بقاء الفرد باتباع سنن الطبيعة واحكامها ويراعى شأن الانسب في الارتقاء هكذا تسود هذه النواميس عَلَى الامم فتحييها وتنميها وترقيها والا فان خولفت القواعد الاساسية ماتت وبادت كما يموت الفرد من جراء مخالفة سنن الحياة

الا ان الفرد لاينال حقوقه وهو غير ساعٍ الى طلبها ولا قائم بالواجبات التي عليه نحو ذاته في الدافع الى التماسها — بحيث لايعقل ان رجلاً وجد محتاجاً الى الطعام فقعد عن التماسه من مظانه بالوسائل الميسورة له ثم هو يشبع من الامل بنيله وتمني الحصول عليه فان فعل مات جوعاً . ولكنه ينهض لالتماسه بما لديه من القوى وبما تيسر له من ذرائع تحصيله . فيأكل ويغتذي ويحيى . هكذا الامة تحيا بالسعي لنيل حقوقها وتموت ان قعدت عن التماسها واستنامت للاماني

والامة ايضاً كالفرد الذي يعتمد في نيل رغائبه عَلَى عون مساعديه . لانها كمجموع متعدد الافراد لاتقدر ان تعمل عملها العام بيد كل واحدٍ من افرادها . بل تجري عَلَى خطة تبلغ بها الى الغرض من اقرب سبيل وعَلَى احسن

طرز واحكمه . ذلك انها تختار لكل عملٍ من اعمالها من يصلح له

تختار الملك او الامير او الحاكم الاعلى ومشيريه ومعاونيه ومن يلوز به من لاعوان والانصار وتختار القضاة والعمال وسائر الاتباع وتنيط بهم العمل العام الذي تراه الامة لخيرها وصلاحها — ومجموع هوءلاء المختارين هو المسمى بالحكومة علَى اختلاف انواعها . فالامة تختار من افرادها والامة تخضع لمختاريها لانهم يعملون بارادتها ولخيرها — ويبقى سواد الامة عاملاً عمله الآخر لخير مجموعها فالحارث في حراثته والصانع في مصنعه والتاجر بتجارته وكل ذي عملٍ في عمله . وتوزيع الاعمال هذه يوءدي الى الخير العام لانه لايستطيع الانسان ان يعمل كل شيء بيده وان يحسن ماعمل لتكون الجودة مدرجة النجاح

فاذا كانت الامة وهي مصدر الحكومة وينبوع قوتها قد اختارت رجالاً للحكم واعطتهم منها الحق عليها وجب علَى هوءلاء ان ينصرفوا عن كل شيء الى عملهم الآيل لمصلحة الجميع — ولكن الناس مطالبون بالتحصيل والكسب لاعالة انفسهم ومن يكون عالة عليهم كالاهل والولد ولاينال الانسان قدرة ومتسعاً من الوقت لاتنان عملين في آنٍ واحد . فهو لا يقدر ان ينصرف لضروب الاحكام علَى تنوعها وان يعمل في الوقت ذاته لكسب قوته وتحصيل رزق عياله وهذا الكسب هو المنفعة الخاصة ولا يرجى من بشرٍ ان يهملها ويتخلى عنها ليخدم مصلحة سواه . لذلك كان كسب المشتغلين بالحكومة من مال الامـة

فالامة توءدي الذين اختارتهم لحكومتها من مالها ما يأخذون منه رزقهم اتقاء اعمالهم . وهذا المال الذي توءديه الحكومة هو حقها من امتها وهو الواجب

عَلَى الامة لها

لانه لايمكن ان تطالب الامة حكومتها بما لها من الحقوق مالم تؤدها ماعليها من الواجبات . كما انه ليس من النصفة ان تقوم الامة بالواجب عليها الى حكومةٍ لاتنيلها حقوقها

وكما ان كل فردٍ من الامة يطالب حكومته بحماية عرضه وحياته وماله وبجلب المنفعة ودرء المفسدة كذلك يطالب هو نفسه بان يلقي في خزانتها شيئاً تستعين به عَلَى نفقاتها في سبيل اجرائها ما يطلب منها

وهذا المال هو العشور او الضرائب او المكوس التي ترميها الحكومة عَلَى الناس . وحقها ان تكون متساوية وان لايقع من جرائها حيف ولاجور بل تبنى عَلَى قواعد ثابتة

ولا يخال القراء ان معظم هذه القواعد الاساسية جرت في العالم منذ تأسيس الحكومات وعَلَى مدى تاريخها بل عرض لها ان مرّت باحقاب متطاولة طمس بها الجهل في الشعب والاستبداد في الحكام عَلَى منشاء الحقوق والواجبات فالتوت احكامها . وخرج الكثير منها عن موضعه . حتى بات المال المجبى كأنه لم يقصد بجمعه الاستعانة به عَلَى قضاء حوائج الامة بل ان يكون معظمه طعمة المختلسين او سداً لمطامع الطامعين

فلما تمادى هذا وانتبه له بعض المستنيرين وضعوا حداً لرمي الضرائب حسب اهواء رغاب المال وقيدوا الحكومة بجعله ملائماً لحال الناس وعَلَى قدر ما يرون الحاجة ماسةً اليه

يومئذٍ غلت الايدي بعض الشيء في بلاد الانكليز وكان من العمل

بزوغ فجر الحكومة النيابية عندهم ومن ثم انبثاق نورها الوضاح في سائر بلاد الحضارة

فالاصل الدستوري اذاً هو ان يرمى المال براءي النواب عن الاهلين الذين يطلب منهم · الا ان هذا ليس مرعياً في بلاد الاسكا لانها محكومة من الولايات المتحدة من غير ان يكون لساكنيها راءي في الامر لانهم يوءدون ما عليهم من غير تصديق مجلس نيابي فيهم او مشاركة نيابية لهم في مجلس الحكومة السائدة عليهم · فهم مغلوبون علَى امرهم في مالهم · ولكنهم باعتبار كون هوءلاء السكان العاملين الذين توءخذ منهم الاموال هم علَى الاكثر من اهل الولايات المتحدة المهاجرين الى الاسكا — وان نواب مجلسهم هم الحاكمون في موطنهم الجديد فلا جناح عليهم لان ضرب المال عليهم لايحسب رجوعاً بهم الى الاستبداد

مع ان نزلاء الاسكا من الاميركان وغيرهم يريدون لهم مشاركة في المجلس وتغييراً في السنن والاحكام السائدة عليهم مزيداً في تمتعهم بحقوق الانسان الحرّ ·

اما الضرائب الملقاة علَى نزلاء الاسكا فقد ادرّت علَى الولايات المتحدة من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٩٠٣ نحواً من عشرة ملايين دولار فانفقت منها علَى الادارة تسعة ملايين وبقي الصافي للخزينة مليون دولار · وهو مقدار كبير بالنسبة لحال البلاد حتى ان العقلاء يعجبون من الحكومة الاميركية كيف تقول في الاعتزار عن منح الاسكا الحكم المحلي ان القيام به يكلف مالاً لا تقوى الخزينة علَى تسديده حالة كونها تجد ذلك القطر يزيد دخله عن نفقاته سنة فسنة

ومما يجدر بنا ذكره ان الرسوم التي توءخذ عَلَى الاعمال في المدن النائلة حق البلديات تعود لمنافع تلك المدن من غير ان تتداخل الحكومة في شأنها وانفاقها فيكون مال البلدية عائداً اليها اما ما يستوفى من تلك الرسوم في المواضع الاخرى التي لابلديات فيها فقد قرر المجلس الاعلى الاميركي ان تعود رسوم العمل الى خزينة الدولة وان تبقى فيها بعنوان مال الاسكا ثم يخصص هذا المال لثلاثة اعمال . اولها يوءخذ من مجموعه الربع او اكثر حسب الحاجة لينفق على اقامة المدارس العامة لتعليم ابناء الجالية البيض وابناء الخلاسيين الذين يكونون عَلَى شيء من الحضارة ثانيها يوءخذ من المجموع خمسة في كل مئة او اكثر اذا لزم الامر للاعتناء بالمعتوهين .

ثالثها يكون الباقي بجملته مخصصاً لانشاء الطرق وتمهيدها ومرمة المتشعث منها وان تكون ادارة ذلك منوطة بلجنة من مفوضين ثلاثة يعينون من ضباط الجندية الاميركية .

وقبل هذا القرار كان ينفق من هذه الرسوم عَلَى المحاكم وعَلَى تعليم ابناء الهنود الوطنيين . وهذا من مميزات الاحكام في الاسكا — عَلَى ان مبلغ الرسوم كان يبقى منه بعد استيفاء كل النفقات المذكورة نحو سبعين الف دولار في السنة

يظهر من هذا ان حكومة الولايات المتحدة تريد ان تقوم بالواجب الذي عليها تلقاء طلبها الحق الذي لها . والا لضربت صفحاً عن اجابة الاسكا الى ما يوافقها .

وحسبك دليلاً عَلَى مبلغ عملها ما اخذناه عن رواة اخبارها — وهم لا يحسبونها قد اتمت كل الواجب عليها ولا عجزت عن اتمامه ولكنها عملت شيئاً واهملت

اشياء وللاحاطة بمبلغ ما تمّ عن يدها او سعت به نتسع في التفصيل والتعديد باختصار . فنقول

المدارس والمكاتب . ان الحكومة الكندية انشأت للقوم في داوسون مدرسةً يحتشد فيها نحو اربعمئة تلميذ وهي خارجية ينام طلبتها في بيوتهم ويأتونها في النهار محتملين مضض البرد والثلج عَلَى الطريق وانكى من هذا انهم قد يأتيهم الليل الطويل اي زمن الشتاء بظلامه الحالك مدة ثمانية اشهر فيضطر اولئك الصغار في ترددهم عَلَى المدوسة ان يحملوا بايديهم الفوانيس المضيئة ليستهدوا بنورها . ومكتبة هذه المدينة نشأت بهمة رجالها و باحسان اندور كارنكي الجواد الاميركي المشهور فافادت ذلك المجتمع الصغير البعيد عن العالم المتمدن

ولكن لم تكن حكومة كندا الوحيدة بعملها في تلك الديار ولا وقفت جارتها الاسكا تحسدها عَلَى نعمة العلم صائرةً اليها بل هي ايضاً نائلة حظها . فالمدن ذات البلديات تهتم بلدياتها بالانفاق عَلَى تعليم صغارها من الرسوم التي تتقاضاها وهذه نوم فان فيها مدرسة واسعة البنيان تزدحم فيها صغارها للتعلم ومثلها غيرها .

واما الحكومة فانها مذ ملكت البلاد جعلت تساعد الرسالات الدينية عَلَى تعليمها فكان لكل رسالةٍ مدرسة او اكثر وليس للحكومة من سبيل اخر لتعليم الصغار . وهذه الرسالات الدينية مختلفة المذاهب والاهواء ولكنها كلها تقصد نيل اربها بتعليم الصغار وهديهم بهديها ومع ان كثيرين من الناس لاموا الحكومة لاسترسالها الى مساعدة الرسالات فانها لم تبالِ لانها لم تقصد ما قالوهُ من

مساعدة تحزباتهم واختلافاتهم وانما رأت يدها قاصرة عن الافادة في طرق اخرى فاقدمت وجنت ثمرات عملها سيما بتعليم الهنود الوطنيين لان الصبر على مضض تعليمهم وتدميث اخلاقهم لايتأتى الا لرجال ونساء بلغ بهم التدين وقصد الغاية الدينية مبلغه فلا يكترثون بما يحول دون بغيتهم من الصعاب بل يغلبونها بالصبر والتوءدة بخلاف ما لو استخدمت لتعليم المعلمين الذين لا يقصدون من عملهم غايةً اسمى من الرواتب فانهم قلما يقوون علَى احتمال الاعباء طويلاً وفوق هذا فان الحكومة لم تلقِ للارساليات الحبل علَى الغارب ولا امدتها بالمال ينفق جزافاً علَى اهواء اصحابها من غير سيطرةٍ بل حفظت لذاتها حق مراقبة التعليم ووفت الوظيفة حقها من العناية . فنال الهنود لصغارهم تعليماً ابتدائياً حسناً وجعلت لهم فوق ذلك مدارس تعلمهم الصناعات النافعة التي يحتاجون اليها في بلادهم .

واحسن مدارس الارساليات واكثرها اتقاناً كما شهد السياح هي المنسوبة للصليب الاقدس والقائمة في الموضع المسمى كوزرفاسكي علَى نهر يوكون وعند مركز سيتكا .

فثمت يتعلم الصبيان استعمال الآلات واستخدامها في المواضع اللازمة ويتمرنون علَى الحرث والغراس وسائر ضروب الزراعة ويلقنون مبادىء صناعات جمة واعمال شتي واما البنات فيلقى اليهن علم ادارة المنزل وتربية الاولاد وخياطة الثياب . نعم ان فوائد تعليم اولئك الصغار لاترجى علَى اتمها لقصور التعليم وضعف اسبابه الا ان للصبيان خصوصاً فرصاً تسنح يقتدرون بها علَى اغتنام الفرص وممارسة الاعمال اما البنات فحظهن من الفائدة قليل كما هو الشأن

الغالب بين القبائل المتبربرة في كل مكان

قلنا ان اهم مدارس الارساليات هي المنسوبة للصليب الاقدس وقد زارها وفد مجلس الشيوخ الاميركي حين ساح في الاسكا فوجدها يديرها جماعة من الاباء اليسوعيين . ولهم عند سيتكا بقعة من الارض فسيحة الارجاء يزرعونها ويستغلون منها كثيراً من البطاطة واللوبياء والحمص والملفوف والقرنبيط والخس والفجل واللفت وغير ذلك من البقول والقطاني

وجملة المدارس التي تسعفها الحكومة في الاسكا غير ما شادت البلديات تبلغ (حتى سنة ١٩٠٤) ثلاثاً وثلاثين مدرسة يطلب التعليم فيها الفان ومئة تلميذ وتلميذة ومع هذا فان العارفين باحوال الهنود وطرق معيشتهم يحسبون هذا القدر من المدارس قليلاً عليهم لايفي بحاجة تعليمهم وتهذيبهم بل ان من الكتاب من يزعم ان القوم بلغوا من الانحطاط مكاناً قصياً حتى صاروا لايقتدرون على الافادة للناس ولا على منفعة انفسهم . غير ان هذا القول لايجد من الباحثين المدققين عضداً . لان التعليم والتهذيب اذا اخذ بهما في السبل القويمة انتهيا الى الغرض . ولكن الحكمة في سلوك السبيل المؤدي اليه بالرفق والتؤدة . والدليل على هذا ظاهر ايضاً في ذات الاسكا

فان قبيلةً من اشد الهنود الوطنيين بربرة وتوحشاً يقال لها تسيميين كانت نازلةً في بقعة اسمها متلا كتلا من اطراف البلاد الخاضعة لكندا وكان من جملة اعمالها الوحشية ان اهلها يأكلون لحم البشر فساق الله لهم رجلاً فاضلاً اسمه وليم دانكان (١٨٥٧) فشرع يتحبب اليهم حتى احلوه بينهم مكاناً رفيعاً من التجلة والاكرام ثم اخذ يعلمهم شيئاً فشيئاً فزادوه اعتباراً ولم يمض عليهم الزمن

الطويل حتى تنصروا وصاروا يعرفون بعض الصناعات والاعمال ويجهدون النفس في عمل يكسبهم رزقاً حلالاً فحسن حالهم ونعمت عيشهم · ولم يكن دونكان علَى فضله وتقواه من خدمة الدين ولذلك لم يتقيد بمبداء يسير عليه الى ما اراد من تنصيرهم بل علمهم من المسيحية فضائلها واكتفى ولكن جاءه من قبل كنيسة انكلترا العليا كاهن ليرى عمله فلم يستحسن ما جرى عليه ووقع من جراء ذالك الخلاف والشقاق · ومع ان معظم ابناء القبيل كانوا من رايه فان الحكومة الكندية نصرت الفئة القليلة التي تبعت المذهب المسيحي بفضائله ومبداه وابعدت الباقين عن المعبد الذي بنوه فاستحصل دونكان لهم الاجازة من حكومة الولايات المتحدة فرحلوا من وطنهم ونزلوا علَى مقربةٍ منه في جزيرةٍ من املاك الولايات المتحدة اسمها انت ايلاند فلما نزلوها بنوا فيها الدور والمباني ومن جملتها الكنيسة واقاموا يعملون اعمالهم الجمة

فهذه الشرزمة من الناس صعدت من احط دركات التوحش والبربرة الى حالة راضية من الحضارة حيث انتظمت اعمالها الخاصة والعامة وانتسقت ادارتها وصار لها شؤون ومنافع وظهرت علَى وطنها وكل من سكانه اثار العناية والنظافة مما يقصد اليه في تمدين المتوحشين

ومع انا سبق لنا فاتينا علَى هذه الرواية اثناء الكلام عن متلاكهتلا تجدنا اعدنا التحدث بها لاقامة الدليل علَى امكان نجاح الساعين في تعليم الهنود وتهذيبهم اذا روعيت شرائط اكتساب حبهم واعجابهم

الطرق — قلنا مراراً في تضاعيف هذه السطور ان الاسكا في اشد الحاجة لوسائل النقل لانها علَى ترامي الشقة بين اطرافها والابعاد الشاسعة بين

مدائنها تكاد تخلو من الطرق الممهدة فضلاً عن السكك الحديدية ومع هذا فالقطر لايخلو من بقاع جرت فيها قطر البخار

ومما يذكر ان الحكومة هنالك لاتطالب بالمساعدة المادية علىَ انشاء السكك الحديدية ولا بضمان المال اللازم لها وربعه لان الابعاد شاسعة والوف الاميال التي تحتاجها البلاد تكلف المبالغ الطائلة وليس في القطر من التجارة والصناعة ما يسهل عليها ضمان المقادير الفاحشة · لانحصار فائدتها بما تاءخذ من ريع المعادن وهي معظم نتاج القطر ·

نعم ان الاسكا تنال خيراً وافراً بتحسين المواصلات فيها وتمهيد سبل النقل ولكن الحكومة والشركات من ورائها لاتقدم علىَ المجازفة بالاموال ولا تطالب بهذا الاقدام مالم تتنسم خيراً من الانفاق عن سعة

وكأن حكومة كندا وقع لها مثل هذا الظرف ولاغروَ ان يكون كذلك لتشابه الموضعين ·

ومما يذكر عن عناية حكومة كندا بالمنافع العامة ان ادارة الطرق عندها من اكثر الادارات ضبطاً واحكاماً · وقد ادى ذلك الى استحصال الخير الاتراها والقطر الكندي احدث عهداً بالعمران من صيرورة الاسكا الى حكومة اميركا قد اصبحت راسخة القدم في التقدم · بل هي لم تكن ما هولةً قبل سنتي ١٨٩٦ و ١٨٩٧ حين اكتشاف الذهب في كلونديك فلما بان التبر وازدحم الناس سهلت الحكومة لهم الطرق والمعابر وانفقت مليون دولاراً عليها فما مرّت الخمس سنوات حتى غص بالحركة وجرت المركبات للركب والاثقال حتى ان لجنة المجلس الاعلى الاميركي لما جاءت القطر للفحص والتفتيش وطرقت داوسون

ام البقعة الكندية وحاضرتها دعاها قنصل اميركا والمدير العام للشركة التجارية الشمالية الى مناجم بونانزا والدورادو وفي نفس صاحبي الدعوة ان ترى اللجنة كيف نشطت حكومة داوسون لاصلاح الطرق ففازت بما تحسدها عليه الاسكا ذهبت اللجنة مسافة ثلاثين او اربعين ميلاً في مركبات تجرها الخيول وكل مركبةٍ تسع اثنى عشر شخصاً يسحبها اربعة رؤوس من الخيل

ونسق هذه الحكومة في انشاء الطرق وتمهيدها بسيط سهل لوجرت عليه حكومة الاسكا لافلحت واستفادت. ذلك أن حكومة اليوكون الكندية متى رأَت لزوماً لتمهيد طريق عزمت عليه وقدرت مايلزمه من النفقات رفعت بتقريرها الى حكومة كندا فيبحث فيه مجلسها ويخصص العمل بالمال واذا رأَت الجالية في اليوكون اضطراراً لانشاء طريق لاتصبر علَى الحكومة لتجري المعاملات وتحمل النفقات لئلا يعتاق عليهم اجتناء الفائدة ولكنهم متى لاح لهم اكتشاف مهم يرسلون المهندسين ويباشرون العمل ولهذا تجد قطر كلونديك مملوءًا بالطرق الممهدة

ومن اظهر الفوائد التي انتفع الناس بها ان البضائع كانت تحمل علَى الخيول فيؤخذ عنها نحو ١٥ سنتس عن الليبرا اذا كانت المسافة من ١٥ الى ٢٥ ميلاً اما اليوم فقد صارت الاجرة سنتاً واحداً عن الليبره لمسافة تتراوح بين ٢٥ و ٥٠ ميلا

ثم ان رجلاً نشيطاً اسمه جورج براكت اهتمَّ فمهد طريقاً للمركبات في الموضع المسمى هويت باس واجرى عليه المركبات للسفر والنقل فرأى الناس سهولة العمل وتهافتوا من كل صوبٍ علَى ركوبها والايغال في القطر توصلاً

الى كلونديك ورأى ارباب الاموال منهم انهم اذا جمعوا المال اللازم لمد السكة الحديدية يستثمرونهُ فيربحون —

واما حكومة كندا فانها انفقت نحو مليون دولار على اصلاح الطرق فمهدت من تلك الاصقاع سبلاً طولها ٨٧٥ ميلا — وقدّرت حكومة الولايات المتحدة ان نفقة الميل الواحد في الاسكا تتراوح بين الالف ريال والالف خمسمئة ريال لان الطرق عسيرة كثيرة الجبال والصعاب سيما بين فالدز وابكل ولكن يتخلل البلاد اقطار جمة اقل من تلك صعوبةً فلا ينفق عليها بنسبة ذلك وفوق هذا فان المعدنين ينفقون على نقل لوازمهم ونتاج عملهم مبالغ طائلة لو جمعت لاربت على ما يلزم لتمهيد الطريق

ولا ندري لما تحجم الحكومة الاميركية عن الانفاق على مدّ هذه الطرقات وتمهيدها للمركبات مع انها ترى ان وارداتها من الاسكا ذات قدر وقيمة وقد اربت على ما ادت من ثمنها . ومما نستغرب نحن الشرقيين سيما مما مرّ علينا ببلادنا من اعتقال القلم ان الاميركان انفسهم يؤآخذون حكومتهم اشد المؤاخذة على اهمالها وقد راءينا لاحدهم كلاماً يحسب معتدلاً بالنسبة الى غيره قال مامعناه ليس على حكومة الولايات المتحدة ان تنفق على الاسكا من مال خزانتها لان ذلك القطر يؤديها في كل سنة مئات الالوف من الدولارات فيربو ذلك عن مبلغ ماتصرف على القطر في سبيل منافعه العامة — فمن وارداتها تنفق على الادارة والقضاء وتاءخذ مايفيض الى خزانتها وتجود بتخصيصه للانفاق على مصارفها ولا يعارض قولنا هذا بان هذا المال الزائد لايكفي لبناء الطرق وتمهيدها لمركبات النقل والركب لان هذا المال سواء كفي او لم يكف فهو دين على

حكومة الولايات المتحدة لقطر الاسكا واهله فليس من العدل ولا الحكمة ان يترك سكانه يقاسون العناء والمتاعب في سبيل اعمالهم من غير ان تمدد حكومتهم لهم يداً للمعونة حالة كون مساعدتها ضرورية لتقدم البلاد ولها اسوة بحكومة كندا وما فعلت في ما يتبع دولتها البريطانية من قطر اليوكون · وفوق هذا فان الاسكا احسن من تلك البقعة واكثر قبولاً للارتقاء — ونحن نطالب العمل بالمبداء الذي تصرف فيه الحكومة المال من خزانتها لاصلاح الانهار والمراءي واقامة المراصد الجوية وارسال الباحثين للسواحل والشواطيء وتحسين البريد وامثال ذلك من كلما يحسن التجارة الداخلية والخارجية ومتى جرى ذلك ووقع النفع كان فيه ما يوءخذ مثالاً وما تعود به الحكومة راضية عما عملت · واذا كانت حكومة واشنطون لاتقدم عَلَى ذلك الا مستندة الى سابقة جرت لها فنحن لانعدم تلك السابقة وحسبنا ان نشير الى ماقدمت عليه في فليبين من بناء الطرق وتمهيدها · نعم انها قصدت اولاً في ما فعلت انشاء طرق عسكرية ليسهل عَلَى جندها الزحف ولكن مالبثت هذه الطرق ان افادت الجزيرة في تجارتها فحملت الحكومة ليس فقط عَلَى ابقائها للانتفاع بها بل عَلَى توسعتها بفتح طرق اخرى لاتجني الجندية منها نفعاً · فنحن نستطيع ان نعمل لالسكا ماعملنا لفليبين

فترى مما تقدم كيف يناهض القوم حكومتهم للاخذ بناصر الاسكا وكاءن هذه الاقلام المتضافرة عَلَى الخير قد جاءت بالفائدة المطلوبة لان الكونغرس اقرَّ عَلَى ارسال المهندسين لتخطيط طريق مركبات من فالدز الى حصن اكبرت في ا كل فذهب المخططون في صيف سنة ١٩٠٤ ورفعوا تقريرهم لنظارة

الحربية التي تشاد الطريق بعنايتها واقر المجلس ايضاً عَلَى ان تخصص بعض مكوس الاسكا للانفاق عَلَى منافعها فيلحق الطرق والجسور والمرافيء سبعون في كل مئة منها · ومبلغه هذا يناهز السبعين الف ريال في كل سنةٍ

سكك الحديد — اذا كانت طرق المركبات تحسب من ذرائع التقدم واسباب الرقي فما القول بالسكك الحديدية والفرق بين النوعين عظيم ؟ نعم ان البخار يعجز عن التطرق الى مواضع كثيرة تبلغها المركبات بملءِ السهولة ولكن مع كل ذلك يبقى المدى بين النوعين فسيحاً ·

مرَّ بنا الالماع الى سكة حديدية تذهب من سكاكواي الى هويت باس وهذا الخط خطر اولاً عَلَى قلب رجلٍ كندي اسمه كبتن مور فالتمس من حكومتهِ ان تجيز له مده فابت كندا عليه ذلك بحجة ان الموقع اميركي وبعدحين طلب ابنه فنال من الولايات المتحدة الاجازة وكان براكت المذكور قبيل هذا قد شرع يعمل في طريق المركبات حتى كاد يتمها فلما جاءت السكة ومدت خطوطها اشترت منه حقوقه واتمت العمل فبلغت المسافة ١١٢ ميلاً بدأَت من مساواة سطح الماء الى ما يناهز علوه ٢٩٤٠ قدماً ولكن بارتفاع تدريجي لم يتجاوز الاربعة في المئة

وفي بلدة نوم سكة اخرى اسمها ويلد كوز طولها تسعة اميال ليس الا وهي عَلَى حالها وقصر مسافتها ذات فائدة جلىّ لاهل تلك الديار

وكأن الاميركان يصدقون الشائع عَلَى السنة الناس ان ساحل الاوقيانوس عسير جداً من حد بورتلاند كانل حتى خليج كوك الواقع غربي فالدز وان عسره ناتج من علو الجبال والحق ما يقولون لان المسافة تبلغ من ١٢٠٠ الى

١٥٠٠ ميل وكلها شواهق ذات عقاب وحطام يعسر اجتيازها غيران البحث والتفتيش يوجدان من الضيق فرجاً فقد اهتدى مخططو سكة هويت باس الى منفذ بلغ بهم الى اعلاها وهكذا بحث رجال الهندسة من الاميركان فوجدوا منفذاً في البقعة المسماة كايستون كانيون وفي مجاز طومسون الواقع الى الشمال الشرقي من فالدز ورأوا ان بناء السكة في هذه الطريق ميسور لا تكتنفه الصعاب التي لا تعين للصناعة . وقد رأى المستر نلسون من لجنة المجلس الأعلى ذلك بأم عينيه اذ خرج بذاته من فالدز يصحبه بعض المهندسين فاخترق من تلك الهضاب خمسة وعشرين ميلاً حتى اعتلا مجاز طومسون فلم يجد ما يخالف القول المأثور . وبهذا تبين ان ليست الموانع الحائلة دون مد السكة من فالدز من طبيعة الارض بل بالحري من وجود المال اللازم للنفقة عليها لان المتمولين لا يفتحون اكفهم لمعاضدة العمل مالم يكونوا علَى بينة من الكسب .

ومع ذلك فقد تألفت شركة لمباشرة العمل لانها رأت ان الشركة التي مدت خط هويت باس قد نجحت نجاحاً مالياً كبيراً بحيث توفقت بمدة ثلث سنوات لكسب ما انفقت . ولما تألفت هذه الشركة لمد خط فالدز تسجلت في فرجينيا من الولايات المتحدة برأس مال بلغ زهاء العشرة ملايين دولار وباشرت بجمع المعدات لتبداء بالعمل . وهي اذا قدر الله لها ما ارادت من الامتداد اصابت نجاحاً وافراً لغنى التربة بذهبها وكثرة العملة فيها

البريد والتلغراف والتليفون — ومن الغني عن البيان ان نجاح البلدان وعمرانها لا يكون علَى اتمه الا اذا تيسرت فيها اسباب النقل وتقربت الابعاد . وهذا يمهد للتجارة رواجها . لان التقدم العام جعل وسائط النقل والمواصلات

في المقام الاول فلم يبقَ من مجال للارتضاء بحالة الازمنة الماضية حين كانت المراسلات لاتتم الا مع المسافرين · فان التاجر اذا كان ينتظر مسافراً لحمل رسالته واخر لنقل جوابها يقضي ايامه بلا عمل · فترى الحكومات الراقية تبذل وسعها كلما ملكت ارضاً في ان تؤمن سابلتها وتسير فيها بريداً منتظماً يحمل الرسائل من جهة الى اخرى

والاسكا ولئن كانت ترتادها السفن في زمن الصيف وترسو في اساكلها فتحمل اليها الرسائل من كل الاقطار فانها تخلو من هذه الصلة زمن الشتاء حينما يصير البحر جمداً ولا تقوى السفن على البلوغ اليها · ولكن سكانها لا يصبرون على انقطاع صلتهم مع العالم الخارجي فترى بريدهم يأتي الى داوسون محمولاً على سكة الحديد ومنها تنقله الزحافات التي تجرها الكلاب فوق الثلوج والجمد وتسير في عرض القطر حتى نوم · غير ان هذا البريد لا يفي بكل حاجات الناس · ولذلك يحسب قاصراً اذ لا يحمل الا الرسائل تاركاً الصحف والكتب الى زمن الصيف حين تكون الرحلة عليه ايسر منالاً فهو في الشتاء لا يخرج من داوسون حاملاً اكثر من اربعمئة ليبرا وهذا امر عظيم يشعر بفداحته الغربيون كثيراً لانهم مولعون بقرأة المجلات والجرائد وتلك لا يستيطعون الوصول اليها في الشتاء · لتعذر نقلها في البريد · حتى انه يقال ان بعض اصدقاء النازلين في الاسكا يخطر لهم احياناً ان يقتطعوا لهم قصاصات من صحف الاخبار ويضعونها ضمن رسائلهم ويحتملون نفقات البريد الفاحشة · ولكن اذا اشتبه القيمون عليه بالغلاف كأن يرونه كبيراً جداً اخروه ويحكى — والشيء بالشيء يذكر — عن شدة ولوع الافرنج بالجرائد واتباعهم المناهج التي اعتادوها ان منهم من يذدخر من صحف

الصيف عديداً فيحفظها لقرأته في الشتاء حين تحبسه الثلوج عن العالم الخارجي والبريد لا يخرج من داوسون الا مرةً واحدةً في الشهر فاذا اربى وزن الرسائل عن الاربعمئة ليبرة اخروا منها ما شأُوا الى الشهر التالي وهكذا

الا ان بعض المدن في الاسكا لا تعدم صلةً قريبةً مع العالم ولو كانت الثلوج حواليها ركاماً ذلك لان السلك البرقي يمتد منها الى غيرها فداوسون واكل ورامبرت وفورت كبون ونوم وفالدز وفيربنكس وغيرها كلها متصلة بخطوط التلغراف وهذه الاسلاك جعلت سكان تلك المدائن ارغد عيشاً لانهم ينالون بواسطتها اخبار العالم الخارجي ولا يفوتهم شيء مهم من حوادث اوطانهم واصحابهم سيما وانه نشأت عندهم بعض الجرائد وهي تنقل اليهم وقائع البشر فلا تقتلهم العزلة عن معترك الدنيا

واهتمت الحكومة الاميركية فاقامت في بعض المواقع تلغرافاً لاسلكياً وفي فايربنكس تجد احياء البلدة عامرةً باسلاك التليفون بل تمتد منها الى قرية تبعد عنها نحو عشرين ميلاً يقال شن

الفصل الثامن

(فوائد اخرى)

نهض رجال الجد والاقدام الراغبون في تقدم الاسكا وزيادة خيرها وعقدوا العزيمة الماضية علَى ان يعقدوا في سياتل معرضاً عاماً يسمونه معرض الاسكا ويا كون والباسفيك ALASKA-YUKON-PACIFIC EXPOSITION وان يفتتح في اول حزيران سنة ١٩٠٩ ويظل الى ١٥ تشرين الاول · فتم لهم ما ارادوا بل زادت سعة العمل علَى ما كانوا يتوقعون

لان بعض الامم شاركت الاميركان في اهتمامهم ونهضتهم فكان المعرض فخياً ولكن الفائدة لم تكن محصورةً في فخامة العمل بل في فائدة دراسة شؤون ذلك القطر وفي الاطلاع على ما صار اليه من التحسين · حتى انا ولئن كنا قد اتينا على كثير من احوال المكان رأينا ان نجول جولةً اخرى في بيان ما استفدنا من هذا المعرض الجليل وما قرأنا من اخبار البلاد المحكى عنها وما افادت الاحصاآت وما ادّت اليه ابحاث رجال العلم وموظفي الحكومة فان في البيان نفعاً

فقد ظهر من الاحصاء ان مساحة الاسكا تبلغ ٥٩٠٨٤٤ ميلاً مربعاً اي نحو خمس مساحة الولايات المتحدة وتبين ايضاً ان طول سواحلها البحرية يناهز ٢٦ الف ميل وهي سعة بالغة تزيد عن محيط الارض عند خط الاستواء

فهذه الارض الفسيحة لم تكن في زمن سيادة الروس عليها يعرفها الناس كما هي بل كانوا يظنونها ارضاً يباباً يحول الثلج والجمد دون الانتفاع باستثمارها ولذلك سهل على الولايات المتحدة شراءها من روسيا بسبعة ملايين ومئتي الف دولار سنة ١٨٦٧ · ومنذ يومئذٍ بداء الناس يهاجرون اليها قليلاً فقليلاً ويعملون فيها حتى بلغ مقدار مـا جنوا منها من الفرو حتى اخر سنة ١٩٠٣ بقيمة ٥٢ مليون دولار ومن سمك حوت سليمان بخمسين مليوناً واما الذهب الذي استخرجوه من ارضها من سنة ١٨٨٥ الى اخر سنة ١٩٠٦ فقد بلغت قيمته نحو مئة مليون دولار · فيا لها من صفقةٍ رابحة جعلت اسم عاقدها سيوارد عزيزاً مكرماً عند الاميركان وكل من جنى من ذلك الشراء نفعاً

ولم يكن الذهب الذي ظهر في مواضع جمة من وادي نهر يوكون معروفاً

للناس قبل سنة ١٨٨٣ ولكنها ما لبثت ان كشفت حتى تهافت رغاب الذهب الى البحث والتنقيب ففازوا بالكشف عنه في مواضع جمة — وهم ما برحوا يدأبون عَلَى البحث والاستخراج الا ان كثيرين من الناس يظنون الذهب وشيك النفاد عَلَى حكم المثل العامي عندنا القائل ان ما لا ينبع ينفد · فتراهم يتشاءمون بقرب نفاده ويوجسون خوفاً عَلَى عمران الاسكا اذا وقع الامر · ولكن المحققين ينكرون هذا وعلماء طبقات الارض يؤكدون وجود ركاز تدوم السنين الطوال · وهب لم يكن الذهب بذاته هو المعدن الذي يستخرجون فثمت معادن اخرى تدر عَلَى العملة فيها ارباحاً طائلة · من ذلك ما عرفه الناقبون من بقاع فسيحة عند ينابيع نهر تانا فيها المقادير الوافرة من النحاس والفحم الحجري ومواضع اخر في شمالي شبه جزيرة سيوارد مملوءة بالتنك وغير ذلك في مواقع اخر

ومن الغني عن البيان ان اقتصار الانسان في سعيه لكسب رزقه عَلَى التعدين وانتظار ما يصيب منه ليس بالنهج الطبيعي للكسب والا لو كان الامر كذلك لبارت تجارات الاقطار الجمة وضاعت ثروتها وتفرق اهلوها والحال غير ذلك مما دلّ عَلَى ان العمران يتأتى لكل قطر قام سكانه باعماله قياماً حسناً · وهذه الاعمال لا تنحصر في نوع دون اخر · انما العبرة بالنشاط في العمل والاقدام عليه حتى يدر كسباً

واهل الاسكا اذا لم يكن في تربتهم مناجم يستخرجون معادنها فلهم اسوة بسائر الناس في اقطار شتى واكثرهم ليسوا من طلاب المعدن ولكنهم يعملون اعمالهم الاخرى وبها ارتقوا وسعدوا — نعم ان الاسكا لم تكن لتجذب الناس اليها او تستلفت انظارهم الى شؤونها لولا وفرة معادنها — فاذا كانت هذه المعادن

بحيث لا يطول امدها فانها كما اهدت الناس اليها واستهوتهم بسكنى قطرها لا بدَّ ان تدفع بهم الى اتخاذ وسائل العمران واستزادة ذرائع الحضارة فلا يمضي الزمن الطويل حتى يصير مجتمعهم الزاهر قائماً بذاته يمد بعضه بعضاً باسباب البقاء والمحافظة عَلَى شاءنه فيحاكي سائر المعمور — وان ظلّ التعدين كان مزيداً في ازدهائه

واما عدد السكان في الاسكا فقد احصي سنة ١٩٠٠ جرياً عَلَى نهج الولايات المتحدة فبلغ ٦٣٥٩٢ نفساً منهم ٣٠٥٠٧ من الاوربيين والاميركان البيض و٢٠٥٣٦ من الهنود الوطنيين و٢٤٨٩ من الاسياويين والزنوج — ولا يعلم ما يبلغ عديدهم في الاحصاء الذي يتم هذه السنة وانما يظن انهم يزيدون عمّا ذكر لانه يقدر ان البيض زادوا زهاء العشرة آلاف

والظاهر من مجرى اعمال هؤلاء القوم ان تجارة الفرو التي كانت في الزمن الروسي ذات المقام الاول في الاسكا واستمرت عَلَى شيء من عزتها في السنين الاول من دخولها في حوزة اميركا قد باتت الان احط شاءناً واضعف خطراً منها اولاً — ولذلك سببان اولهما تهافت الناس عَلَى التعدين وثانيهما ان تكاثر الساكن افضى الى نفرة الحيوان من مرابضه الاولى الى الجبال البعيدة والغابات التي لايدنو منها الانسان الا عَلَى قلة

اما الحيوانات التي يسلخ عنها جلدها ويتخذ فرواً فهي عديدة واهمها عَلَى ما قال الباحثون من الانواع المسماة بالانكليزية BEAVERS و MINK و MARTEN وضروب الثعلب (FOX) بين احمر واشهب واسود وفضيّ وكذلك الذئب والدب والكاريبو CARIBOU و MOOSE

واما الاشتغال بحوت سليمان وصيده وتجفيفه وتمليحه ونعبئته في علب من التنك فهو يزداد زيادة فاحشة لان كثيرين انصرفوا اليه بملء جهدهم وشادوا له المعامل حتى بلغ الحاصل في اخريات الايام مقداراً كبيراً هو عشرة ملايين علبة مملوءة منه ·

وليس حوت سليمان بالسمك الوحيد الذي يوجد على شواطئ الاسكا وفي انهارها بل ثمت سواحل وسيعة تقدر مسافتها بمئة وخمسة وعشرين الف ميل مربع كلها تسبح فيها اسماك القد ولم تنصب فيها لصيده من قبل الشباك فهي ارض بكر للصيادين ولابد ان يقتحموا الانتفاع منها فيصيدون الالوف المؤلفة من هذا الحوت ويستخرجون زيته بالطرق المألوفة ويصدرونه بالمقادير الوافرة وينتفع الناس بهذا زيت السمك الالاسكي كما ينتفعون مما يؤخذ من المصائد في البلدان الاخرى

ومما ظهر للباحثين في الاونة الاخيرة ان ما ورد عن حالة الجو في وادي نهر اليوكون ووادي نهر تانانا غير ثبت · فقد سبق الرواة فقالوا ان اشهر الصيف هنالك من تموز وآب وايلول وتشرين الاول كلها تشرق فيها الشمس فتحيي موات الارضين وتبعث الحرارة في التربة وانها لاينزل عليها المطر في مدى تلك الشهور الا رذاذاً في اوائلها وتظل في سائر الفصل ممتعة بالشمس حتى اواخر ايلول فينتابها وتثلج احياناً فيه وفي تشرين الاول ويكون ذلك فيها طليعة الشتاء المقبل · هذا ما رواه الرواة قبلاً ولكن البحث الدقيق الذي قام به الرواة المتأخرون دل على ان الصيف عندهم غير ذي امد طويل ولكن شمسه تكون شديدة الاثر فتفتح الزهور اكمامها وتضوع اريجها وتخرج الارض

ديباجها الاخضر ويذوب الثلج عن الاكام والتلال فيسيل ماؤه في الوديان فيملاء الانهار ويزيد الصيف نفعاً وجمالاً . ومن مميزات هذا الفصل ان الشمس تبقى مشرقة مدى الاربع وعشرين ساعة اي انها لا تغرب قط وهذا الشروق المستمر من جملة الاسباب الفاعلة في تسريع النمو والنضج الى درجة عجيبة تكاد لا تصدق واما العشب فان نماءه غريب اذ يعلو فيطاول قامة الانسان

اما البرد في فصل الشتاء فانه يقرص شديداً بحيث يكون في اخف حالاته تحت الصفر ولكنه يتدرج انحطاطاً حتى يبلغ السبعين درجة تحته والمعدل المتوسط هو الثلاثون درجة

كل قطر نزل الثلج فيه كثيراً وبلغت البرودة فيه مبلغها فجمد منها الماء وامتد واشتد تكون فيها من ذلك الثلج وهذا الجمد ركام ثلجية يقال لها في الانكليزية Glaciers وهي عبارة عن مقدار عظيم يتراكم فوق بعضه في بقاع من الارض ثم يتحرك فيها ويزحف زحفاً بطيئاً ولكنه شديد يجرف فيه كلما يلقاه في سبيله ولو كان صخراً صلداً . وهذا الجرف هو الذي يحسبه العلماء كان واقعياً في بعض الازمنة السابقة عهد التاريخ ويطلقون عليه اسم زمن الجرف Drift age

في الاسكا يلقى المسافرون هذه الظاهرة الطبيعية ويشهدون لها حالات ثلاث يعرفون عن الاولى منها بالركام الحية Liue Glaciers وهي ما انبسط منها في بقاع من الارض يتصل الجرف منها الى البحر المحيط واما الثانية منها فهي ركام الالب ويريدون بذلك انها شبيهة بما يعرف الاوربيون منها منبسطاً على

جوانب جبال الالب في سويسرا والضرب اثالث هي الركام الميتة Dead Glaciers ويعنون بها تلك التي كانت تتصل بالبحر ثم حالت دونها بعض الفواصل

ولتجدن في الإسكا عديداً من هذه الركام الثلجية . وكلها تخرج من ذوبها انهاراً كباراً مفعمةً بالماء فتحمله الى البحر بعد اذ تنساب في الاودية والوهاد فعلى مقربة من سكاكواي . تجد ركاماً كبيراً يطلقون عليه اسم حرف S لانه يتعرج مثله

ولم يكن السياح يجسرون عَلَى الاقتراب من مثل هذه الركام ولكنهم صاروا اليوم اقدر منهم واحكم فاستطاعوا ان يسبروا غورها وان يصوروها . وقد اتفق لغير واحدٍ منهم ان نال حظه من دراستها وانعام النظر فيها حتى صار السياح لا يحسبون الواحد منهم قد اتمّ ما قصد من ارتياد القطر مهما بالغ في الاستقصاء وجاب من الحزون والسهول ما لم يسبر الركام الثلجية ويتفحصها ويقيم فيها يوماً او بعض يوم ويرى بام عينيه تأثير الاشعة الشمسية متكسرةً عَلَى سطحها متألقة بانوارها الشتى المترجرجة . ومن اعظم الركام قدراً واكثرها اتساعاً ما وقع عَلَى مقربة من شواطىء بحيرة اتلين في قطر كولومبيا الانكليزية وهي تمتد فوق تلك الحزون والتلال مسافة اميال . وترى الناس يقصدونها من اتلين لا لغرض اخر غير التمتع برؤيتها وكشف شيء من شؤونها حتى ان المصورين بالشمس قد تمكنوا من رسمها بما تسنى لهم من ارتقاء الفن

ومن هؤلاء السياح من يندفع بالجرأة والاقدام الى تسلق الركام لا يعباء بالخطر . غير ان الفائدة التي ترجى من ذلك قد لا تكون موازية للخطر سيما اذ كان السائح غير ذي معرفة وحكمة فقضت الضرورة عَلَى الرغاب ان يعتمدوا من

الادلة اكثرهم خبرة في مظاهر الثلج لان الدليل اذا لم يكن حاذقاً اغترّ بما يبدو لديه فيغرر بمن لحق به ويذهب الجميع ضحية الجهل والغرور

ومن هؤلاء الرواد من يتسلق الركام في الاسكا كما يتسلقون اخواتها في اوروبا فالضرورة تقضي عليهم ان يتجهزوا بمثل ما يتجهز اولئك اي بعصا طويلة تعرف بعصا الالب يتوكأُون عليها في السير والتسلق ويتخذون من طرفها آلة تحفر في الثلج درجاً يصلح لرقيهم عليها واذا اضطروا استعملوها كلها لتعديل موازنة اجسامهم

ومما يذكر ان بعض هذه الركام تعلو عن سطح البحر علواً شاهقاً كأَنها الجبال الشوامخ اي انها تبلغ في ارتفاعها ستة الآف قدم وبعضها اقل من ذلك واما الوانها فتبدو للناظرين عن بعدٍ ناصعة بياضاً وفي الاحايين تظهر مدبجة بالوان شتى تكتسبها مما حولها او من مؤثرات اخرى

ان من المشاهد الرائعة مرأى ذوبان هذا الجمد العظيم الذي تتسربل به البلاد ثوباً ناصعاً من البياض وانه لمنظر يفتن الالباب بجماله واحسن موقع له يظهره بكل مزاياه هو مجرى نهر اليوكون سيما في اقصى شماليه حيث ترى القطع الهائلة من الثلج بعضها يعلو غيرها وبعضها ينبسط علَى الارض براً كان او ماء جمداً ومنها ما يكسو جوانب التلال والآكام وقد يتأَلف من تجمعها علَى بعضها جدران عالية بينها متسع منبسط وانها تظل كذلك حتى يأْتيها الذوبان فيهد من اركانها ويخرج منها سيلاً لا يقف في سبيله شيء . واذا مرَّ بزورق اوسفينةٍ حملها الى النهر وزجهما بتياره بل قد يلحق بالرصيف فان اعترضه نثر مجموعه وبعثر قطعه

فترى السياح ومنهم من يقصد تلك المواقع ليرى بام عينه مبلغ الذوبان وشدة حوله وبهجة منظره اذ تنفصل في حينه القطع عن جملتها وتفكك عن مجموعها وهي يومئذٍ اشد خطراً علَى اللاجي الى ظلها او المستأمن الى شدتها لانها تذوب فتصير سيلاً جارفاً

***

مرَّ بنا ان اهل الاسكا الاصليين هم من الهنود الوطنيين وقد عثرنا في العهد الاخير علَى مباحث في تاريخهم وعاداتهم تفيد المطلعين عليها وتقرّب لاذهان الوطنيين الراغبين في سكنى تلك الديار او السياحة فيها شيئاً مما يجدونه بين اولئك الاقوام وكان بودنا ان نذكرها كلها جملة واحدة ولكننا رأيناها طويلة الذيل فاجتزأنا بذكر خلاصتها وهي

يرى السياح في طول الاسكا وعرضها وفي كل مكان منها يسكنه اهلها الاصليون او كانوا ساكنين فيه عمداً مرتفعة وعليها صور حيوانات وطيور مما يسمى بالانكليزية لهذا اليوم Totem Poles فيدهشهم ما يرون ويضرب بعضهم في اودية الحدس والتخمين فلا يفقهون لها معنى والحال ان الباحثين الذين جاسوا خلال ديار اولئك الاقوام المتبربرين واستطلعوا شؤونهم عرفوا منهم ان تلك العمد عبارة عن انصاب تقام علَى قبور موتاهم فيرسمون عليها شعارهم وتكون كأنها العلامة الفارقة لعيالهم وانخاذهم . فهي من هذا القبيل خليقة بان تسمى القبريّات كما اثبت الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف في المقتطف الاغر تعريباً لما يسمى عند الانكليز Epitaph اي الكتابة علَى القبور

الان الالاسكيين لا يعرفون الكتابة فيستعيضون عنها بالرسوم والصور التي

يراها الناظرون اليها منتشرة بين مساكنهم فيحسبها غير الخبير اصناماً ويعبدونها وينصبون العمد لها احتراماً واكراماً وحقيقة الحال ان هي الا اشارات ورموز يتخذونها من رسوم الحيوانات والطيور للدلالة عَلَى الميت واسرته اذ يحسبون تلك الصور كالشعار للبيوت والعيال والافخاذ والقبائل · فاينما وجدت فهي كالسجل المنبيء عن صاحبها المشادة له وعن نسبه

وانك لترى هذه القبريات قد صارت درساً لبعض الباحثين قرأُوا فيها حوادث وسمعوا عنها من الروايات مثل ما تقصه العجائز عَلَى الصغار فاستنتجوا من جملتها انها صادرة عن الفطرة الساذجة التي يمرح فيها هذا الشعب الخامل

ومن العجب ان جهل القوم عَلَى مبلغه البالغ فيهم لم يسلبهم حسن الرسوم والحفر حتى انك لتجدنهم يمثلون صورهم كما ارادوا مشخصة النوع تشخصاً اجمالياً حسناً · وهذا التشخيص يدل بذاته عَلَى ما يرمزون اليه من الحوادث التي يحسبونها من مفاخرهم وفيها ما يشير الى نسبهم · وصناعة هنود الشمال عَلَى اختلاف قبائلهم الجمة تدل عَلَى الحذق والمهارة وبلوغهم بالصناعة حد الاتقان كما شهد بذلك كثيرون من الرواد الذين شهدوها سيما في ماقام عَلَى النصب الباقية حتى اليوم في اسواق المدن الشمالية التي تطرقها البواخر والسفن في كل صيف مثل رنكل وكاتشيكان وتونكاس وكليسنو وكازان وهوكان وغيرها

ولكل قبريةٍ رأْس او تاج يصنع ممثلاً شيئاً وهو عَلَى الاكثر دليل النسب ومما يرى بين القوم ان المتوفى اذا كان ضعيف الحال لم يكن تاج قبريته كبيراً فاذا استغنى ابنه بجهده في الصيد والقنص او غير ذلك مما يتيسر للهنود عمله رفع شأن الرأس الذي يتوج به قبرابيه ليماثل المقام الذي ادركه بين قومه

ومما ذهب اليه الباحثون ان قبريات هنود الاسكا المعرفين بالهيدا هي من طرز واحد وان تيجانها يغلب فيها تمثيل · النسور والغربان والذئاب والدببة · وقد يمثل فيها احياناً الحيوان او الطير الذي يتخذون اسمه اسماً لاحد ابناء المتوفى مثال ذلك ان الرجل اذا سمي ابنه نسراً فعند وفاته يمثلون النسر على تاج قبره

ويغلب في القوم ان ينصبوا هذه القبريات عند مدخل مساكنهم فيكون ذلك حجتهم الواضحة في امتلاكها ومنها يعرف تاريخ عائلتهم وبها يحفظون انسابهم · لان الرسم الذي يعلو النصب هو على كل حال شعار صاحبه اي الذكر الاكبر في العائلة · واما الرسوم الاخرى فتدل على وقائع البيت فالعائلة فالفخذ فالقبيلة دلالة رمزية يعرفونها من اساطير حكاياتهم ·

الاان الباحثين عن الهنود الجنوبيين لا يرون انهم يعرفون شيئاً وثيقاً من تلك الاقاصيص وبالنتيجة لايهتدون الى تاريخ ذويها كما هو حال الباحثين في الشمال · وهذا جعل الميزة عظيمة بين الفريقين سيما وان القوم عرفوا شيئاً من اساطير الشماليين وغمت عليهم معرفة خرافات الجنوبيين ولكنهم ادركوا من اجمال المغزى ان اولئك المتبربرين يدينون لدين روحاني ولكنهم يعتقدون باشياء مادية شتى يصورونها على قبرياتهم ويحترمونها كل الاحترام حتى انه ما من واحد منهم يراها الا وتقوم في نفسه الاوهام والخرافات فيؤديها واجب الاعتبار والوقار

ومع ان دراسة هذه الاساطير مما يلذ ويفيد فلقد مرَّ على الباحثين سنون جمة وهم لا يستهدون الى تفقه حالها ولكن الاب دانكان الذي روينا عنه خبر تعليم الهنود في متلا كتلا وتنصيرهم وتهذيبهم توفق بما سمع من الحكايات الى

ادراك ما يقولون عن تاريخهم وبالنتيجة الى فهم رموز القبريات وعنه اخذ رواة هذا التاريخ

قالوا انه منذ عصور مضت رأى الهنود الوطنيين ان يجعلوا ميزةً على قبورهم تفرق بين ابناء القبائل الأربع فاتخذوا تيجان قبرياتهم وشرعوا يقيمون عليها شعاراً مخصوصاً باحدى الاربع قبائل وهي قبيلة كيشبوتوادا وقبيلة لاكشكيك وقبيلة كنادا وقبيلة لاشيبو · فالقبيلة الاولى وهي اكثر الهنود انتشاراً في الاسكا واوفرهم عدداً تتخذ شعارها الحوت المحرشف ظهره او الدب الاغبر او القطا او الشمس والنجوم وشعار القبيلة الثانية النسر والسمور وضرب من السمك وشعار الثالثة الضفدع والغراب والسمك المعروف بالنجمي Starfish والثور وشعار الرابعة النمر والدب الاغبر والحدأة

وللقوم في هذه الرسوم الممثلة اعتقاد غريب هو انها ذات قوة عجيبة مكنونة في تمثليها تلك المخلوقات · وانقسام الناس الى القبائل الاربع يدل عليه اتخاذهم شيئاً من هذه الرسوم واعتبارها قوة علوية لهم تضمهم اليها — فهي لذلك تجعلهم كالانسباء ابناء العائلة الواحدة الذين يجري في عروقهم دم واحد

فتراهم مهما تباعدوا سكناً ومهما قامت بينهم الخصومات والحروب الدامية واشتدت الشحناء ليرجعون عن بعضهم ويعودون الى الوداد والولا اذا ثبت لهم انهم من نسب واحد· بل يروى عن قوم منهم يقفون للحرب ازاء بعضهم فاذا عرفوا منازلهم من ابناء قبيلهم حجبوا دمه او كفوا عن اسره واتخذوا ولياً ·

ومتى سئل هؤلاء المتبربرون عن منشاء هذا النسب وما جرّ بذيله من العادات اشاروا الى عصور مضت كان فيها اسلافهم يسكنون بلاداً زاهية

زاهرة وافرة الخيرات يومئذٍ على ما يعتقدون عرفوا مقام هذه الخلائق التي يمثلونها وادركوا ان لها مثالاً روحانياً مستوراً عن الناس لم يكن يعرفه الا اباء العيال الاولون

واغرب من هذا ان كثيرين منهم يروون بالحديث المتصل اليهم اباً عن جد ان طوفاناً عاماً طغى على الارض فشملها كلها واغرقها بما فيها فلم يبق فيها ذو حياة الا الذين ركبوا زوارقهم فحملهم التيار وجرفهم جرفاً الى مواضع بعيدة فتبعثوا عليها ونزلوا الى البر بعد انخفاض المـاء وظهور اليابسة وسكنوا وتناسلوا فنشأت القبائل الجديدة من اعقابهم ·

ويقولون ان بسبب هذا الفيضان اصبح الانسباء وكل فريق منهم في مكان فاتخذوا الشعار المميز لهم وما برحوا يتمسكون به لاظهار نسبهم فينصبون انصابهم ازاء بيوتهم او اكواخهم · بل ترى مطمح انظار كل النافذين في مجتمعاتهم ان يرسم واحدهم تلك الرموز على ما يملك من متاع واثاث وكلمات كبير عائلة تنصب له قبرية ازاء كوخ خلفه ولهم من هذا الانصاب فائدة اخرى هي تذكيرهم بانسابهم ولا يتزوج ابناء القبيل الواحد بنات الاخر بل ان في بعض الانفاذ موانع تحول دون اخذهم من بنات بعض انفاذ قبيلهم كما هو شأن بعض العيال ايضاً حتى في بلاد الحضارة سيما بين الذين رانت على قلوبهم خطارة مراكزهم او كانوا من بيوت مجدٍ سلف

ومما يدل على شدة تمسك الهنود بولاء انسبائهم ان الغريب منهم اذا دخل ربعاً كان اهلوه مسالمين او عداة وطرق بيتاً من ذوي نسبه لا يلقاهم غرباء عنه انما يفتحون له اكواخهم بل قلوبهم وينزل عندهم على الرحب

والسعة ويقدمون له طعاماً ومبيتاً

فاعظم بمثل هذه الانساب التي يتذرع بها بعض الناس للاخاء بين طبقات البشر ويتهم يعلمون ان الاخاء التام بين كل انسان وآخر مما لا ريب فيه وانه اذا كان النسب يمنع المتبربرين عن اهراق دمائهم هدراً في سبيل شحنائهم فكم بالحري يجب ان يكون الاخاء البشري موثراً في اهل الحضارة والتمدن دافعاً بهم الى نشر السلام والحب والوئام

كلمة

في مهارة الهنود الوطنيين بصناعة السلال

ان العمد والانصاب التي تنصبها الوطنون عَلَى قبورهم تدل كما مرَّ بنا عَلَى مبلغ حذقهم الصناعي وحدة تصورهم وانهم لو تعلمون لمهروا سيما في الرسم والتصوير والحفر والنقش لانهم زاولوا العمل منذ اجيال مضت وجعلوا اقامة تلك النصب جزءا متمماً لوجودهم بل علامة فارقة لهم عن سواهم . جعلوها كذلك لا عن قصد منهم في جعلها بل لانهم اتخذوها حافظاً لانسابهم فصارت لهم كذلك ولكنها اي تلك النصب والعمد ليست بالشيء الوحيد الذي يدل عَلَى صناعتهم واحكامها بل لهم اعمال يدوية اخرى تدل عَلَى مهارتهم من ذلك اصطناع السلال . .

وسلالهم هذي نالت لدى الاوربيين والاميركان شهرة عظيمة ورواجاً كبيراً لجمال اشكالها وضبطها ودقة صنعها ولذلك يكاد لا يخلو بيت من واحدة منها تزين بوجودها القاعات فضلاً عن المتاحف واعظم ما يكون طلبها والرغبة فيها بين رواد القطر والمتصلين به في التجارة والعمل .

واحسن انواع السلال واتقنها هي المسماة اتو ويا كوتات نسبة لقبيلتين تسميان بهذين الاسمين فاما اتو فانها اسم جزيرة واقعة في اقصى الغرب من جزائر اليوت عند الدرجة ١٧٢ من الطول الشرقي والدرجة ٥٣ من العرض الشمالي وموقعها هنالك يفضي بها الى الخلو من الاشجار الضخام ولذلك فاهلوها لا يجدون من اصول الشجر (الشروش) ومن لحاء يه ما ياء خذون ليدخلوه بين النبات الذي يصطنعون منه السلال كما هو الحال بين قبائل الهنود الاخرين من سكان جنوبي الاسكا فيضطر اهل اتو للاقتصار في صنعها علىَ ما لديهم من العشب النامي فينتقون منه اشد سيقانه ثباتاً واكثرها تماسكاً ٠

فتأخذنسأوهم تلك الاعشاب وتجففها وتحوك من سيقانها وقضبها سلالاً لاتبارى بجمال شكلها ونعومة ملمسها ودقة عملها ٠ وقد مرّت عليهن العصور وهن يصنعن منها كثيراً فهرن وزادت مهارتهن بتوارث الميل لصنعها ٠ ولقد كانت تلك السلال في ما مضى من الزمن تصنع بلون قشها الطبيعي واستمرّ حالها كذلك حتى جاء التجار السابقون فاتصلوا بصناعها فعرف هؤلاء منهم الالوان المختلفة وسروا بها فجعلوا يستبضعون منهم غزلاً من الصوف والقطن بالوان شتى ويحوكونها مع القش فيزينون بها سلالهم ويظهرونها بمنتهى الجمال

ولم يكن للسلال من قبل عندالقوم قيمة ولاهم يصنعونهالاستدرار الرزق بصنعها اما وقد صارت رغيبة الاميركان خصوصاً فقد اصبحت وهي ذات قيمةوقدروصار صناعها يكتسبون من عملها فتعالت اثمانها حتى ضاعفت ما كانت تشترى به من قبل٠

وهذه السلال المتقنة افضت الى اعلاء اسمها وادعاء بياعها ومحرزيها بان

ما عندهم منها هو من صنع اتو مع ان الحقيقة هي ان اهل الجزيرة قليل عديدهم ولم يسبق لهم زمن كانوا فيه كثاراً بحيث تصح نسبة العدد الكثير من السلال الموجودة الى صنعهم · اما اليوم فقد اثبت بعض عارفيهم ان النساء العاملات في اصطناع السلال لا يزيد عددهن عن الاربعين امرأة · ذلك لان الباقيات من نساء القبيلة يشتغلن بصنع علب للفائف التبغ (السكاير) · كل هذا يجعل لسلال اتو قيمة تتراوح بين الخمسة وعشرين دولاراً والمئة وخمسين وذلك بنسبة اجادة الصنع وجمال الشكل

ومما يروى انه منذ بضع سنين وقعت المجاعة في جزيرة اتو فاصابت اهلها بالبلاء حتى كادت تفنيهم فانبرى جماعة من كرماء الولايات المتحدة واكتتبوا لاغاثتهم بشيء من المال فلما اتصل الخبر بالآنسة هلن كولد Miss Helen Gould وهي بنت المثري الشهير ووارثة قسم من ثروتـه الطائلة فتحت كفها بسخاء وادرت عليهم من جودها وابلاً احيي في الانو نفوسهم وانعش قلوبهم · فلم يرض اولئك القوم الفطريون ان يكونوا كالدمى لا يشعرون بالاحسان ولا يرعون الجميل بل نهضوا كالرجل الواحد واجابوا نداء عجوز منهم اقترحت عليهم اصطناع سلة كبيرة الحجم لم يسبق لها عندهم مثيل · وكانت العجوز كليلة النظر ولكنها صناع اليدين فلم تقعد عن العمل بل صرفت فيه شهوراً حتى اتمته وبعثت به هدية للمحسنة الجواد فقبلتها تلك الحسناء شاكرة وحفظتها في دارها بين طرف الصناعات · وحقها ان تكون كذلك لان الناظرين اليها يقولون بانها نادرة لا تجارى في مضمار الصناعة

اما الياكوتات فالحق انها ليست باسم يطلق علي قبيلة واحدة · ولكن

حدث ان ثلاث قبائل تسمى احداها ثلنجيت والثانية تسيمشين وثالثها هيداس . جأت كلها فنزلت على الشاطىء الجنوبي الشرقي من الاسكا . وسكنت متجاورة متحدة . مع ان لكل منها لغتها الخاصة بها المختلفة عن اللغتين الاخريين كل الاختلاف . الا ان هذا الجوار ووحدة المصالح جعل القبائل الثلاث تتخذ لها في التفاهم ما بينها لهجة مستمدة من اللغة التي تتكلم بها القبيلة الاولى اي ثلنجيت واكثر ما يكون هذا التفاهم بينها في المصالح التجارية

ولقد كانت قبيلة ثلنجيت قبلاً ساكنة في الجزائر المسماة الملكة شارلوت فطردتها قبيلة هيداس منها فصارت لهذا العهد نازلة من حدود تلك الجزائر شمالاً على مدى الساحل حتى خور البرنس وليم وهي تمتد احياناً عند ستيكين ونهر تاكو صوب الداخلية اما السلال المسماة باليا كوتات فما اظهرها للعالم الا رجال هذه القبيلة اي بنو ثلنجيت لانهم هم الذين ابرزوها من قديم الزمان الى اليوم على ان طلاب هذه السلال مولعون باستحصال القديم منها ولذلك ترى الرواد واهل السياحة اليوم يلتمسونها ويسعون اليها بكل سبيل

فترى رغابها يجوبون ربوع اولئك الصيادين باحثين في اكواخهم لعلهم يصيبون سلة قديمة العهد بالية القضب استعملها اصحابها طويلاً ثم رموا بها او اهملوها فاذا هي صارت لهم مغنماً يفوزون منه بالثمن الفاحش رزقاً حلالاً لانه الاثر الباقي لصناعة قوم حط عليهم الدهر بكلكله فجعلهم يسرعون الى الانقراض

وتمتاز سلال هذه القبيلة بزخرفها الكثير عند حافاتها وبانها تحاك من اصول الاشجار والياف الاعشاب وانها تصبغ بالوان نباتية تؤخذ وتسوى على

منهاج لم يكن يعرفه من الناس غيرهم ولكنه اطلع عليه الفرنجة منذ بضع سنين

ومما يذكر لهذه القبيلة وصناعها انهم يزيدون عن غيرهم معرفة بالاشكال الهندسية واتقان رسمها وتحكيم الزوايا . وكأن هذا كان شائعاً بينهم ولهم في تعميم رسمه على مصنوعاتهم ميل عام بحيث لا يخلو منه عمل . ولذلك صار كالعلامة الفارقة لاعمالهم وبها يستدل جامعو السلال على صناعتهم ويميزونها

اما الصباغ النباتي فعلى ما قيل انه اصبح بين القوم اثراً بعد عين لصيرورة تهيئته في خبر كان بعلة ما يجدون من سهولة الانتفاع بالصباغ الافرنجي ولئن كان اقل من ذاك بهاء واقصر عمراً ولقد كانت سلال الياكوتات لاصحابها ماعوناً مفيداً يقضون به كل حوائجهم حتى الطبخ اما الان فبالكاد تجد منها سلة في بلدتهم ياكوتات او حواليها لكثرة الطلاب وقلة العمل . على انه لا يعدم الراغب فوزاً بما يريد من هذه الطرفة اذا قصد القرى البعيدة الاطراف واوغل بين ربوع الهنود وفتش واغرى بالمال . واكثر ما يجد منها السلال القديمة العهد لانها بقية صناعتهم قبل ان لحقت بهم رجال الحضارة

ولهؤلاء الهنود الفطر بن طريقة حسنة جداً في اخذ اصول الشجر واستخراج اليافها وتهيئتها لما يريدون ذلك ان النساء العارفات فن حوك السلال والمتمرنات على العمل واحتمال مضضه يذهبن جماعات الى الاحراج والغابات فيقصدن الاشجار الفتية لان حداثة عهدها بالنماء لا تكسب اصولها (شروشها) متانة وصلابة تعدمانها الجودة المطلوبة ومتى عثرن على الشجرة يحفرن حول جزعها وينتقين اصلها الغض الرطب فيستخرجنه اصلاً فاصلاً وكل واحد طوله من الخمسة اقدام الى الخمسة عشر ولا تزال النساء مقيمات في الغاب

عاملات مجدات اياماً طوالاً حتى يجتمع لديهن مقدار كاف من تلك الاصول يكفيهن في عملهن مدى شهور ثم يحملن ما جمعن ويرجعن به الى الربع مسرورات بفوزهن

ومن ثم تأخذ المرأة ما جاءت به من الاصول واحداً فواحداً وتكشط عنه القشرة الظاهرة كشطاً لا يمس البدن بسوء · ثم تضع الاصول المكشوط عنها في قدر تغمره بالماء وتوقد النار تحته حتى يغلي الماء غلياناً قليلاً · وبعد هذا تعود الى تلك الاصول فتغمرها بالماء البارد وتتركها تنتقع فيه مدى اسبوعين او ثلثة · ومتى تم هذا تنظر المرأة الخبيرة في نقيعها فاذا وجدت الاصول قد تهيأت عادت فغمرتها بماء فاتر وبعد هذا العمل تستخرج من كل اصل لوحده الالياف التي فيه مجتهدة بابقائها على طولها الطبيعي وهي تستخدم لغرضها سكيناً صغيرة قبضتها من العظم · ومتى كشطت عن الاصل اليافه الجافية والدقيقة يربط طرف الليف بعصا ترتكز في الارض وتأخذ الحائكة بتمشيط الالياف وصقلها باداة من النحاس او بصدفة وتبذل في عملها جهدها الجهيد حتى تصير الخيوط لينة لامعة كأنها الحرير

وحسب القارىء من هذا الوصف القليل علماً ان عمل النساء الحائكات دقيق وغاية في اجهاد القوى وانه يستلزم صبراً على مضض التعب · لان المرأة لاتكاد تفوز بالنجاة من استخراج الالياف وجعلها خيوطاً حريرية ذات لين وجمال حتى ترى انها جمعت منه كفاء مطلوبها للعمل فتباشره · بادئة اولاً بحوك قعر السلة ثم تذهب بها صعداً بانية جدرانها شيئاً فشيئاً حتى تنتهي منهـــا

وترى الحائكات يبذلن وسعهن بنظافة العمل وحفظه سليماً من كل افة فهن اذا رفعن ايديهن من الحياكة طلباً للراحة او سعياً في عمل آخر من اعمال البيت القين عَلَى المحوك ستراً من القماش الناعم يصونه من الغبار والوسخ ولذلك تجد ما يحيك اليا كوتات نقياً · وانه ليبقى كذلك نظيفاً مستوراً حتى يجيء الافرنج فيزدحم الهنود بزوارقهم حول البواخر يحملون اليها تلك السلال الفاخرة

الا ان اشكال السلال جمة وكلها متقنة وترى حوانيت باعة التحف في اوروبا واميركا مملوءة منها · وتباع الياكوتات فيها بثمن يتراوح بين ريالين وخمسين ريالاً بحسب درجة جودتها

ولا يقتصر الهنود عَلَى معاملة الافرنج مباشرة في بيع سلعهم واخصها السلال ولكنك تجد منهم اناساً يجلسون في زوايا الشوارع ومنعطفات الطرق في كل بلدة ذات تجارة من بلدان الاسكا وهنالك يعرضون صناعاتهم للشارين ومنها السلال عَلَى انواعها · ومتى كانت الحائكة معروفة ازدحم الناس عليها لمشترى صناعتها · وكأن هذا الامر لم يفت علمه السياح فتجدهم متى رست الباخرة في مياه احدى الفرض وحامت حولها زوارق الذين يعرضون سلعهم لا يشتري منها الا قليل الخبرة ما لم يجد منها مستحسناً والا فهو يسعى بذاته لايجاد اطائب الصناعات من عند اربابها · فيستخف في سبيل احرازها بالمال والتعب بل بالوقت الذي هو اثمن شيء في نظر رجال الاعمال · ولذلك تجد من هؤلاء السياح من يجوس خلال ديار اولئك السذج متبطناً ربوعهم متفحصاً اكواخهم فيصيب مما احرزوا من فاخر صناعتهم او مما ظفر الصيادون منهم

من الجلود النادرة والاسنان البديعة و ينقدهم ثمنها مهما تغالوا فيه

علَى ان سلال اتو و يا كوتات ولئن كانت ذات شأن خطير عند ذويها والذين يرغبون في جمعها لم تكن بالوحيدة من نوعها بل تجد بين اولئك الهنود الضعاف من يقارب صناع القبيلتين المشهورتين بحسن عمله كالهنود النازلين علَى ضفاف نهر فريزر فانهم يصنعون منها و يبيعونها بيعاً يدر عليهم كسباً

ومثلهم الهنود النازلون عند بوينت بارو فان لسلالهم شأناً سيما وانهم يحيكونها من العشب ليس الا فيحاكون بها سلال اتو الا قليلاً ثم انهم يزخرفونها بقطع من جلود الوعل و يزلونها بالعاج مأخوذاً من اسنان عجول البحر

وترى هنود نهر الفريزر يدخلون في حبك سلالهم اصول الشجر مما ثلين الياكوتات في صنعها الا انهم يقتصرون علَى اخذ اصول شجر الارز و يزخرفونها بقدد من لحاء اشجار اخرى ذات الوان جميلة

وهنالك ايضاً قبيلة تسكن ضفاف نهر شلكات علَى مقربة من ارسالية هاين ولها سلال تصنع من اصول نوع مخصوص من الشجر علَى انها لا تستعمل له صباغاً او تدبجه بما يعطيه لوناً اخر فيبقى لونه واحداً طبيعياً

والهنود النازلون قرب رنكل يحيكون سلالهم من قدد ينسلونها من لحاء شجر الارز ولهم عداء عن صناعة السلال مهارة في اصطناع الحصر و يغالون في زخرفتها وقبائل الهيداس يجيدون حياكة ما يصنعون كالقبعات (البرانيط) التي يلبسونها عندما يرقصون رقصهم الحربي

ولهذا كله تجد من السياح من يشتري من جميع ضروب هذه السلال ليتسنى له احراز مجموعة كاملة منها · ومنهم من لا يقتصر علَى جعل مجموعته

حاوية صناعة الاسكا فقط بل تتناول الهنود النازلين في الديار الاميركية سيما قرب اوريكون وواشنطون فان لصناعتهم ذكراً . ومتى اجتمعت لدى الرغاب امثلة المهارة الفطرية وقد زيد عليها بعض مايحيكون من الحصر بلغت المجموعة حداً يستلفت النظر

فصل في الذهب

هو معدن اصفر او محمر واذا طرق فرق كثيراً تلون بالاخضرار . يقبل التطريق قبولاً يزيد فيه عن سائر المعادن المعروفة حتى يقال انه يستطاع جعل سماكته جزءاً من واحداً من مئتي الف جزء من القيراط ويقبل السحب ايضاً فيصنع اسلاكاً دقاقاً . وهو يذوب في الحامض السلينيك مع ان سائر الحوامض لاتؤثر فيه شيئاً كما لايؤثره الماء ولا الهواء مهما اشتدت حرارتهما

وهو متى كان صرفاً لايشوبه معدن اخر يكون ليناً جداً كأنه الرصاص ولذلك متى ارادوه صلباً يمزجونه بالفضة او بالنحاس فينالون من صلابته مايريدون وهذا سر قول الصاغة عن العيار فانهم يحسبون الذهب الصرف من عيار ٢٤ وكلما مزجوه بمقدار من المعادن الاخرى خفضوا من عياره بنسبة ذلك الدخيل

والذهب الصرف يوجد طبيعياً على هيئة كعوب وقطع ذات ثمانية اضلاع وفي بعض الاحيان لاتكون القطع الموجودة منتظمة الشكل ولا الحجم بل تختلف في وزنها

واكثر مايوجد مختلطاً بالكوارتز او اكسيد الحديد او مركباً مع الفضة او البلاتين او الروديوم او النحاس او الانتيمون وكذلك يوجد ايضاً في الطبيعة تبراً بين رمال الانهر والاخوار

هذا مايقال في الذهب ووصفه الكيمي اخذاً عن كتاب اصول الكيمياء لفقيد العلم والفضل الدكتور كرنيليوس فان ديك الاميركي ناقل علوم الغرب الى الشرق والمبدع باثاره الحسان تغمده الله برضوانه

∴

وليس للذهب موضع واحد يوجد فيه ويؤخذ منه ولكنه منتشر في اكثر بقاع الارض وقد عرفه الناس منذ اقدم العصور بل قبل ان عرفوا غيره من المعادن ولكنهم لقلة المقدار الذي كانوا يجدون منه ولعسر طريقة استخراجه لم يكن لهم ان يستخدموه لاصطناع ادواتهم كما استخدموا الصفر «البرونز» والحديد فبقي للزينة والتحلي ثم صار قوام المعاملة واحد النقدين الكريمين وهما الذهب والفضة

ووجود الذهب في التربة عَلَى اختلاف حالها بين صخور وتراب وحصى ورمال وعَلَى تباين طبقاتها الجيولوجية وعَلَى تنوع مقامه فيها بين ان يكون منفرداً عما يجاوره او ممتزجاً به يدل الدلالة الصريحة عَلَى انه ليس كما زعم بعضهم من نتاج دور جيولوجي مخصوص · وفوق هذا فان البحر لايخلو من وجود الذهب حتى انك لتجد في مائه الملح الاجاج مقداراً منه · وهذا المقدار ربما جرفه السيل الى البحر من بين الصخور وتراب الارض ورمال الانهار فاستقر فيه وتداخلت بعض اجزائه الدقيقة في الماء

∴

ولم يكن الناس منذ بدء عهدهم بالذهب يقلون من اعتباره او يرون فيه بأساً ولذلك جعلوه في مصاف اكثر المواد فائدة واجدرها بنيل الحظوة لدى

الارباب التي كانوا يعبدونها — فاتخذوا منه لتزيين الهيا كل والمعابد سواء كان علَى بنائها من العمد والجدران والمذابح اوعلَى كسائها من الستور والسجوف. ثم صاروا يصطنعون من الذهب تلك التماثيل والدمى التي يعبدون فحل هذا المعدن النفيس اسمى مكان تحوم حوله افكار البشر الا وهو العبادة. فيكون بذلك قد نال الذهب مقامه من اول عهده بل لم يزل عليه الى الان. بحيث انك لاتجده قد خسر عباده بضعف الوثنية وانتشار عبادة الله الحق. لانه اذا لم يبق بين الناس من يصطنع ربه صنما من الذهب الا علَى قلة فثمت قوم كثار يعبدون الذهب علَى غير هذا النسق القديم اليس ان تهافت الناس علَى احرازه ومخاطرتهم بنفوسهم ونفائسهم في سبيل الوصول اليه دليل علَى ذلك؟ اليس منهم الذين كلما احرزوا منه شيئاً ازدادوا تكالباً عليه ورغبة فيه؟ بل اليس منهم من يفضل الذهب علَى كل شيء في الوجود حتى علَى العرض والشرف والمروءة؟

ومتى صح القول بهذا اتضح ان من الناس من عبدوا الذهب منذعرفوه وما زالوا يعبدونه دون الله.

..

واماتاريخ اكتشافه لاول مرة فاذا لم يكن معروفاتماما فهو غير بعيد عن التخمين لان هذا المعدن ابن الطبيعة ويوجد علَى الارض وعلَى ضفاف الانهار وشواطيء البحار وليس بعيداً ان يكون الانسان قد وجده شذوراً او تبراً فانتبه اليه بلمعانه واختلاف لونه فجمعه وجرّب طرق الانتفاع به حتى نال ماأراد فصار له حلية ثم معبوداً

وقد عرف العالم بقديم وجوده من مصادر شتى اهمها واقدمهـا التوراة المقدسة لكنها ذكرت اهتمام الناس به في ما كانوا يقيمون من شعائر بعض الاديان وما كان يتخذه الاغنياء المترفون من الملابس الموشاة به او المحوكة بخيوط مصنوعة من اسلاكه الدقيقة

واذا اعتبرنا ما كان يصنع الاسرائيليون منه وعرفنا انهم قوم قضوا عصوراً في القطر المصري ثم خرجوا منه الى سوريا — وهم في حلهم وترحالهم كانوا اقرب الى البداوة — اذا اعتبرنا ذلك وجدنا مهارتهم في صناعة الذهب مستفادة اما مما تعلمه بعضهم في مصر او مما اخذوا عن سوريا والثاني ارجح · لان في التاريخ انباء اخرى تدل على ان التفنن بصناعة الذهب سابقة عهد خروج الاسرائيليين من مصر · وعهد افتتان الناس به وتشوفهم لاحرازه قديم ربما رافق المجتمعات الاولى حتى انا لنجد الملوك الفاتحين من قبل المسيح بالوف السنين يذكرون الذهب بين اسمى غنائمهم من البلاد التي يفتحونها والاقوام التي يغلبونها

واهم مصادر الذهب القديمة الذكر اوفير وقد ورد ان الفنيقيين والاسرائيليين كانوا يأتون به منها · الا ان هذا المكان مابرح مجهولاً · بمعنى ان هذا الاسم لم يهتدِ الباحثون الى معرفة مسماه · ولكن يذهب بعضهم الى ان الموضع واقع في المنطقة الحارة وبما ان المعروف من تلك المنطقة في ذلك العهد محصور في اسيا وافريقيا غلب على الظن بوجود المكان المقصود فيهما و يزعم بعضهم انه ربما كان غير بعيد عن جزائر الهندية الشرقية من جنوبي افريقيا

ثم مرت الايام فتكاثرت مناجمه فذكرت عند ينابيع نهر الاندوس في

اسيا وفي جبال اورال وفي ايثوبيا والنوبة وغيرهما من افريقيا

وكان تهافت القدماء عَلَى استخراج الذهب قد افضى بمناجمه القليلة المادة الى النفاد او الى القلة ولم يكن ارتياد القوم دقيقاً ولا عَلَى نمط علمي بحيث يكون الاكتشاف ثمرةً من ثمار العمل والجد بل صدفةً واتفاقاً فما جاء زمن الرومانيين واضمحال ملكهم حتى قلّ الذهب وندر وجوده مستخرجاً جديداً فتعالت اثمان الموجود منه بين ايدي الناس

ثم ظهرت آثار معدنه عند حضيض جبال البيرانه وفي بعض الاقطار المجاورة لجبال الالب وبترب ابوليه وكان وافراً فانخفضت اثمانهُ

وكان اليونان يستخرجونـــهُ من بعض جزائر البحر المتوسط ومن ترحالا (ثساليا) واهل اسبانيا لهم منجم منه في بلادهم ولكن كل هذه المصادر قل واردها في الاجيال الوسطى حتى قصرت ايدي الصباغ في اوروبا واسيا عن العمل بالذهب لقلة الجديد منه وظل هذا حالهم حتى كشفت اميركا

لاجرم ان عشاق الذهب — وهم كل الناس — نشاءوا عَلَى التلهف لاحرازه والتهالك في سبيله فلما وجدوه قد قل وندر زادوا تلهفاً فتهافتوا عَلَى احياء الخرافة القديمة التي لاتخالهـا وضعها الاقدمون الا توصلاً لاحرازه بطريق الصناعة وسموا علمها بالكيمياء وقضوا الازمنة الطوال في امتحان الطرق لتحويل المعادن الاخرى الى ذهب . فنتج من ذلك ان صار ما كتب من تلك التجربات اوما حفظ علماً عَلَى ما يسمونهُ وظلّ سحابة الدهور يجدله تباعاً ويحتمل لزيادات فيه والاضافات اليه الا انه لم يندفع الناس اليه بملء الحمية والاقبال مثل اندفاعهم في الاجيال الوسطى لانهم شعروا بالحاجة الشديدة الى الذهب

وبتلهف الناس لاحرازه وقد اعوزهم طبيعيا فارادوا ان يعوضوهم عنه بالصناعي الا ان الاشتغال بهذا العلم الكاذب لم ياءت بنتيجة عملية · و بقي الذهب قليلاً والحاجة ماسة الى المزيد · واستعمال هذا العلم افضى الى اضرار اقتصاديـة لاضاعته الوقت عبثاً ولما انفق في سبيل تجربته من الاموال وما اضاع من ثمرات العقول الذكية التي انصرفت الى غير ذي جدوى ولكن هذا الضرر افضى الى فائدة جليلة هي ان العلماء اشتغلوا بعلم الكيمياء الصحيح وحسنوه وافرزوه عن الخرافي فصار يعرف العلم بالانكليزية CHEMISTRY وبالفرنساويـة CHIMIE واما العلم الكاذب فيقال له بالانكليزية ALCHIMY وبالفرنساوية ALCHIMIE ودخول AL في كلتا اللفظتين الفرنساوية والانكليزية دليل اصريح عَلَى اخذ تلك الكيمياء عن العرب

وقبل ان كشفت اميركا قدر العارفون قيمة الذهب الموجود بين ايدي الاوربيين بنحو اربعة وثلاثين مليون ليرة وان ما يدخل عليهم من وارداتـه الجديدة يعادل مايضيع من الموجود واما الاسياويون والافريقيون فلم يكن من سبيل لتقدير ما يملكون من المعدن الثمين ·

ولكن المعروف عندنا اخذاً عن الماءثور ان النقد كان قليلاً وان اكثر السكة التي يتعامل بها السوريون والمصريون كان من الفضة · وسكة الذهب لم تكثر بين ايدي الناس الا منذ عهد قريب ولكن المصاغ من الذهب كان كثيراً سيما عند الامراء والحكام واهل الغنى واليسر · ومن هذا نستدل عَلَى ان سائر الاقطار الاسيوية والافريقية كانت تماثل القطرين السوري والمصري ومما يذكر ان الذين ذهبوا في بادىء الامر مع المكتشفين الى اميركا كان

الذهب رائدهم وغاية اماني نفوسهم وحسبك انهم كانوا يطلبونه من اهل البلاد وينزلون بهم البلاء اذا امتنعوا عن ادائه وكانوا مثلهم طامعين في احرازه . فكان الحرص على الذهب في الوطنيين والطمع به من قبل الدخلاء سبباً لما وقع من المجازر والفتك .

وذهب اميركا كان كثيراً ولم يكن اهلوها مع كل حرصهم عليه ليمنعوه عن الاوربيين وان ارادوا منعهم فلا يستطيعون فشرع هؤلاء يحملون منه المقادير الوافرة سنة بعد سنة وينقلونها على سفنهم الشراعية من العالم الجديد الى العالم القديم فكان وارده عوضاً عما نقص اوروبا منه . ومع توالي الوارد لم يقدروه في كل سنة باكثر من ٥٢ الف ليرة . فكفت بذلك ايدي العملة باستخراج الذهب من مناجمه القديمة في اوروبا . لانها صارت لاتفي باتعابهم ومع قلة الوارد الاميركي حسبوه يزيد ثلثة اضعاف ونصف ضعف عن واردات جميع القارات فاكتفوا به .

يتضح مما مرَّ نظر اجمالي لتاريخ الذهب في الكون ولكن في بطون الاوراق اخبار اخرى عن مناجم كثيرة وجدت في بعض الازمنة في غير موضع من اسيا واوروبا وافريقيا .

وفي سنة ١٨٤٥ كانت نيو سوث وايلس من افريقيا سجناً عاماً للمجرمين من اصحابها الانكليز وقد بلغ عددهم فيها زهاء ٤٥ الفاً على ما يقولون وكان يومئذ على القطر والٍ اسمه السير جورج جمس فجاء البلاد باحث اسمه الكونت ستجيليكي فوجد الذهب واخبر الوالي باكتشافه فحظر عليه الاباحة بذلك لئلا يثير مطامع المجرمين فلا يقوى الوالي على كبتهم فسكت الرجل وجاء بعده قس اسمه كلارك كان من علماء الجيولوجيا فرأى الذهب واخبر الوالي باكتشافه

سنة ١٨٤١ فمنعه ايضاً وظل ذلك مكتوماً الى سنة ١٨٥١ حتى اكتشفه مستر هار كراف فتهافت الناس عَلَى استخراجه والانتفاع به وبدأت منذ حينئذ وارداته من استراليا فادهشت العالم

واما الولايات المتحدة الاميركية فان الذهب وجد في مواضع جمة منها كالمكان المسمى بما تعريبه حقل الذهب وهو واقع في منحدر الاتلانتيك ممتد من شرق فرجينيا الى كارولينا الشمالية فجورجيا والاباما وتنسى ولكن امتداده ليس متصلاً خطاً واحداً بل يتقطع في محال جمة وقد استحصل المعدنون من هذه المناجم حتى اخر شهر حزيران سنة ١٨٧٣ بقيمة عشرين مليوناً ونصف المليون من الريالات

واما كاليفورنيا فانها عرفت بوجود الذهب في تربتها منذ كشفت ولكن القول بذلك ولو تكرر لم يظهر شيئاً من حقيقتها حتى سنة ١٨٤٨ وقد كان احد نظار العمل قرب كولوما من كورة الدورادو واذا بابنته قد جاءته بشذرة من الذهب وهي تظنها حجراً براقاً . فكتم الامر حيناً . وكان قد كتب احد القسس من سكرامنتو بقرب قلعة سوتر الى احدى المجلات ينبىء بوجود الذهب شذوراً فاسرع الناس الى الموضع وجعلوا يحفرون ويستخرجون حتى بلغ عدد العملة نحواً من اربعة الاف كانوا يستحصلون كل يوم بقيمة تتراوح بين ١٣٠ الى ١٥٠ الفاً فرنكاً ثم اتسع العمل والاستخراج من المناجم في تلك المواضع .

ويوجد الذهب ايضاً في كندا وبرازيل وشيلي وبيرو ومكسيكو وكوبا وسان دومينيك . ومن كلها خرجت المقادير الوافرة ولكنها لم تضبط تماماً وانما

احصاها بعضهم باعتبار الواردات السنوية قبل سنة ١٨١٠

الف ريال	
٤٠٠٠	اسيا واوروبا
٢٩٨٠	الارخبيل الهندي
١٠٠٠	افريقيا
٧٠٠٠	اميركا
١٤٩٨٠	المجموع

واما بعد سنة ١٨١٠ فهذا تقدير وارداتها

الف ريال	
٥٠٠٠	اسيا واوروبا
٢٩٨٠	الارخبيل الهندي
١٠٠٠	افريقيا
١٥٠٠٠	اميركا
٢٣٩٨٠	المجموع

غير ان هذا المقدار ليس عظيماً بالنسبة لما جد بعد ذلك الاحصاء من اكتشاف المناجم الغنية في مواضع جمة من المعمور ومع هذا فالمظنون ان المناجم تدر على الناس في اول عهد اكتشافها مقداراً وافراً يقل تدريجاً . ولو لم يكن الاكتشاف متصلاً وفي البسيطة مواضع جمة لم يوفق المكتشفون اليها بعد لقلّ الامل من بقاء الذهب الى اخر عهد الكون بالانسان

على انا نرى قبل ختام هذا الفصل ان نورد للقراء الكرام نبذةً جامعةً

لاحسن ما قيل في الذهب وردت في الجزء الثاني عشر من السنة السادسة (١٨٨٢) من المقتطف الاغر وها هي

ماضي الذهب ومستقبله

من اكتشف الذهب اولاً ومتى واين مسائل
طوت عن حلها الايام كشحاً   فما من طائلٍ للبحث فيها

والمعروف المثبت مما جاء في التوراة وكتب الاخبار ان اهل المشرق اكتشفوا الذهب وسبكوه واتقنوا صوغه وغالوا به واستعملوه للزينة والمعاملة ولكل الاغراض التي يستعمل لها الآن منذ الوف من السنين٠ فقد جاء ذكره ووصفه في الاصحاح الثاني من سفر التكوين وذكر سبكه وصوغه وسحبه ورقه ونسجه في اماكن عديدة من اسفار موسى وكتب الاوائل ولم تزل الآثار القديمة الاشورية والمصرية والفينيقية واليونانية شاهدةً بما كان للاوائل من التفنن فيه

والظاهر ان مغالات القدماء بالذهب انما كانت لندرة وجوده وهذا هو سبب المغالات به في هذه الايام لان الاوقية منه تباع بنحو خمسة عشر الف اوقية من الحنطة ٠ والحنطة سند الحياة والذهب لا ينتفع به باكل ولا بكسوة ولا بشيء يذكر ٠ والسبب في ندرة الذهب علَى ما يظن هو ثقله فانه اثقل كل العناصر ما عدا الاريديوم والپلاتين ٠ وكلاهما نادر مثله بل اندر منه ٠ اما كون الثقل مسبباً للندرة فوجهه ان الارض كانت في سالف عصرها غازاً ثم سالت ثم جمدت علَى التوالي ولما شرعت عناصرها تبرد وترسب رسب الذهب بين اول الرواسب فكان مقره منها مركزها ٠ وما يوجد منه الآن قرب سطحها

فتاندفع الى هناك بعدئذٍ كما تندفع الحمم من البراكين · وهنالك ادلة اخرى تؤيد ما تقدم في سبب ندرته منها ان اقرب السيارات الى الشمس اثقلها ثقلاً نوعياً ثم يتناقص ثقلها النوعي على الولاء في الغالب كأنَّ مواد النظام الشمسي التي رسبت قبل ان انفصلت السيارات عن الشمس رسب اثقلها قرب المركز · ومنها ان ثقل الارض النوعي نحو خمسة وقشرتها لا يزيد ثقلها النوعي عن ثلاثة فلا يبعد من الحكم ان في جوفها مواد ثقيلة كالذهب ونحوه لكي يصير ثقلها خمسة · واذا كان الامر كذلك وكان الذهب الذي في ظاهر الارض قليلاً والذي في باطنها لا مطمع في البلوغ اليه لزم ان ياتي وقت ينفد فيه الذهب من ظاهر الارض · والواقع يؤيد ذلك لان الذهب الذي كان يستخرج سنوياً من كليفورنيا واستراليا فقط بعيد سنة ١٨٥٠ كان يعادل ٣٥ الف الف ليرة انكليزية ثم قلَّ كثيراً فبلغ الذهب المستخرج من الارض كلها سنة ١٨٦٩ نحو ٣٠ الف الف ليرة انكليزية وسنة ١٨٧١ نحو ٢٠ الف الف ليرة وسنة ١٨٨٠ نحو ٢١ الف الف ليرة · حتى ان كثيرين من اهل الاقتصاد السياسي ينسبون عسر الاحوال الحاضر الى قلة الذهب لان الذهب اذا قلَّ غلا واذا غلا رخصت الغلال والسلع فلحقت الخسائر باهل الفلاحة والصناعة لان الفلاح الذي كان يبيع غلة ارضهِ بمئة ليرة ويدفع منها الضمان والاتاوة ويبتاع بالباقي لوازمه صار يبيع الغلة بستين او سبعين ليرة فلا تكفي لدفع الضمان والاتاوة وابتياع اللوازم وقس على ذلك الصانع والتاجر والدائن · وهذا الخلل وان كان وقتياً تصلحه الايام لا تزال اضراره الحاضرة ومقاً ثقيلاً على عاتق فقراء هذه السنين واغنيائها

والان قد خلت البلدان القديمة من معادن الذهب بعد ان كانت غنية به

غناء وافراً فان الاسكندر الكبير غنم من بلاد فارس ٣٥١٠٠٠ وزنه من الذهب وذلك يساوي ثمانين الف الف ليرة انكليزية واما الآن فلا يستخرج من كل اسيا ما يستحق الذكر الاَّ ما يستخرج من سيبيريا وهو قليل ولا يمكن استخراجهُ الاَّ في اوقات قليلة من السنة لان الماء اللازم لغسل الاتربة التي فيها الركاز يكون جامداً في اكثر السنة

وكان الذهب يستخرج بكثرة من افريقية · قال هيرودوتس ان القرطجنيين كانوا يجمعون التبر من وراء اعمدة هرقل وقال الادريسي ان اهل ونغرا كانوا يستخرجون الذهب من عند مخارج نهر نيجره وقد استحوذ الفرنساويون عَلَى اراضي الذهب هذه ولكنهم لا يستخرجون منها في السنة اكثر من ثمانين الف ليرة · وكان المصريون القدماء يستخرجون الذهب من بلاد الحبشة وما جاورها فقد جاء في كتابة من عهد تحتمس الثالث وهو من الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ ق · م) ان الذهب كان ياتي من مايو · وفي كتابة اخرى من عهد رعمسيس الثاني من الدولة التاسعة عشرة ان الملك امر وهو جالس عَلَى عرش ذهبي ان تفتح مناجم الذهب في ارض اتيكا · وفي مدينة تورين درج مصري فيه خريطة هذه المناجم وتفصيل العمل فيها · وقد شاهدنا في متحف بولاق عقوداً وسلاسل من الذهب الخالص وجدت مع الاجساد المصرية المحنطة ومنها ما صيغ منذ نحو ثلاثة آلاف وست مئة سنة · وجاء في هيرودوتس ايضاً ان ملكاً من ملوك الحبشة كان يقيد اسراهُ بسلاسل الذهب لانه كان في بلادهِ اوفر من النحاس · وذكر الادريسي ان الناس في سوفلا كانوا يتحلون بالنحاس لانهُ عندهم اثمن من الذهب وقد اكتشف احد السياح الجرمانيين مناجم تلك البلاد سنة ١٨٦٧ ورأى حولها

آثاراً كثيرة يهودية فظن البعض ان هذه هي اوفير المذكورة في التوراة ومما يقرب ذلك ان اسمها في الخريطات القديمة صوفير . وذكر الادريسي انه كان في عرش ملك غانا ثلث مئة الف مثقال من الذهب وهي تساوي مئة وخمسة وسبعين الف ليرة انكليزية كل ذلك شاهد بغنى قارة افريقية السابق بمعادن الذهب اما الآن فقد كادت تنقطع الآمال من العثور على معادن كثيرة من الذهب فيها وكل ما يستخرج منها الآن في السنة لايزيد على مئتين واربعين الف ليرة . ولم يستخرج منها منذ سنة ١٤٩٤ الى الآن الا نحو مئة الف الف ليرة

وما قيل في افريقية يقال في اميركا الجنوبية فانه استخرج منها كلها ماعدا براز يل مئتان وستون الف ليرة انكليزية وذلك من سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٨٧٥ واستخرج من برازيل وحدها مئة واربعون الف الف ليرة انكليزية وذلك من آخر القرن السادس عشر الى الآن ولكن قل الذهب الآن كثيراً في هذه القارة وصار المستخرج منه لايفي بنفقة استخراجه الا نادرا . فان المعدل المستخرج من برازيل كان في اواسط القرن الثامن عشر نحو الفي الف ليرة ثم اخذ يتناقص حتى بلغ سنة ١٨٢٠ نحو مئة الف ليرة . وسنة ١٨٧٥ بلغ ٣٤٩٩٢ وسنة ١٨٧٧ بلغ ٢٨١٧٢ وسنة ١٨٧٩ بلغ ٤٩٥٦ ليرة فقط

ومناجم الذهب المعتمد عليها الآن في الدنيا هي مناجم سيبريا والولايات المتحدة واستراليا . اما مناجم سيبريا فكان المستخرج منها سنة ١٨٦٩ نحو ٤٥٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية وسنة ١٨٧٦ نحو ٤٦٥٠٠٠٠ ليرة وسنة ١٨٧٧ نحو ٥٧٠٠٠٠٠ وسنة ١٨٧٨ نحو ٥٨٥٠٠٠٠ وسنة ١٧٧٩ نحو ٥٥٥٠٠٠٠ وكل ما استخرج من سيبريا الى الآن نحو ١٢٠٠٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية والظاهر ان البلاد لم

تزل غنية ولكن المستخرج منها في السنة لا يرجى ان يزيد كثيراً عما ذكر لما علمت قبلاً

واما مناجم الولايات المتحدة فكانت اغنى مناجم الارض ولكن قد تناقص المستخرج منها كثيراً جداً فقد استخرج من مناجم كمستك وحدها سنة ١٨٧٧ نحو ٣٥٥٤٢٠٠ ليرة انكليزية ولكنه لم يزد سنة ١٨٨٠ عن ٥٣٥٦٠٠ ليرة والمظنون ان عدد المناجم في الولايات المتحدة يزيد عن الالف ولكن اكثرها لا يفي الآن بعمل العملة والمستخرج منها يقل سنة فسنة فقد كان سنة ١٨٧٨ نحو ٩٤٥٣٦٢١ وسنة ١٨٧٩ نحو ٧٧٨٠٠٠٠ ليرة وسنة ١٨٨٠ نحو ٧٥٩٩٤٠٠ وسنة ١٨٨١ نحو ٧٣٠٠٠٠٠ وكل ما استخرج من الولايات المتحدة حتى الآن اكثر من ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية مع انها حديثة العهد ومناجم استراليا كانت غنية ايضا ولكن قد صار المستخرج منها يقل سنة فسنة

قلنا ان معدل ما يستخرج الآن من الارض نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية فقط والمرجح ان نحو ثلث ذلك يصك نقوداً وما بقي يستعمل في الصناعة لصوغ الحلى ونحوها ٠ والمقدار الذي يصك قليل جداً بالنسبة الى ما كان يصك في السنين الماضية فقد صك في اوربا وحدها من سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٧٥ نحو نحو ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ ليرة اي انه كان يصك في السنة نحو ٣٢٠٠٠٠٠٠ ليرة ٠ اطرح من هذا المبلغ ما شئت للنقود التي يعاد صكها يبق المصكوك منها جديداً اكثر كثيراً مما يمكن ان يصك الان

والنتيجة مما تقدم ان كمية الذهب المستخرج من الارض آخذة بالتناقص سنة فسنة وانه اذا لم يعتمد الناس على الفضة في ضرب النقود اكثر مما يعتمدون

عليها الان يزيد عسر الحال عسراً

..

وكلما تقدم من الكلام عن الذهب سواء كان مما كتبناه او ما نقلناه عن المقتطف للاستشهاد انما هو توطئة وتمهيد للقول عن حالة الذهب في الاسكا لانها موضوع هذا الكتاب فنقول

قلنا ان الحكومة الاميركية اشترت الاسكا من روسيا سنة ١٨٦٧ فظلت منذ يومئذٍ حتى سنة ١٨٨٣ والناس لا يرون تلك الديار جديرة بالاهتمام ولا يعيرون وادي نهر اليوكون شيئاً من الالتفات والعناية. ولكنهم في سنة ١٨٨٣ سمعوا ان بعض قناص الثروة جاءوا جونو عائدين من الداخلية وقد احتملوا اشد العناء في البلوغ اليها حيث بحثوا فوجدوا ذهباً وافراً عند نهر ستيوارت في القطر الكندي فلما شاع هذا الخبر تهافت الناس الى المكان وانتشروا في تلك البقاع فاكتشفوا المعدن في مواضع شتى كما ترى

سنة ١٨٨٧	في فورتي ميلس
سنة ١٨٩٢	: سيركل
سنة ١٨٩٥	: ايكل
:	: رامبرت
سنة ١٨٩٦	: كلونديك
سنة ١٨٩٨	: نوم

سنة ١٩٠٢ و ١٠٩٣ في فابرينكس

وكل هذه المناجم تدر ذهبها لاهل النشاط والعمل حتى انهم يقولون ان

نتاج قطر الاسكا بجملتة كان سنة ١٩٠٦ بقيمة تسعة عشر مليون ريال ومع هذا فان علماء طبقات الارض يزعمون ان الموجود طي التربة عظيم المقدار جداً وان الباحثين لم يستهدوا بعد الى كثير منه

غير ان هذا القول الاجمالي لايجب ان يحول دون الالماع الى نتاج كل واحد من المناجم الجمة لتكون الفائدة من الاطلاع عَلَى الكتاب اكثر واحكم ولذلك ندرج هنا الجدول الآتي اخذاً عن احدث المصادر الرسمية ظهوراً

ريال	
١٢٠٠٠٠٠٠	نتاج قطر داوسون سنة ١٨٩٦
٥٣٥٠٠٠٠	« « فورتي ميلس «
٨٠٠٠٠	« « ايكل «
٢٥٠٠٠٠	« « سركل سيتي «
٣٥٠٠٠٠	« « رامبرت «
٩٠٠٠٠٠٠	« « فايربنكس «
٢٢٠٣٠٠٠٠	مجموع واردات الذهب من الاسكا وكلونديك

الانتفاع من الذهب

ان قلة هذا المعدن النفيس وصفاته الملازمة له من الصلابة واللون وقبوله للتطرق والتمدد كل هذا جعله مفيداً للناس · على انهم اتخذوه منذ بدء وجوده لاغراض شتى اهمها الزينة ثم النقد ·

فاصطنعوا منه حلى للاذان والاناف والشفاه والسواعد والايدي واصابعها والارجل وللصدر والعنق وغير ذلك حتى عمّ عملهم وانتشر بين كل الناس في كل عصرٍ ومصرٍ ·

واما استخدام الذهب للنقد فسببه ظاهر وهو انه نادر وثابت · وكان الناس في بدء امرهم كما دلت ابحاث العلماء يتقايضون الاشياء مقايضة · فزيد مثلاً متى كان عنده شيء من القمح وقد اضر الى كساء يذهب الى عمرو وعنده الكساء الزائد عن حاجته فيساومه عليه قمحاً لان عمرو يحتاج الى القمح ايضاً وهكذا يتبادلان ما يحتاجان بحيث يأخذ كل منهما حاجته بنسبة ما بين الحاجتين من التفاوت باعتبار المحيط · وهذا التقايض كان عمدة الاخذ والعطاء الا انه لم يكن مضبوطاً لان الاخذين به لم يكونوا في حاجة ماسة اليه بسبب اكتفاء كل واحد من المجتمع بما عنده الا قليلاً · فلما ارتقت المجتمعات وازدادت العلاقة بين واحدها والاخر صارت التجارة الناشئة في حاجة الى ضبط المعاملة وتقويم اثمان الحاجة بما يماثلها بالنسبة الى شيء راهن · فاتخذوا المعدن قواماً لذلك وبعملهم هذا تبواء الذهب اريكة مجده وتلته الفضة ثم النحاس وجعلوا النسبة بين مقاديرها ملائمةً لاحوالها من الكثرة والقلة

فشرع الناس يتعاملون بان الشاري يحمل الذهب ومتى تمت صفقة الشراء وزن منه ما يحتاج اليه · فكأن الذين عاشوا منذ دهور كانوا يجرون علَى الخطة التي يجري عليها هنود الاسكا كما مرّ بنا ولكننا لا ندري اكانوا في اول عهدهم مثلهم يزنون التبر او لا نعم ان قياس التمثيل يرجح ذلك سيما وقد عرف عن الاقدمين انهم صاروا يسكبون ذهبهم سبائك مختلفة الوزن والحجم لاتخاذ ذهبها قواماً لمعاملتهم

ومتى كان قوام المعاملة سبيكة فبالطبع يحتاج المتعاملون الى وزنه فالمعاملة بالوزن جرت في شوطها احقاباً حتى بان للناس انها لا تخلو من الحيف سواء كان من حيث جودة الذهب وسلامته من الغش او من حيث دقة الموازنة

ففتقت لهم عقولهم ان يجعلوا قوام المعاملة من المعدن ذهباً كان او فضة او نحاساً قطعاً وان يكون معدنها سليماً من الغش واحداً لجميع المتعاملين وهذا لا يتم ضمانه الا برأي الحكومة ومراقبتها لانها تكون من مجتمعها بمثابة المسيطر القائم بحاجاته فاتخذت الحكومات الامر علَى عاتقها وجعلت تمحص معادن السكة وتبصمها بعلامتها لكي يأمن من يراها علَى سلامتها ودقتها · ولكنها لم تبقِ الحجوم علَى ما كان للسبائك بل جعلت منها القطع كباراً وصغاراً ليقضي المتعاملون بها حاجاتهم · فافضى ذلك بهم الى العدول عن الوزن الى العدّ

الا ان هذا الارتقاء لم يكن دفعةً واحدة بل تدريجاً · ولكن بدء الشروع به قد غيبته كرور الايام فلا يعرف اليوم تاريخه علَى التحقيق · ولكن ما لا يظهر بنص صريح يستكشفه الباحثون بما لديهم من قوة الاستنتاج · او يدنون

من استنتاجه ·

من ذلك ان المعدنين الثمينين الذهب والفضة مضت عليهما ازمنة طويلة وهما قوام المعاملة قبل ان ضربا سكة · واقدم ما اتصل بنا من ذكرهما مستفاد من الاثار فضلاً عن النصوص الكتابية · وحسبك ان ابراهيم الخليل مذكور في التوراة انه عاد من مصر بغنى عظيم من الماشية والفضة والذهب · فالمعدنان كانا عبارة عن آنية وكؤوس وحلي ونقود للمعاملة · وتاريخ هذا الحادث في الربع الاول من القرن العشرين قبل المسيح · يومئذٍ كان المصريون عَلَى ما يظهر من الاثار الباقية حتى اليوم كأنها نقشت بالامس كانوا يتعاملون بالمعدنين عَلَى شكل خواتم او محابس تفتح من طرفها فتضم الى مثيلاتها في سلك يجمعها · وهذه الخواتم ذات حجوم مختلفة من الكبيرة جداً حتى تظهر كأنها القلائد للاعناق حتى الصغيرة البادية خاتماً للبنصر · فكأن عدول الناس عن استعمال السبائك كان اليها اولاً لان استعمالها لم يقتصر عَلَى المصريين بل تعداهم الى غيرهم لانه ورد انه حوالى الزمن الذي اغار فيه الرومان عَلَى اوروبا تحت امرة يوليوس قيصر كانت السكة الرائجة بين القلط في شمالي اوروبا وغربيها هي الخواتم · بل روى بعضهم انه وجد منها شيء كثير في انكلترا وايرلندا · بل يقول بعض الثقات ان في شمالي افريقيا حتى اليوم قوم يتعاملون بالخواتم

ولكن هذه الخواتم التي حملها ابو الاباء ابراهيم من مصر لم تكن كالسكة تعد قطعها عداً بل كانت توزن وزناً بدليل ما عَلَى الاثار المصرية من رسم من يزنها ومن يحسبها · وكذلك بدليل ما ورد في التوراة من ان ابراهيم لما اشترى لامرأته ساره قبراً وزن الثمن وزناً

وكان عيار الوزن عند الاسرائيلين هو الشاقل للذهب · واستدل العلماء من بعض الابحاث اللغوية ان بعض القطع الفضية تسمى باسم الحمل كأنها وضعت لتقويم ثمنه فوسمت به كما جعلت القطع الاكبر منها ثمناً للعجول فوسمت به ايضاً ·

وكأن الانتقال من التعامل بالسبائك الى ضرب السكة لم يخرج في بدء امره عن طور التثمين بدليل انه وجدت قطع كبار من صنع الرومانيين وزنها ليبرا واحدة وقد وسمت برسم الثور فحسبها بعضهم دليلاً على انها ثمنه او مايعادل ثمنه · والاشتقاق اللغوي يوئد هذا الظن فقد يظن ان الليبرا هي اصل كلمة ليرا لان اصلها واحد وهو LIBRA والنقد يقال له الان بالانكليزية PECUNARY وهي مشتقة من PECUIA اللاتينية وهو من PECU للماشية

الا ان الانتقال بالذهب من التعامل المذكور الى الحالة الموافقة لارتقاء التجارة والحضارة كان خطوة مهمة · يجهل تاريخها وشأنها ·

فهو ميروس اسهب في شعره شرحاً عن كل اسباب الحضارة وصفاً للحالة التي كان القوم عليها ولكنه لم يذكر شيئاً عن السكة المضروبة بل استفدنا منه ان المعاملة في عصره كانت اقرب الى الفطرة لان الثور كان يباع بقطعة من النحاس طولها ثلثة اقدام وان المرأة العارفة بكثير من الفنون النافعة كانت تساوي اربعة ثيران

اما ضرب السكة من الذهب فقد قال هيرودوت فيه انه من وضع الليديين · ولعل هذا كان في القرن الثامن قبل المسيح ·

واول سكة معروفة هي اليونانية المعروفة باسم ستاتر ومعناها العيار . وهو وزن يعادل درهمتين من الفضة بقيمة عشرين فكأن اليونان خافوا للعالم السكة والنسق في معادلاتها فكان نصيب الاوربيين منها ان يجروا على مجراها

الا ان الليديين وأن كانوا يونانا في اصلهم فهم اسيويون سكنا . واختراعهم ضرب السكة لم يسلم لهم شرفه من غير منازع . فبعض الباحثين يحسبون السكة من وضع غيرهم من الجوالي اليونانيين في اسيا الصغرى . واخرون يزعمون ان الفرس كانوا اول ضاربيها الا انه تبين لبعض الباحثين في النقود التي انتهت الى المتاحف ان الجالية الايونية في ميلتوس ضربت سكتها الذهبية حوالى سنة ٨٠٠ ق م . واستشهد العلماء على صحة القول بوجود بعض السنن القديمة لسولون تشدد النكير على مزيفي النقود وبما ان سولون اشترع سننه حوالى سنة ٥٨٣ ق م فالنقود سابقة لذلك الزمن فالسكة الذهبية المعروفة اذا بدأت في بلاد اليونان منذ القرن التاسع قبل المسيح . وترى الان في بعض متاحف اوروبا امثلة منها كلها تدل على صناعة قديمة لا اثر للبراعة فيها وعلى احد وجهيها رسم حيوان او شعار اخر وعلى الوجه الاخر اثر الطابع الذي بصنيه الدولة واما شكل السكة فمنه المستدير ومنه البيضي والمستطيل . وفي كلما عرف من القديم غلظ .

ولكن مالبثت نقود الذهب ان تكاثرت وتحسن صنعها تدريجا وانتقلت شيئا في موضع بعد اخر الى رسم شعار مخصوص او رمز ديني او وطني الى تمثيل الملوك على احد الوجهين والى كتابة كلمة او اكثر — وهذه الكتابة بدأت باسم المدينة ثم التاريخ .

ومتى تصور الانسان مبلغ ارتقاء التجارة والاخذ والعطاء في كل مجتمع عامر وبينه وبين جواره وامتداد ذلك الى مجتمعات اخرى بعيدة عن مواطنه سواء كانت راقية او غير راقية تماماً وعلم ان النقد كان قد صار قوام المعاملة في معظمها يدرك اهتمام الناس بالذهب منذ ذلك العصر البعيد ويعرف ان له شأناً عظيماً بين الناس · حتى صار هو المعول عليه في كل شيء · وبات مطمع الكبير والصغير والامير والصعلوك بل اصبح الملوك والامراء يحتكرون ضربه سكة للناس لايجيزونها لسواهم · بحيث اصبح من خصائصهم التي لاتتعداهم الى الافراد ولو تعالوا · ومع ذلك فقد روى التاريخ ان الامراء قديماً وحكام المدن كانوا يضربون السكة باسمائهم الخاصة و برموز مدائنهم حتى ان بعض بيوتات كبراء الرومان ظلوا الى مابعد استفحال الدولة يضربون سكةً باسمائهم واستمروا حتى استقلت دولتهم بذلك ·

الخاتمة

فما مرَّ بنا في هذا الكتاب يتضح للقاريء اللبيب ان الذهب وهو الضالة التي ننشدها كل حي الا من عصم الله عن الطمع بها يوجد الان بكثرة في بلاد الاسكا وكلونديك وان هذين القطرين المكسوين بالثلوج يدلان على العامل المجتهد فيهما رزقاً حلالاً وافراً جداً اذا تدرع بالصبر واتخذ الحكمة رائداً والسداد مرشداً ولم يقعده الكسل والخمول عن الدأب والسعي ٠

فخليق باخواننا السوريين الذين جابوا اطراف المعمور بطلب الرزق و برهنوا للملاء انهم خلفاء نشيطون لاجدادهم الفنيقيين ان يقصدوا ذينك القطرين بما فيهم من النشاط والهمة الناهضة فان لم ينالوا من ركاز الذهب ماتدر عليهم التربة فلا اقل من ان يشتغلوا هنالك بالتجارة او بالزراعة فيأخذون من الغنى المباح قسطهم وافراً

هذا ما كتبناه في هذا البحث الموجز بعد اذ استعنا على التحقيق والتدقيق باقوال الثقات واحدث ماذهب اليه الباحثون ووضعه رجال الاحصاء فضلاً عما شهدناه بام العين وما كسبنا بالخبرة الواسعة ٠ فان اصبنا في البيان فذلك ماوجهنا اليه العزيمة منذ البدء افادةً لقراء العربية وان اخطأنا الغرض فالرجاء غض النظر لانا لم نقصد الا خيراً والحمد لله على كل حال

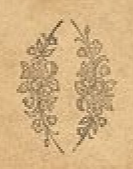
فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة





زحافة تجرّها الكلاب على الجليد


VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


Princeton University Library
32101 066367028
TN423
.A6
N374
1909
RECAP